الشيعة معتقداً ومذهباً

الدكتور صابر طعيمة

توزيع
المكتبة الثقافية
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م

الشيعة معتقداً ومذهباً

«بسم الله الرحمن الرحيم»

بالرغم من سيل المعارف الذي ملأ المكتبات العربية والأوربية عن عقائد الشيعة في السنين الأخيرة من وجهة النظر الشيعية ناهيك عن المؤتمرات والندوات والنشرات التي قام بها مؤخراً رجال الاعلام والدين الشيعة منذ استطاع الشيعة بأفكارهم ونزعاتهم إسقاط نظام الحكم الذي كانت عليه ايران قبل تسلط الامامية عليها فإن ما صدر بأقلام أهل السنة أو بأقلام أوربية محايدة تنظر في المقولات العقدية والسياسة التي يطرحها الامامية على العالم المعاصر قليل جداً اللهم الا جهود بعض العلماء المخلصين الذين لا تنظمهم هيئة ولا تنفق عليهم دولة هم الذين قاموا بأداء بعض الواجب وانبروا للكشف عن المخاطر المحدقة والأخطار المتوثبة خاصة بعد أن أثبت الاعلام الشيعي مؤخراً أنه قادر على النفاد إلى كثير من الهيئات والمنظمات الثقافية والفكرية في بلاد الغرب بحيث يمكن لو لم يقابل هذا النوع من النشاط الفكري والعقدي الذي يقوم به الشيعة في بلاد العالم المعاصر فإن المعلومات التي سترسخ في عقول الأجيال التي لا تعرف عن الاسلام شيئاً ناهيك عن تلك القوى المعادية للإسلام أصلاً والتي ستغتنم المعتقدات المطروحة لتقدم مشوهة على أنها الاسلام لن تكون أكثر مما تمثله عقائد الشيعة وما تطبقه من ممارسات. ومن ثم فلن ترى القوى التي تقع فريسة الاعلام الامامي عناصر القوة والحق في هذا الدين فضلاً عما يقوم عليه هذا الدين أصلاً وهو التوحيد لله رب العالمين.

هذا التوحيد الذي جاء به النبي الذي لا نبي بعده وحمله رجال هم أفضل ما في أمة الإسلام على امتداد تاريخها الطويل. لم يتجاوز واحد منهم الحدود التي رسمها

لهم هذا الدين فهم بهدى الاسلام في خير حال وهم كما أمر النبي ﷺ من خير الناس في خير القرون وهم الذين أمر النبي ﷺ أمته بعدم تجريحهم أو سبهم.

وقد شاء الله تعالى لي أن أقوم بتدريس: عقائد الامامية والغلاة بوجه عام خلال ثماني سنوات متصلة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض استاذاً مشاركاً لمادة الملل والنحل ومن هنا فقد استعنت بالله تعالى على أن أقوم بتناول هذا الموضوع الشائك الذي قد يكون ثقيلاً على النفس مذاكرة قضاياه وتقليب صفحاته وهي في الجملة تتضمن صوراً من الأذى والعدوان الذي يمثله عقائد الغلاة ضد الاسلام بوجه عام قرآناً وسنة واعتقاداً صحيحاً وضد أصحاب رسول الله ﷺ بوجه خاص.

هذا وقد رغبنا أثناء مخططنا لهذا الكتاب أن نتوسع فيه بعض الشيء فتناول عقائد بعض أهم الغلاة الذين قد يلتقون مع الامامية في بعض القضايا ويختلفون معها في بعضها الآخر وإن كانت روافد ومصادر الجذر التاريخي لنشأة الجميع متشابهة إن لم تكن واحدة فإذا ما أضيف هذا الكتاب إلى سابقه «العقائد الباطنية وحكم الاسلام فيها» فإن هذا الجهد المتواضع في سد الفراغ العلمي في الساحة الاسلامية حول مخاطر الفكر الباطني عموماً آمل أن يكون إضافة إيجابية لجهد العلماء السابقين في هذا المضمار. وذلك لأنه قد أصبح من أوجب الواجبات على علماء المسلمين أن يوجهوا عنايتهم وفكرهم لتبصير أمة الاسلام بما يحيط بها من مخاطر الفكر الباطني عامة وعقائد الروافض على وجه خاص فإنه لو أمكن — لا قدر الله — للغلاة أن ينفذوا إلى الساحتين الاسلامية والدولية لتصدير عقائدهم للتعبير عن الاسلام أمام العقل الغربي ثم لتسريبها إلى أوطان المسلمين فإن حجم المخاطر المحيطة بأمة الاسلام سيكون مردودها أوسع وأشد على واقع المسلمين وهذا ما ندعو الله تعالى أن لا يكون.

وفي هذا الكتاب «الشيعة معتقداً ومذهباً» تناولنا فيه مقدمة تاريخية حاولنا فيها أن نلقي الضوء على النشأة التاريخية لعصر صدر الإسلام، وذلك للوقوف على الشكل السياسي للفكرة الشيعية وللتدليل على بطلان الرأي القائل بأن الأمة اجتمعت

على التآمر ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهملت بالعدوان أحقيته بالخلافة المنصوص عليها من قبل النبي ﷺ بزعم الشيعة الامامية ومن على مذهبهم ممن يقول بأن النبي ﷺ قد أحيل بينه و بين أن يكتب للمسلمين كتاباً ينصّ على أحقية علي في الخلافة في مرضه الذي مات فيه ﷺ.

هذا وقد تناولنا في المبحث الثاني من الكتاب بنوع من التوسع والاستطراد مصادر الغلاة العقدية وكشفنا عن فساد مقولاتها و باطل معطياتها ولما كانت ركائز المذهب الشيعي تعتمد أول ما تعتمد على عصمة الامام والقول برجعة بعض الأموات إلى الدنيا للقصاص من مخالفيهم ، إضافة إلى أعمالهم لقاعدة جليلة عندهم وهي «التقية» فقد تناولت هذه العقائد بالعرض ثم النقد استهدافاً لمعرفة مجمل عقائدهم والرد عليها.

وكان من البدهي والبحث يستهدف دراسة عقائد الشيعة فقد تناولت عقائدهم في كتاب الله تعالى وعرضت لما عندهم من خلاف زعموه فيما بينهم حول أن كتاب الله تعالى تعرض للحذف والإضافة ورددت عليهم تهافت رواياتهم في هذا الموضوع الذي لم تسلم منه السنة النبوية أيضاً وكانت البلية التي وجدنا مصادرهم تمتلئ بها وتفيض في التعبير عنها عقيدة «المتعة» التي نسخت منذ صدر الاسلام إلا أنهم جهلوا دلالتها ومفهومها بحيث أصبحت عندهم عقيدة إباحية لا ضوابط لها ولا حدود.

ولما كنا نستهدف إبراز جوانب الغلو عند هذا الفريق المنتسب للاسلام فإن جناحاً اجتهادياً معتدلاً نبت مبكراً في القرن الثاني الهجري متأثراً بمقولات حول الامامة والسياسة فراح يرى غير ما رأت الأمة غير أنه لم يقل بمفتريات الامامية الروافض ولم يبتدع الشيء الكثيروأعنى بهذا التيار : «الزيدية» — لذا فقد خصصت لهم مبحثاً تناولت فيه مجمل عقائدهم ، وحددت موقفهم من الغلاة ورفضهم عقائد ومقولات الغلاة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ أوسب أصحابه ولعنهم — رضي الله عنهم — هذا وقد تناولنا أهم فرق الغلو في ظل اعتبارين : الأول : تناول الفرق الغالية غير ذات التأثير السياسي والعقدي في عالم اليوم فقد عرفنا بها و بولاتها

وتاريخها ورددنا عليها في ايجاز بعد أن مررنا على مجمل عقائدهم في ايجاز مثل : الكربية والهاشمية والبيانية والخرمية والسليمانية والجارودية والصالحية والبترية.

وأما الاعتبار الثاني فهو تناولنا للغلاة أصحاب التاثير الفكري والعقدي والسياسي فقد وقفنا عند هذه الفرق كثيراً وتوسعنا في تناول عقائدها وأفكارها والرد عليها ونقض أدلتها والتدليل على بطلانها مثلما فعلنا مع «الكيسانية والخطابية، ثم النصيرية» التي خصصنا لها مبحثاً مستقلاً وتناولنا فيه تاريخها ونشأتها ومعتقداتها وكشفنا عن مدى خطورتها على أمة الاسلام.

وهذا البحث عن عقائد الشيعة ومذهبهم يجيْ في وقت أحجمت فيه بعض الأقلام عن المساهمة الايجابية لصالح المسلمين ضد مخاطر التبشير بعقائد الامامية وسكتت بعض الاصوات عن الجهر بل وتحفظت بعض القوى الدولية عن إعلان رأيها وتحديد موقفها مما يجري على الأرض العربية والاسلامية من صراع فكري وعقدي وغير ذلك بين المسلمين والباطنيين والقوى المساعدة لهم أرجو الله تعالى أن يتقبل النية وأن يثيب على الجهد المبذول. وأن ينفع به طلاب العلم أنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

الرياض — أول جمادى الاولى عام ١٤٠٨ هـ.

دكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمه

المبحث الأول

أضواء على عقائد الشيعة

تمهيد تاريخي.
النشأة التاريخية وأقوال العلماء.
الجذور الشيعية في التاريخ.
علي بن أبي طالب وأحقية الخلافة.
هل تآمر أحد ضد علي بن أبي طالب؟

بسم الله الرحمن الرحيم.

أضواء على عقائد الشيعة

تمهيد تاريخي.

من الظواهر المحيرة في التاريخ الاسلامي ، هو ذلك الصدع الخطير الذي تمزقت على أثر وقوعه ، وحدة أمة الاسلام حين قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وبالرغم من أن مَدَّ الفتوحات الاسلامية لم يتوقف ونور الدعوة إلى الله لم يخفت إلا أن انقسام الأمة إلى تيارين سياسيين اعتمد كل منها على جملة مقولات عقدية ، ربما تكون أخذت أول أمرها شكل اجتهاد ، أو تأويل لكنها سرعان ما نفذت بأفكار وممارسات شعوبية ، وتطورت بثقافات أجنبية واتسع الخرق على الواقع بحيث أصبح كل تيار من التيارين خلال أقل من مائتي عام مدارس ومذاهب يكفر كل منها الآخر وأعنى بهذين التيارين : الشيعة والخوارج ، ومدارسها ومذاهبها العديدة والتي أصبح منها بعد المنطلقات الأولى اتجاهات تحمل أقصى اليمين ، وأخرى تحمل أقصى اليسار بمعنى أنه وجد من تفريعات هذين التيارين من يحمل أفكاراً يناقض بعضها بعضاً ، وأتباعاً لهذه الأفكار يلعن بعضهم بعضاً وأصبح من العسير جمع شتات هذه الأمة في اتجاه واحد كما كانت وإن كانت هناك بعض الأصوات تلغو بهذا الأمل بين الحين والآخر دون أن تكون قد أعدت له المقدمات أو المبررات المعقولة أو المقبولة من أمة تراثها العقدي وانتماؤها التاريخي من التباين والتفاوت بحيث يتعذر على كثير من المؤرخين والباحثين أن يقترب منه لمجرد التصور فضلا عن العلاج أو التصحيح . ومع ذلك فقضية وحدة أمة الاسلام لا تزال مطروحة في ظل التحديات المعاصرة كأمل مرتجى لكل المسلمين شرط أن يكون التفاهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ بدون تقريعات أو تأويلات مذهبية وانتماءات عرقية بهمة قوية وإرادة صلبة .

النشأة التاريخية للتشيُّع وأقوال العلماء.

ترى قلة قليلة من المؤرخين وكتاب المقالات في التاريخ الإسلامي أن النشأة التاريخية لمواقف التشيع التي أصبحت فيما بعد عصر الراشدين أفكارا ومبادئ أن جماعة قليلة العدد من المسلمين أصحاب رسول الله ﷺ عقب وفاة النبي محمد ﷺ بصدق نية وسلامة قصد وبغير حساسية تدفعهم أو حزازات تحركهم رأوا في موضع «الخلافة» بعد موت رسول الله ﷺ أن أهل بيته هم أولى الناس بذلك الأمر فاتفقوا وعلى غير سابق خطة مرسومة أو دعوة مسبقة على أن يشيعوا هذا الأمر الذي لم يكن يتعدّى في تفكير هذه الجماعة مجرد الرأي والنظر. ويبدو أن البوادر الأولى لهذه الخواطر كانت في الأيام القليلة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ، وقبل أن تبايع الأمة لأبي بكر، وظل هذا الخاطر في نفس جماعة من المسلمين حتى بعد أن بايع علي رضي الله عنه هو الآخر الخليفة الذي رضيت به الأمة وبايعه أصحاب رسول الله ﷺ. وعند أصحاب هذا الرأي الذي افترض على ضوء الترجمة الشيعية لسيرة بعض أعلام هذه المرحلة من عصر الخلافة الراشدة أنه لو كان أولئك الذين يرون في موضوع الخلافة اختصاص أهل بيت محمد ﷺ بما لديهم من أقوال الرسول وتوجيهاته في هذا الأمر شيئاً لجهروا به وأعلنوا للناس وقطعوا توجهاتهم إلى غير المنصوص عليه والمحدد من قبل رسول الله أما وأنه لم يحدث أن اختلف أحد حول هذا الموضوع وحول تفسير قول من الأقوال أوثر عن النبي فهذا يدل على أن أمر الخلافة قد ترك للمسلمين ليأخذوا قرارهم النهائي فيه بمحض إرادتهم وتوجههم وإن كان ﷺ قد قدم أبا بكر لقيادة أمور كثيرة وإمامته لأمور جليلة وهو ﷺ بين ظهراني المسلمين فهو أولى من غيره، ولعل هذه الاشارات كانت من بين العوامل التي حركت أصحاب رسول الله نحو مبايعة أبي بكر رضي الله عنه ولكن فريقاً من المؤرخين يرى أنه في ظل مناخ الحرية السياسية الذي كان يظلل أمة الاسلام ولا تستطيع فيه جماعة أو قبيلة أن تفرض رأيها وإرادتها على جماعة أُخرى أو على الجميع كما ظهر فيما بعد عصر الراشدين وعصور انحطاط الأمصار الاسلامية. فليس هناك ما يمنع أن تكون آراء الذين رأوا في أهل بيت محمد أحقية لا يتمتع بها غيرهم قد

أصبحت (فكراً) ثم أخذ هذا الفكر شكل دعوة بسيطة في عدد قليل من الناس وإن لم تكن هذه الدعوة تمثل رأياً عاماً إسلامياً أو تياراً سياسياً منظّماً : وحاصل هذه الدعوة عند هذا الفريق من المؤرخين أنه لا نص على الخلافة ولم يحدّد رسول الله ﷺ من يخلفه وفي ظل الرأي الذي ظهر عقب وفاة النبي ﷺ مباشرة يقول :

بأن الانصار أولى (بالخلافة) في مواجهة رأي المهاجرين الذي يقولون أيضاً بأنهم أولى بالخلافة من غيرهم ليس هناك ما يمنع افتراض وجود جماعة قد تطلق على نفسها (أصحاب علي) ترى بأن الخلافة ميراث أدبي مجتهدين في ذلك بقولهم لوكان النبي يورث في ماله لكانت قرابته هي أولى الناس بأرثه ، وقاسوا على هذه الأرث أمر الخلافة وانطلقوا في هذا الرأي الذي أصبح فيما بعد بتأثير المعتقدات الوافدة (معتقداً) لما لم يجدوا أمامهم من طريق صحيح ما يفيد بأن الرسول ﷺ عيَّن (عليّاً) رضي الله عنه أو أحد أقربائه ﷺ ممن هو أكبر من علي وألصق وأقرب رحماً : تلك هي البدايات الأولى والمبكرة التي ظهرت فيها الميول والآراء التي يمكن أن تكون جذراً تاريخياً للتشيع في البيئة الاسلامية قبل أن تتدفق الأفكار والمعتقدات الخارجية لتمزج بين هذا الأصل وتطوره إلى ما عرف بعد ذلك من الفرق والمذاهب والمدارس التي انطلقت من المواقف الأولى التي ارتآها بعض المسلمين في حق بيت علي رضي الله تعالى عنه في الخلافة وغيرها.

الجذور الشيعية في التاريخ

بعض العلماء المعاصرين وخاصة الذين عنوا عناية خاصة بتفسير اتجاهات ودوافع اصحاب المقالات يرون أن تحليل المواقف المبكرة في عصر صدر الاسلام ودراسة جوانب السلب والايجاب في شخصية بعض المسلمين وخاصة أولئك الذين اعتزلوا ميادين الاختلاف في الرأي بعد عصر الخلافة الراشدة وعقب مقتل عثمان تشير إلى أن الجماعة القليلة العدد المحدودة التأثير التي قد تسمح لما يمكن أن يكون حديث نفس أو قد يرضيها ما قد يقال من أن علياً رضي الله تعالى عنه قد يكون أحق بالخلافة من غيره لم تأخذ موقفاً ايجابياً من هذا الرأي أو هذا الاعتقاد إذا صح التعبير

غير أن الجيل الثاني لهذه الجماعة بعد عصر الخلافة الراشدة وظهور عدد من الحوادث الدامية بين أبناء أمة الاسلام وخاصة في معارك الجمل وصفين وحروراء أخذت تطور الفكرة التي ارتأتها بفعل عوامل كثيرة من أهمها الاختلاط بالفكر غير العربي ولا الاسلامي وأخذت تتسع قواعد الجماعة وتستحضر مقولات مذهبية وإن كانت من غير البيئة العربية وبعيدة عن الاجتهاد وضوابطه حتى انتهى بهم الحال إلى أن عرفوا في الميدان التاريخي وعند كتاب الفرق والملل والأهواء والنحل بذلك الوصف الذي عرفهم به الشهر ستاني حين يقول بالتعريف بهم (الشيعة) : هم الذين شايعوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ،أو (تقيه) من عنده وقالوا ليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بتنصيبهم ، بل هي قضية أصولية ، هي ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام اغفاله أو أهماله وتفويضه إلى العامة. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولا وفعلاً وعقداً إلا في حال (التقية) وهم خمس فرق : كيسانية ، زيدية ، إمامية ، غلاة ، إسماعيلية ، ويميل بعضهم في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه[1] وهذا الأصل الواسع الذي انطلقت منه أقوال الشيعة هو «الايديولوجية» التي لازمت من مدارس التشيع «الامامية» على وجه الخصوص والذي بدأت منه وتفرعت وتعددت وتنوعت الفرق والمذاهب الشيعية بعد أن تعرضت للأفكار الوافدة وتأثرت بالغزو الأجنبي الذي ظل يفرز في أمة الاسلام مقولات شعوبية كادت للاسلام وأهله فترة طويلة واثقلت كاهل الأمة بذلك العبء التاريخي الذي تمثل في ذلك التناقض العجيب الذي تمتلئ به معسكرات الفرق التي يفترض فيها أنها تتوجه إلى قبلة واحدة.

علي بن أبي طالب وأحقية الخلافة :

حول هذا الموضوع الشائك تطالعنا الروايات التاريخية والحديثية بما يحتاج إلى

(١) الشهرستاني «الملل والنحل» جـ ٢ ط صبيح القاهرة ص ٦٨.

تدبر والوقوف أمامه. ذلك لأن وجهات النظر في تفسير النصوص حول هذا الموضوع قد ذهب بعضها إلى أقصى موقف يقفه أصحاب دين بعضهم من بعض، ولا يزال الأمر معلقاً لليوم وحول هذا الموضوع يروي البخاري براويته عن ابن عباس أن علياً رضي الله عنه خرج من عند الرسول ﷺ في وجعه الذي مات فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟

قال: قد أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس رضي الله عنه وقال: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول لله ﷺ سيتوفى في وجعه هذا إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا. فقال علي: أما والله لئن سألناه فمنعناها، لن يعطناها الناس من بعده، وإني والله لا أسالها.

هذه الرواية التي ساقها الإمام البخاري عن ابن عباس في تصوير هذا الموقف الدقيق والجليل لعلي رضي الله عنه من موضوع الخلافة التي لم يَرَ فيها مبرراً يدفعه لأن يسألها من رسول الله ﷺ طالما هو ﷺ لم يذكرها له ولا لأحد من أهل البيت لا يستطيع أحد من علماء الشيعة المعتدلين منهم أو المتشددين أن يطعن في صحتها فهي وإن كانت عند أهل السنّة من رواية البخاري إلا أنها عن ابن عباس وإلا لوقعوا هم أيضاً في محظور يعملون على تجنبه وهو أن لا ترفض رواية علماء رجالهم والتي ينسبونها بأسانيدهم إلى ابن عباس ومع أن المصادر الشيعية تنظر إلى عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وجابر بن عبد الله وابن عباس وأبي بن كعب على أنهم كانوا يرون أولوية علي بن أبي طالب في الخلافة على أبي بكر. إلا أن الثابت عند غير الشيعة أن هؤلاء الكرام لم يشكلوا تنظيماً في مواجهة أبي بكر ولم يسقطوا عدالته ولا صحة خلافته. وخاصة بعد أن رآوا علياً رضي الله وقد أقبل على بيعة أبي بكر والصلاة وراءه بعد أن انتهى الجميع من دفن الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه ولقد ساهم علي رضي الله عنه في الحياة العامة وولى أموراً للمسلمين من قبل الخلفاء الثلاثة قبله وصلى وراءهم رضي الله عنهم جميعاً ولو كان أمام علي رضي الله

عنه بعضاً من توجيهات النبي بشأن الخلافة أو كان الرسول حدّد الخلافة في بيته أولاً في أفراد بأعينهم لما قعد (علي) عن الجهر بهذا الأمر ونصرة صاحبه هذا ويتعين على الراغبين في الحق أن يدركوا أنه في موضوع جليل كهذا فإن القيام بالمسئولية نحو أمر دعا إليه الرسول لن يقعد عنه أحد من أصحاب رسول الله وسواء أكانت المبادرة للاستجابة والتنفيذ من جانب علي رضي الله تعالى عنه وأهل بيته أو من جانب الصديق أبي بكر فإن سيرة هؤلاء الكرام تدل على ذلك.

فضلاً عن أن الصديق رضي الله عنه ما كان سيعرض نفسه للخلافة ناهيك عن أن يتآمر عليها لغيره إن كانت قد نص عليها من قبل النبي محمد ﷺ. ومن هنا فلم يطعن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ في صحة خلافته وبيعته ولم يقل أحد بعدم كفاءته لها وكانت العلاقة بين علي بن أبي طالب وأبي بكر وعمر وعثمان طوال خلافة الثلاثة رضوان الله عليهم على خير وأفضل وأعظم ما تكون العلاقة بين صفوة من أصحاب رسول الله ﷺ. كما أنه لم يسجل أحد أو يقل بأن نوعاً من الحساسية أو القطيعة كان بين واحد من أهل البيت وعلي بن أبي طالب في المقدمةوبين واحد من الخلفاء الثلاثة بل أن علياً رضي الله عنه، زوج أبنته أم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها لعمر بن الخطاب وهو في الخلافة. فما المبرر المقبول أو المعقول الذي يمكن به تفسير هذا العمل، لوكان عمر بن الخطاب بقبوله (الخلافة) يمثل عدواناً أو تعطيلاً لشرع تركه النبي ﷺ بشأن الخلافة.؟!

وقد ثبت أن الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم كانوا جميعاً يأخذون برأي علي ويشركونه معهم في معظم أمور المسلمين بل أنه يمكن القول وبغير مراء أن وظيفة قاضي القضاة أو ما يسمى وزير العدل كانت حكراً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وليس صحيحاً ما يروى بين سياق كلام بعض المؤرخين وخاصة الشيعة من أن علياً كان يرى نفسه أولى بالخلافة من سابقيه. وليس صحيحاً أيضاً ما يقال بأن علياً يحتج على الخلفاء بأنه وأهل بيته الثمرة وغرس الشجرة والثمرة خير ما في الشجرة فلو كان ذلك صحيحاً وكان ذلك رأي علي بالفعل، لكان مبنياً على نص، ولكان جميع أصحاب رسول الله ﷺ له ممتثلين ولما فيه مذعنين، نعم لو كان هناك من

النصوص النبوية أمام علي رضي الله تعالى عنه دع عنك أن لو كان في كتاب الله تعالى من شيء حول هذا المعنى لما بايع على أبا بكر وإلا اتُّهم بالقعود عن المطالبة بحق ولو كان رسول الله ﷺ أمر به لكان ديناً، وعدم العمل به والجهر بما يتضمنه والقعود دون القيام به، تقصير وخذلان، يأثم الجميع بتركه، ولو كان الأمر كذلك أعني لو كان رسول الله ﷺ قد ترك بين الناس ما يفيد التعيين أو التنصيص على من يقوم بالخلافة من بعده من أهل بيته، لما قبل الصديق الخلافة وكيف يتصور قبولها لنفسه بينما هي منصوص عليها لغيره، فقبوله رضي الله عنه لها دليل على أنه لم يكن هناك نص لشخص بعينه يلي أمر المسلمين بعد النبي ﷺ، ولو فسرت الشواهد والمواقف التي سبقت موت النبي ﷺ لكانت إمامة أبي بكر للمسلمين وللرسول ﷺ في مرضه الذي مات فيه خير برهان لتزكية أبي بكر للخلافة قبل غيره من الناس جميعاً.

هل تآمر أحد ضد علي بن أبي طالب؟؟

دراسة المصادر الشيعية بكافة مستوياتها تقول بلا تحفظ أن الشيعة الإمامية على وجه الخصوص تمتلئ صدورهم وتنطوي جوانحهم على اعتقاد يقول: بأن أصحاب رسول الله ﷺ عقب موته انقضوا على أهل بيته وخاصة علي بن أبي طالب فنزعوا من أيديهم كل ما تركه رسول الله لهم من حق الدين والدنيا. كما توحي المصادر بأن علياً عقب بيعة السقيفة صودرت حريته وأخذ حقه، ولم يوكل إليه من أمور القيادة أو الريادة ما كان به جديراً، كما يطالع الباحث من المفتريات في هذا الباب الشيء الكثير إذ تتوسع بعض المصادر الشيعية وتقول عبر سلسلة من الروايات الملفقة إن علياً عاش على هامش المجتمع وفي الظل السياسي، لم تحترم مكانته من رسول الله ولم توظف قدراته ولم يستفد بعلمه.

وأمام هذه المفتريات رحنا نتابع ما في تراث القوم من بعض أوجه الحق الذي لم تطمسه الأحقاد ولم تضيعه عمليات التحريض والوضع لكي نرى ما الذي انتهى إليه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهل حقاً أضاعه أصحاب رسول الله ﷺ أم

حفظوه. وهل حقاً كانت هناك من قبل أصحاب رسول الله ﷺ مؤامرة ضده. وتطالعنا الأخبار وبحوث العلماء الثقاة وقائع وحوادث ومواقف تدل على خلاف ما تقوله المصادر المعتدية والمحرفة.

ذلك أن علي بين أبي طالب رضي الله عنه لم يكن في يوم من الأيام على هامش الحياة الإسلامية. بل إن الخلفاء الثلاثة كانوا يرجعون عما قرروه إذا أرتأى على غير ما ذهبوا إليه. ومن ذلك مثلا ما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استدعى امرأة كانت تتحدث عندها الرجال، فلما جاءها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فأملصت ووقع إلى الأرض ولدها يستهل ثم مات فبلغ عمر ذلك فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسألهم عن الحكم في ذلك فقالوا بأجمعهم: نراك مؤدباً، ولم ترد إلا خيراً، ولا شيئ عليك في ذلك وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم في ذلك فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال: قد سمعت ما قالوا: قال: فما عندك؟ قال قد قال القوم ما سمعت، قال: أقسمت عليك لتقولن ما عندك، قال: إن كان القوم قاربوك فقد غشوك وإن كانوا أرتأوا فقد قصروا الدية على عاقلته لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك فقال: أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية عليَّ. ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

وأيضاً عن يونس عن الحسن أن عمر أتى بأمرأة قد ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ويقول جل وعلا (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فإذا أتمت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر، فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون وقد أخذ عنه إلى يومنا هذا. فهل كان علم علي وفقهه عصر الخلفاء مهملاً كما يقول المفترون على أصحاب رسول الله ﷺ.

وفي التدليل والبرهنة على الدور الشرعي الذي كان فيه علي بن أبي طالب يمثل

قاضي القضاة عصر الخلفاء الذين سبقوه ، تجيء تلك النماذج المضيئة فقد جاء في كتب الشيعة أنفسهم أن امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها ، فأمر برجمها وكانت ذات بعل ، فقالت : « اللهم إنك تعلم أني بريئة ، فغضب عمر وقال : وتجرح الشهود أيضاً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ردوها واسألوها فلعل لها عذراً ، فردت وسئلت عن حالها فقال : كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء ولم يكن في إبل أهلي لبن وخرج خليطنا وكان في إبله لبن ، فنفذ مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي فأبيت ، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله أكبر (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) فلما سمع ذلك عمر خلّى سبيلها[1] .

وعمل الفاروق في جميع هذه القضايا بقضاء علي ، ونفّذ ما قاله لأنه كان يقول حسب رواية شيعية : على أقضاناً[2] .

فهذه قضاءاته وتلك مشوراته ، أفبعد هذا يمكن القول بأن علياً كان يخالف عمر رضي الله عنهما ، أو كان بينهما شيء؟ أو يقال أنه لم يبايعه هو وذووه . أو هل يمكن أن يقال : أنه كانت هناك من قبل أصحاب رسول الله ﷺ مؤامرة ضده .

هذا ولقد ذكر المؤرخون أن الفاروق رضي الله عنه أناب المرتضى رضي الله عنه ثلاث مرات في الحكم وعلى عاصمة المؤمنين سنة ١٤ من الهجرة عندما أراد غزو العراق بنفسه ، وسنه ١٥ عند شخوصه لقتال الروم »[3] .

وعند خروجه إلى أيلة سنة ١٧ من الهجرة[4] .

---

(١) الأرشاد ، ص ٣١٢ .

(٢) الأمالي للطوسي ، جـ ١ ص ٢٥٦ ط نجف .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ٢ جزء ٨ ص ٣٧٠ .

(٤) المصدر السابق .

ولأجل ذلك قال علي رضي الله عنه لما عزموا على بيعته : أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً[1] يشير بذلك إلى وزارته أيام الصديق وخاصة عصر الفاروق رضي الله تعالى عنه ولأجل ذلك كان يقاتل هو وبنوه وأهله وذووه تحت رايته ، ويقبلون منه الغنائم والهدايا والجواري والسبايا ولو لم تكن خلافته حقاً لما كان القتال تحت رايته جهاداً ، ولم يكن الجواري والأماء جوارياً وإماء ، ولم يجز قبولها والتمتع بها ، وقد ثبت هذا كله ، وكما روى الشيعة أن حسن بن علي سبط رسول الله ﷺ قاتل تحت لواء الفاروق وجاهد أيام خلافته وتحت توجيهاته وإرشاداته في الجيش الذي أرسل إلى غزو إيران ويقولون : إن في أصفهان مسجداً يعرف بلسان الأرض ، ولقد سمي بهذا الأسم لأن حضرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لما جاء إلى أصفهان أيام خلافة عمر بن الخطاب مجاهداً في سبيل الله غازياً وفاتحاً لهذه البلاد مع عساكر الإسلام نزل في موضع هذا المسجد فتكلمت معه الأرض فسميت هذه البقعة لسان الأرض لتكلمها معه[2] .

وأما ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين وصاحب الود والحياء حب رسول الله وزوج أبنتيه رقية وأم كلثوم ، وعديم النظير في هذا الشرف الذي لم ينله الأولون ولا الآخرون في أمة من الأمم ، وعديل علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، وأول مهاجر بعد خليل الله عليه السلام ، الذي حمل راية الإسلام وأداها إلى آفاق لم تبلغ إليها من قبل وفتح على المسلمين مدناً جديدة وبلاداً واسعة شاسعة ، وأمد المسلمين من امدادات كثيرة وشرى لهم بئر رومة حينما لم يكن لهم بئر يستقون منها الماء بعد هجرتهم إلى طيبة التي طيبها الله بقدوم صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، كما اشترى لهم أرضاً يبنون عليها المسجد الذي هو آخر مساجد الأنبياء.

ولم تكن امداداته هذه ومساعداته لعامة المسلمين ومصالحهم الأجتماعية مثل تجهيز جيش العسرة وغيرها فحسب بل كان خيراً جواداً كريماً منفقاً الأموال وناثرها على الخاصة كما كان على العامة سخياً معطاءً.

---

(١) نهج البلاغة ص ١٣٦ تحقيق صبحي.

(٢) تتمة المنتهي للعباس القمي ص ٣٩٠ ط إيران.

وهو الذي ساعد — الإمام المعصوم الأول الذي يعدونه أفضل من الأنبياء والمرسلين وملائكة الله المقربين — علي بن أبي طالب — رضي الله عنه في زواجه وأعطاه جميع النفقات كما يقر بذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنفسه : إني لما تقدمت إلى رسول الله ﷺ طالباً منه زواج فاطمة قال لي : بع درعك وأتني بثمنها حتى أهيئ لك ولأبنتي فاطمة ما يصلحكما قال علي : فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال : يا أبا الحسن ، ألست أولى بالدرع وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت : نعم : قال : فإن هذا الدرع هدية مني إليك ، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير[1] .

وعلى ذلك كان ابن عم رسول الله ﷺ عبدالله بن عباس يقول : رحم الله أبا عمرو (عثمان بن عفان) كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة ، هجاداً بالأسحار كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضاً عند كل مكرمة ، سباقاً إلى كل منحة ، حبيباً ، أبياً ، وفياً ، صاحب جيش العسرة ، ختن رسول الله صلى الله عليه وآله[2] .

هذا وقد أشهده رسول الله ﷺ فيمن أشهده على زواج علي من فاطمة كما يروون عن أنس أنه قال عليه الصلاة والسلام : انطلق فادع لي أبا بكر وعمرو وعثمان .. وبعددهم من الأنصار ، قال : فانطلقت فدعوتهم له فلما أن أخذوا مجالسهم قال .....إني أشهدكم إني قد زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال من فضة[3] .

---

(١) المناقب للخوارم ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ط نجف «كشف الغمة» للأربلي جـ ١ ص ٣٥٩ ، بحار الأنوار ، للمجلسي ص ٣٩ ، ٤٠ ط إيران.

(٢) تاريخ المسعودي ، جـ ٣ ص ٥١ ط مصر أيضاً ، ناسخ التواريخ للمرزه محمد تقي ج ٥ ص ١٤٤ ط طهران.

(٣) كشف الغمة جـ ١ ص ٣٥٨ ، أيضاً المناقب للخوارزمي ص ٢٥٢ ، بحار الأنوار للمجلسي جـ ١٠ ص ٣٨.

وكفى لعلي فخراً بأن رسول الله ﷺ زوجه احدى بناته فاطمة وأدخله بذلك في أصهاره وأرحامه وهذا الذي جعل الشيعة يقولون بأفضلية علي وأمامته وخلافته بعده فكيف إذا زوج ابنتين لرسول الله ﷺ الذي زوجه بنتاً بعد بنت؟ وكفى لعثمان فخراً بأنه كان هو المنفق على الزواج والمهيئ له الأسباب وأحد الشهود عليه كما أنه يكفيه فخراً بأنه لم ينل في الدنيا أحد مثل ما ناله هو من الشرف والمكانة حيث تزوج من ابنتي نبي الله ﷺ ولم يوجد له شبيه ونظير في مثل ذلك لأن عثمان تزوج بنته رقية بمكة وأيضاً بأمر من الله سبحانه وتعالى لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وبعد وفاتها زوجه رسول الله ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم رضي الله عنها كما يقر ويعترف بذلك علماء الشيعة أيضاً، فها هو المجلسي — وهو الشيعي المتعصب المشهور واللعان السباب المعروف — يذكر ذلك في كتابه «حياة القلوب» نقلاً عن ابن بابويه القمي بسنده المعتمد عليه بقوله:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله ولد له من خديجة القاسم وعبد الله الملقب بالطاهر وأم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة وتزوج علي من فاطمة وأبو العاص بن ربيعة من زينب، وكان رجلاً من بني أمية كما تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم وماتت قبل أن يدخل بها، ثم لما أراد الرسول خروجه إلى بدر زوجه من رقية.

وأورد الحميري رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة القاسم والطاهر وأم كلثوم ورقية وفاطمة وزينب فتزوج علي عليه السلام فاطمة عليها السلام وتزوج أبو العاص بن ربيعة وهو من بني أمية زينباً وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم ولم يدخل بها حتى هلكت وزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله مكانها رقية[1].

وروى بمثل هذه الرواية العباس القمي في «منتهى الامال» عن جعفر الصادق والمامقاني في «تنقيح الرجال»[2].

---

(١) قرب الأسند، ص ٧٦.

(٢) المنتهي، جـ ١ ص ١٠٨، التنقيح جـ ٣ ص ٧٣.

وأقر بذلك الشري حيث كتب :

«وما كان عثمان دون الشيخين صحبة ولا سابقة ، فهو من المسلمين الموقرين ، وهو صهر الرسول مرتين ، تزوج ابنة الرسول رقية ، وولد له منها ولد ، عبد الله توفي وعمره ست سنين وكانت أمه توفيت قبل وفاته ، وزوجه النبي بنته الثانية أم كلثوم فلم تلبث أم كلثوم معه طويلاً وتوفيت في أيام أبيها[1] .

ولقد ذكر المسعودي تحت ذكر أولاده ﷺ :

«وكل أولاده من خديجة خلا ابراهيم وولد له صلى الله عليه وآله القاسم وبه كان يكني وكان أكبر بنيه سناً ، ورقية وأم كلثوم وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب (عمه) فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجها عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة»[2] .

ورداً على من ينكرون رقية وأم كلثوم بنات النبي نذكر رواية من الكليني والعروسي الحويزي تحت باب مولد النبي : وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة فولد له منها قبل مبعثه عليه السلام القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم وولد له بعد المبعث الطيب والطاهر وفاطمة عليها السلام[3] .

هذا ولقد شهد بذلك علي بن أبي طالب أيضاً كما شهد لعثمان بالإيمان والصحبة وعلماً مثل علمه ومعرفة مثل معرفته وسبقاً في الإسلام مثل سبقه وهذا كله في كلامه الذي قال لعثمان حينما سأله الناس مخاطبته إياه : «فدخل عليه فقال : إن الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم ووالله ما أدري ما أقول لك ما أعرف شيئاً تجهله : ولا أدلك على امر لا تعرف ، إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه . وقد رأيت كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا . وما ابن قحافة ولا ابن الخطاب بأولى

---

(١) كتاب أمير المؤمنين لمحمد جواد الشيعي تحت عنوان علي في عهد عثمان ص ٢٥٦ .

(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٩٨ ط مصر .

(٣) الأصول من الكافي جـ ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، نور الثقلين للعروسي جـ ٣ ص ٣٠٣ .

بالعمل منك ، وأنت أقرب إلى أبي رسول صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره ما لم ينالا . فالله الله في نسك فإنك والله ما تبصر من عمي ولا تعلم من جهل»[1] .وكان علي يرى صحة إمامته وخلافته لأجتماع المهاجرين والأنصار عليه وكان يعد خلافته من الله رضى ، ولم يكن لأحد الخيار أن يرد بيعته بعد ذلك أو ينكر إمامته حاضراً كان أم غائباً كما قال في إحدى خطبه رداً على معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما : إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان الله رضي فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه ، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى[2] .

وكان هو أحد الستة الذين عينهم الفاروق ليختار منهم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، ولما بايعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعدما استشار أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار ، ورأى بأنهم لا يريدون غير عثمان بن عفان رضي الله عنه بايعه أول من بايعه ، ثم تبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

«فأول من بايع عثمان عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب»[3] .

ويذكر ذلك علي المرتضى بقوله : لما قتل (يعني الفاروق) جعلني سادس ستة فدخلت حيث أدخلني وكرهت أن أفرق جماعة المسلمين وأشق عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته»[4] .

وقال : لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا على خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله[5].

---

(١) عيون أخبار الرضا جـ ١ ص ٣٠٣ ط طهران.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٦٨ تحقيق صبحي.

(٣) طبقات بن سعد جـ ٣ ص ٤٢ ط ليدن ، أيضاً ، البخاري باب قصة البيعة والأتفاق على عثمان بن عفان.

(٤) الأمالي ، للطوسي جـ ٢ الجزء ١٨ ص ١٢١ ط نجف.

(٥) نهج البلاغة ، تحقيق صبحي صالح ص ١٠٢.

وكتب تحته ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي في شرحه أن عبد الرحمن بن عوف قال لعلي: «بايع إذاً وإلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين... فقال: لقد علمتم أني أحق بها من غيري... ثم مد يده فبايع»[1].

وكان من المخلصين الأوفياء له مناصحاً: مستشاراً، أو قاضياً كما كان في خلافة الصديق والفاروق ولقد بوب محدثوا الشيعة ومؤرخوها أبواباً مستقلة ذكروا فيها أقضيته في خلافة ذي النورين رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد ذكر المفيد في «الإرشاد» تحت عنوان «قضايا علي في زمن إمارة عثمان» ذكر فيها عدة قضايا حكم بها علي ونفذها عثمان رضي الله عنه فيقول:

إن امرأة نكحها شيخ كبير فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها فالتبس الأمر على عثمان وسأل المرأة هل افتضك الشيخ؟ وكانت بكراً قالت: لا فقال عثمان: أقيموا عليها الحد فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض فحملت منه، فاسأل الرجل عن ذلك؟ فسئل فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمل له والولد ولده، وأرى عقوبته على الأنكار فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه[2] وأيضاً ذكروا له أن رجلاً كان له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها وورث ولدها زوجها ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فارتفعا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي ويقول: هي امرأتي ولست مفرجاً عنها، فقال عثمان: هذه مشكلة وأمير المؤمنين حاضر فقال عليه السلام: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟ فقالت: لا فقال: لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته، إذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك[3].

---

(١) ابن أبي الحديد، أيضاً، ناسخ التواريخ جـ ٢ كتاب ٢ ص ٤٤٩ ط إيران.

(٢) الإرشاد ص ١١٢، ١١٣ مكتبة بصيرتي قم، إيران.

(٣) أيضاً ص ١١٣.

وروى الكليني في صحيحه عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال :

أن الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعلي عليه السلام : اقض بينه وبين هؤلاء الذين زعموا أنه شرب الخمر فأمر علي عليه السلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة[1] . فهل بعد كل ذلك التواجد في عهدي عمر وعثمان لعلي بن أبي طالب تكون هناك مؤامرات ضده . ؟؟

(١) الكافي في الفروع جـ ٧ ص ٢١٥ ، باب ما يجب فيه الحد من الشراب .

المبحث الثاني

الشكل السياسي للفكرة الشيعية.
تنمية الأفكار الشيعية.
أثر الثقافة الفارسية في الفكرة الشيعية.
التشيع وأبعاده العقدية.
زيف هذا المعتقد وبطلانه.

الشكل السياسي للفكرة الشيعية :

طوال عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بل معظم عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يؤثر أن العناصر القليلة في المجتمع الإسلامي التي كانت ترى أن الخلافة ميراث تنحصر في بيت النبي بدءاً من علي بن أبي طالب أو العباس وأبنائه على ضوء القول الذي يقول إنهم أولى بالخلافة من غيرهم شكلت تياراً سياسياً في مواجهة رأي واجماع الأمة وقد تكون (الفكرة) في هذه المرحلة نحو أولوية أهل البيت للخلافة عند هذه القلة من قبيل الخواطر أو حديث النفس وخاصة عند أولئك الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام من بلاد العجم الذين كانوا بالأمس القريب ينظرون إلى بيوت كسرى وقيصر بنوع من الإجلال والإكبار فعندما قارنوا بين فساد وظلم بيوت حكام الأمس وبين طهر وسماحة أهل بيت النبي ﷺ فنمت أفكار الولاء أو الشعور بالأولوية لهذا النمط الطاهر من البشر على أنه أولى بولاية أمر المسلمين من غيرهم. وحتى نهاية عصر عثمان ووقوع الفتنة التي أعقبت مقتله والقول بالتشيع لا يمثل رأياً محدد المعالم يعتمد على الحجة والبرهان ومن ثم فلم يكن هذا الرأي يمثل ثقلاً سياسياً أو معارضة جادة تمثل أغلبية أو رأياً راجحاً. وفي عهد الخلافة الراشدة أتيح للإمامين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يقهرا حركة الردة التي قادها أهل نجد بقيادة مسيلمة وأمكن للخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم أن يوحدوا الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام بعد أن أزاحوا عنها قهر الاحتلال الرومي والفارسي وحقق المسلمون بوحدة الاتجاه العقدي ضد أعدائهم انتصارات عظيمة أذهلت علماء التاريخ حتى اليوم.

تنمية الأفكار الشيعية :

تقول بعض مصادر التاريخ إن القوى السياسية التي كانت تنضوي تحت لواء عروش كسرى وقيصر والمعتقدات التاريخية لهاتين الدولتين أضيف إليها التراث العقدي للتحريفات اليهودية والمسيحية وجدت نفسها خلال أقل من نصف قرن من عمر الإسلام مدحورة متوارية أمام نور الإسلام ومد عطائه وقوة سلطانه ، لكن الكهانة المضروبة والسلطان المنهزم والشر المتوارى لم يسكت فخططت هذه القوى مجتمعة بعد أن كانت احتجبت طوال عصر الراشدين خططت بظلمها وظلامها ضد الحق والخير في الإسلام ، واستهدفت عقيدة التوحيد ونظام الحكم الذي أشرف على المظلومين فاستردوا به حقهم وحريتهم في الحياة وكانت الخطة الخبيثة متعددة الجوانب متشعبة المسالك. فلم يجدوا أمامهم بعد عصر الراشدين سوى أن يطرحوا في المجتمع الإسلامي فلسفة التأويل والتمثيل والمقارنات وأن يشيعوا في الناس (فكرة) أن آل بيت رسول الله ﷺ أولى وأحق بالخلافة بحكم أنها ميراث أدبي بزعمهم من أولئك الذين اغتصبوها. وكان الهدف الخبيث الكامن وراء هذه المقولة يحمل أبعاداً عديدة منها وبالدرجة الأولى إشعار المسلمين بأنهم إنما يقاتلون خلف قيادات اغتصبت الخلافة أو على أقل تقدير إن لم يكونوا اغتصبوها فهم لا يستحقونها ومثل هذا الاعتقاد كان كفيلاً لو سرى وذاع وشاع لأوقف المد الإسلامي الذي لم يتوقف بعون من الله خلال أكثر من قرن من الزمان.

وعن تنمية الأفكار والمقولات الشيعية بزاد أجنبي وفكر أعجمي يقول استاذ الشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية (الأستاذ النيفر) فتولى مهرة رجال الفرس أمرها وكانوا قوة مؤهلة لها. فمنهم من تولى السعي لإفساد دين العرب الذين انتصروا بتعاليمه وجمعه لكلمتهم على الفرس وغيرهم. ومنهم من تولى السعي للإفساد السياسي بتحويل الخلافة إلى العلوين. ولما لم يجدوا منهم لزهدهم في الدنيا من يواتيهم على كل عمل ولو غير مشروع في الدين حولوها إلى العباسيين ثم صاروا يكيدون للعباسيين.

ويقول العلامة المحقق أبو بكر العربي الأندلسي في كتابه (العواصم من القواصم) تشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مرنوا أيام الحكم الفارسي على تعظيم البيت المالك. فلما دخلوا الإسلام، نظروا إلى النبي ﷺ نظرة كسروية، ونظروا إلى أهل بيته نظرتهم إلى البيت المالك، فلما مات النبي ﷺ رأوا أن أهل بيته أحق بالخلافة من غيرهم.

وتشيع آخرون لأنهم رأوا الانتقام من الإسلام، فتظاهروا بالغلو فيه خديعة ومكراً، ومن ضروب التشيع الغلو في الإمامة وغيرها. وفي هذا يقول الشيخ رشيد رضا: إن زعماء الفرس لم يكونوا أبداً مخلصين لهم ولا لدينهم بل كانوا زنادقة من اليهود والفرس يريدون من التشيع تفريق كلمة العرب وضرب المسلمين بعضهم ببعض لإسقاط ملكهم ولا يزال الغلاة منهم يلعنون عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي كان يزيد أهل البيت على الخمس ويفضلهم على أولاده.

أثر الثقافة الفارسية في الفكرة الشيعية:

مع اتساع الفتح الإسلامي وتحريره أمما وشعوباً غير عربية وانضوائها تحت راية الإسلام خمدت ثقافات غير إسلامية أمام المد الإسلامي كما قلنا وكانت هذه الثقافات ترتكز على عقيدة في الإله عند الفرس واليهود قوامها التجسيم والتشبيه والحلول والتناسخ وغير ذلك، ولكنها مع اتساع الساحة الإسلامية واستغلالها في كل ضروب الحياة وخاصة حرية الرأي التي لم يحجر فيها الإسلام على إنسان برزت هذه الثقافات في شكل أحقاد شعوبية وقومية ضد الإسلام وأهله فتطورت فكرة التشيع حتى ظهر من يقول إن الإمامة ليست من المصالح التي تفوض إلى الأمة بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز للنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين أمام لهم ويكون معصوماً.. وأخذ هذه المبدأ الذي اقتحم اصحابه الحياة الإسلامية لكي يدسوا على المسلمين في هذه القاعدة أفكارهم حتى قالوا إن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات

وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها ، بل يؤلفونها في أغلب الأحوال ، وهي في معظم ما يستشهدون به وما يقدمونه تطرح افكاراً ونصوصاً لم يعرفها المسلمون ولا نقلة الشريعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعلماء الأمة . وأهم وأخطر ما استشهد به الغلاة انطلاقاً من هذه القاعدة بعد عصر اتساع الفتح الإسلامي بأثر من الدس الفارسي واليهودي فكرة (الوصي) فقد لقبوا علياً بـ (الوصي) وهكذا ، أي أن الخلافة عندهم ليست قضية تتصل بالحرية السياسية والحرية الأجتماعية في الإسلام والتي وضع خير تعبير عنها وهو ما يعرف بالشورى أو كما هو بلغة المحدثين ما يسمى (بالانتخاب الحر) بل قضية تتصل بالجذر التاريخي لها في بيت كل من كسرى وقيصر وهو النص والتعيين وقد أدى القول بهذا الإعتقاد في الساحة الإسلامية إلى القول بأمور منها : اعتقاد عصمة الائمة علي ومن يجيء بعده من ولده فلا يجوز عليهم الخطأ ولا يصدر منهم إلا الصواب ، ومنها رفع مقام علي على غيره من الصحابة ، كأبي بكر وعمر وعثمان. ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنه منذ البداية المبكرة لهذا الأعتقاد انقسم التيار الشيعي إلى عدة مواقف وجملة تفسيرات فيما ذهب إليه المتقدمون حول الإمامة والخلافة وغيرهم : والصوت العاقل المعتدل الذي حاول الباحث أن يعثر عليه في تاريخ الفرق (الشيعية) مثل : ابن أبي الحديد الذي كان من معتزلة الشيعة ومعتدليهم قليل جداً ، وربما يكون على ضؤ ما عندهم من قواعد يتعاملون بها مع غيرهم مثل (التقية) التي جعلوا منها تقريراً إلى أن يكون لكل ظاهر باطناً .. وقواعد الظاهر والباطن من الأمور التي لا تخضع لقواعد ثابتة فقد يكون الرجل غير صادق فيما ذهل إليه لكنه وعلى ضوء التراث المنسوب إليه يقول عن علي رضي الله عنه رأياً ربما يختلف به عن رأي الكثرة الكثيرة من الشيعة الغلاة.

يقول : أن علياً أفضل الناس في الآخرة وأعلاهم منزلة في الجنة وأفضل خلق الله في الدنيا. وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب ، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه وتعالى وخالد في النار مع الكفار والمنافقين إلا أن يكون ممن ثبتت توبته ومات على توبته وحبه علياً .. فأما الأفضل من المهاجرين والأنصار الذين قبله فلو أنه أنكر أمامتهم وغضب عليهم فضلاً عن أن يشهر عليهم السيف أو أن يدعو

إلى نفسه لقلنا أنهم من الهالكين كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله (هذا فيما يرويه ابن أبي الحديد) قال لعلي حربك حربي وسلمك سلمي وأنه قال اللهم : وال من والاه وعاد من عاداه ، وقال له لا يحبك إلا مؤمن ولا يغضبك إلا منافق لكنا رأيناه رضي الله عنه رضي إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ولا نتجاوز ما اشتهر عنه.

وإذا أدركنا أن هذا هو مذهب ابن أبي الحديد الشيعي الأعتزالي المعتدل والذي يبدو واضحاً من بين سياق ما أورده ارتباطه بما يؤثر عن علي لا بما يكون قد نص عليه رسول الله أو وجه إليه في هذا الأمر فندرك إلى أي حدّ أبتعد الغلاة من الشيعة عن الحق.

التشيع وأبعاده العقيدية :

تقول بعض الدراسات النقدية في علوم العقيدة ، إن العقيدة الشيعية سلباً وأيجاباً هبوطاً وصعوداً في ظل مذاهب متفرقة وفدت من الدس الفارسي واليهودي الذي أشرنا إليه حتى انتهت بجماعة من الشيعة عرفوا أمام المؤرخين بإسم (الشيعة الغلاة) وهم الذين لم يقتصروا على القول بأن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أو أنه على ضوء ما ادعوا تصريحاً وتلويحاً تجب إمامته قبل غيره بل رأوا في عقيدتهم الشيعية الموالية في على ما يمكن أن يخرجهم عن ملة الإسلام وما يحول بينهم وبين اعتناق عقيدة التوحيد الصحيح من قريب أو بعيد ، وفي الوقت نفسه ما يؤكد تاريخياً غزو الأفكار الفارسية واليهودية لقطاع من طوائف الشيعة ، وتحقيق هدف الشيعة الشعوبي المعادي للإسلام وخروج الغلاة من الملة الإسلامية ووقوعهم تحت أسر عقيدة غير إسلامية في مضمونها وما تؤدي إليه فمن هذه الطائفة المغالية من اعتقد (بالحلول) وبأن علياً قد حل فيه جزء الله وأنه اتحد بجسد علي وأصبح عند هذه الطائفة المغالية بشرياً وإلهياً في آن واحد ، وذلك هو معتقد النصارى في تحريفاتهم الانجيلية عن (الناسوت واللاهوت) في شخص عيسى ابن مريم أي عن الألوهية والبشرية في آن واحد في شخص واحد وهذا ما لا يقره مسلم على ضوء عقيدة

التوحيد في القرآن الكريم التي تقول رداً على النصارى فيما ادعوه على عبد الله ورسوله عيسى بن مريم :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهلِكَ المَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ وَمَنْ في الأَرْضِ جَمِيعاً وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

ويقول جلّ شأنه — ردّاً على دعوى الغلو في حب الله جماعة من الناس دون جماعة أخرى :

﴿ وَقَالَتِ اليَهودُ والنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء — وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾.

ومن هذه الطائفة من رفع علياً فوق مرتبة النبوة وجرده من البشرية ليعتقد فيه بالألوهية مدعين في ذلك أنه كان يعلم الغيب وأنه أخبر عن الملاحم قبل وقوعها ثم صدقه الواقع ، ويعتقدون أنه كان بجزء الألوهية المدعى على علي — نعوذ بالله من هذه العقيدة ونعيذ الإمام رضي الله عنه منها — كان يحارب الكفار ويقلع الحصون مثلما — فعل في باب خيبر وينسبون إليه ما يبرأ إلى الله منه قوله (والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولا بحركة غذائية ، ولكن قلعته بقوة ملكوتية) ولا جدال في الدور الحاقد الذي جرّه وجود عبد الله بن سبأ الحبر اليهودي المدسوس على الحياة الإسلامية بين جماعة الشيعة الذين لم يكن في بدء أمر جماعة الشيعة من يحمل مثل هذه العقائد الوثنية التي تنسب إلى علي مثل هذا الكفر الصريح لقد امتد الغلو عند الطائفة الشيعية حتى أصبح كفراً صراحا سواء منه ما يتعلق بعقيدتهم في علي أو في الائمة من بعده.. إنهم يؤلفون حديثاً يستحيل صدوره ممن صحب رسول الله ،وأخذ الإسلام على يديه فضلاً عن علي رضي الله تعالى عنه وهو الصحابى الجليل الذي عرف بطهر العقيدة وسمو النفس).

إن كتاب (الكافي في الأصول) المطبوع في إيران والذي ناقشه أخيراً العلامة (إحسان إلهي ظهير) مناقشة جادة في كتابه (السنة والشيعة) يورد حديثاً ما عرفته كتب السنة المطهرة إلا بالكذب والتدليس حيث يروي (الكافي في الأصول) هذه الرواية المكذوبة على علي رضي الله عنه والتي تقول عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه كثيراً ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار.. ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل (نعوذ بالله من ذلك) بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وسلم وآله.. ولقد حملت مثل حمولته، وهي حمولة الرب، وإن رسول الله يدعى فيكسي وأدعى فأكسي، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني إليها أحد قبلي ولم يغرب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأؤدي عنه. والغريب في الأمر أن هذه الخصال التي ادعاها الشيعة الغلاة على علي ونسبوها إليه وانطلقوا في تحريفاتهم وأهوائهم على ضوئها ليست خاصة به بل انسحب الزعم الفاسد على الأئمة الإثنتي عشر، ولا فرق عندهم في النظر لهؤلاء الأئمة حتى بين الأول والأخير، فيروي (الكليني) رواية عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه علي بن موسى) وهو الإمام عندهم — يقول : أما بعد فنحن أبناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وأنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق. هذا وقد استشرى الأفتراء في التدوين والوضع عند طائفة الغلاة من الشيعة فزعموا على محمد الباقر أنه قال : قال علي رضي الله عنه : ولقد أعطيت الست، علم المنايا والبلايا وَالوصايا وفصل الخطاب وإني لصاحب الكرات ودولة الدول وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس.

زيف هذا المعتقد وبطلانه :

من البداهة في ضوء مقررات الإسلام وقواعده المستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة نبيه المطهرة أن الذين يعتقدون هذه

العقيدة على ضوء هذه النصوص المفتراة يكونون قد افتروا على الله كذباً لقول الله تعالى في الذكر الحكيم :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ ﴾.

وقوله سبحانه :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُها إلَّا هُوَ ﴾.

وهو سبحانه بهذه الآية يقصر علم الغيب عليه وحده سبحانه . وعلى هذا نقول إن القائلين بهذا المذهب من الغلاة على ضوء النصوص التي وردت قد أتوا عظيماً وتقولوا على الله تعالى بحيث يمكن القول بأن القائلين بهذه المقولة قد خرجوا عن دائرة الإيمان بالله تعالى القائل لرسوله محمد ﷺ :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إنْ أَنَا إلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾.

إن رب العالمين يخاطب نبيه الخاتم ﷺ في أبسط أمر من أمور العلم بالغَيب في شأن المنافقين فيقول جلّ وعلا لمحمد ﷺ في شأن المنافقين :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثم يُرَدُّونَ إلَى عَذَابٍ عَظِيم ﴾.

فهل بعد هذا الوضوح القرآني في أمر الغيب وانفراد الواحد القهار به يبقى المجال متسعاً في هذه القضية لفكر التحريفات اليهودية وتخريجاتها الوثنية ، كيف يعلم الأئمة الرجل من حيث الإيمان والنفاق ورب العالمين يقول لنبيه الخاتم محمد ﷺ ... ﴿ .. لا تعلمهم نحن نعلمهم .. ﴾. وكيف يمكن أن يصح إسلام من يعتقد صحة ما يرويه الكليني عن يوسف الثمار الذي يقول :

كنا مع عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال : أبو عبد الله : علينا عين — جاموس — فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً ، فقلنا : ليس علينا عين ،

فقال ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر — عليهما السلام — لأخبرتهما أني أعلم منهما ، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة . وليت البلية تقف بالقوم عند هذا المستوى من الإفتراء ولكنهم في سبيل تحقيق الأصول التي يستهدفونها ، قد وقعوا تحت أسر المخطط الكافر الذي دحره المسلمون بقوة التوحيد في الإسلام ، فجاء هذه المرة في ثوب من التأويل والتحريف حتى انتهى بالقوم إلى اتخاذ موقف فيما بينهم من كتاب الله تعالى ، خلاصته أنهم يعتقدون أن ما بأيدي الناس اليوم من كلام الله فيه زيادة ونقصان ثم طور (فريق الشيعة الغلاة) موقفهم مع الزمن حتى انتهى إلى الكفر الصريح بكتاب الله تعالى وصريح ما جاء فيه ، ومثل هذا القول وحده يكفي لأن يجزم المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله : بأن كل من ينتهي به الأعتقاد إلى قبول شيء من معطيات هذه العقيدة التي تقول بتحريف القرآن بالخروج عن ملة الإسلام ونعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

المبحث الثالث

حول منطلقات الشيعة العقدية.

تسمية الروافض بالإثني عشرية.

عصمة الإمام عند الإمامية.

دليل الإمامية على وجوب العصمة.

عقيدة المهدية عند الإمامية.

عقيدة المهدية وعلاقتها بالكفر اليهودي.

الرجعة عند غلاة من الإمامية.

التقية عند غلاة من الإمامية.

حول منطلقات الشيعة العقدية :

ترتكز عقائد الغلاة على جملة مقولات بها مجتمعة يصبح المرء شيعياً إمامياً أي من الغلاة ، وهذه العقائد يترتب بعضها على بعض ويكمل بعضها الآخر فمن مبادئ الغلاة الاعتقاد في الإمام وهو الشخص المعين من قبل الله للخلافة ونيابة عن حضرة صاحب الرسالة ؟ والإمام عندهم معصوم مثل الأنبياء ومن حق الإمام فيما يعتقد الإمامية أن يخصص الإمام عام الكتاب أو أن يبيّن مجمله أو يقيد مطلقة لأنه بزعمهم معصوم لا ينطق عن الهوى ومن هنا فليس غريباً أن يشرع لهم ما يريدون . وللشيعة نظرية خطيرة قد تكون قضية الإمام مبنية عليها «وهي نظرية إيداع الشريعة أو (خزن العلم)» فيعتقد الشيعة أن الرسول ﷺ أظهر جزءاً من الشريعة حسب وقوع الحوادث في عصره وكتم الباقي عن الأمة وأودعه علي بن أبي طالب فأظهر علي منه جزءاً من حياته — حسب الحاجة — ثم أودع الباقي إلى من سيليه من أبنائه المعصومين ، وهكذا كل إمام يودع ما تبقى لديه إلى الإمام الذي يليه إلى أن صار الأمر إلى الإمام الغائب . وفي تقرير هذه العقيدة . يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء — من مجتهديهم المعاصرين — أن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ولكنه — سلام الله عليه — أو دعها عند اوصيائه كل واحد يعهد بها إلى الآخر ينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة ... ويبدو أن هذه النظرية التي يقول بها المعاصرون لها مقدمات تاريخية في عقائد القوم على عهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فقد جاء في صحيح البخاري «عن أبي جحيفة قال سألت

علياً رضي الله عنه هل عندكم شيءٌ مما ليس في القرآن — وقال ابن عيينة مرة : مما ليس عند الناس — فقال علي : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا مما في القرآن إلا فهما يعطي الرجل في كتابه وما في الصحيفة ، قال : العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر»

ولهذه الدسائس الخطيرة انعزل الشيعة الغلاة عن مصادر التلقي الصحيحة للأمة وهذه من أسباب استمرار بقائهم إلى اليوم ، فعماد الشريعة عند الشيعة الأثني عشرية بإعتراف مجتهديهم أربعة كتب هي عندهم بمكانة الكتب الستة عند أهل السنة ، وهي :

١ — الكافي : وينعتون مؤلفه بأنه ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفي سنة ٣٢٩ هـ وهو إمامهم الأعظم بمنزلة أبي عبد الله محمد بن أسماعيل البخاري عند أهل السنة.

٢ — تهذيب الأحكام : ويصفون مؤلفة بأنه شيخ الطائفة أبو جعفر بن محمد ابن الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ هـ.

٣ — الأستبصار فيما أختلف من الأخبار للمؤلف السابق.

٤ — (كتاب من لا يحضره الفقيه) لأبي جعفر محمد بن بابويه القمي ، ويسمونه الصدوق وشيخ الحفظة وأكثر ما في هذه الكتب مزعوم روايته عن جعفر الصادق وآبائه ثم عن بقية (الائمة الإثني عشر) والإمام الغائب عند غيبته الصغرى لم يرجعهم إلى المرويات عنهم في الكتب بل أرجعهم إلى (بابه) عثمان بن سعيد ثم ابنه محمد ثم الحسن بن روح النوبختي ثم علي بن محمد السمري الذي مات سنة ٣٢٩ هـ وبموته وقعت الغيبة التامة أو الغيبة الكبرى والتي يعتبر الشيعة أنفسهم بعدها مأسورين في أمور دينهم ودنياهم... وهذه المرويات عن الاثني عشر أغلبها عن مجاهيل وبأسانيد منقطعة وإذا ما أسندت رأيت في سلسلة السند كبار

الكذابين وفاسدي الاعتقاد كشيطان الطاق والهشامين وزارة ابن أعين والأحولان سليمان الجعفري ومحمد بن مسلم وعبد الله بن بكير.. وما أكثر الضعفاء من رواة هذه الكتب وأكثرهم وضاعون ومجهولون ولا يستحي الكليني في (الكافي) من أن يعترف بانقطاع أسانيد كتب الأئمة فيقول: أن شيوخنا رووا عن الباقر وعن الصادق. وكانت التقية شديدة. وكانت الشيوخ تكتم الكتب فلما خلف الشيوخ وماتت وصلت كتب الشيوخ إلينا. فقال إمام من الأئمة حدثوا بها فإنها الشريعة صادقة. وبالرغم من هذا الأنقطاع فإن القوم لا يتورعون من الحديث عن إيداع الشريعة أو خزن العلم. هذا وتعتبر عقيدة الإمام عن الإمامية من أركان الإسلام الذي يزعمونه وهي من العقائد التي تساوي الصلاة والصوم والزكاة بل لها من الأهمية عندهم ما تعتبر أهم من هذه الأركان. يقول (الكليني) صاحب الكافي: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زاره (راوي الخبر) وأي شيء من ذلك أفضل، فقال الولاية أفضل وفي هذا المعنى وردت عدة أخبار بل اعتبروها جدار النجاة ولا يضر معها معصية، وإن نفى هذا بعض المعاصرين فهو نفى حقيقة قائمة في كتب العقائد والحديث عندهم. ونفيها مرفوض عند أئمتهم ومنكر هذه العقيدة تقول عنه نصوص كتب الشيعة كالكافي وغيره «إن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح خبالاً تائهاً وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق» والنصوص في هذا عديدة، وينكر بعض المعاصرين من الشيعة الحكم على منكر الإمامة بالكفر ويقولون انه يخرج من مسمى الإيمان الخاص ولا يخرج من مسمى الإسلام العام، والنصوص عن الشيعة في الكفر صريحة لا تقبل هذه التعمية، ويغلو الأئمة في وصف الإمام فمن عناوين أبواب الكافي في وصف أئمتهم ما يلي: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنهم لا يخرج عليهم شيء) (باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل) (باب أن الملائكة عندهم جيمع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها)

(باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله) (باب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ما خرج من عند الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل) .. الخ أما الشواهد والنصوص التي تضمنتها هذه الأبواب وغيرها فهي كثيرة وكلها غلو تذكر القارئ بأوصاف معبودات اليونان في العصور الوثنية القديمة.

وقضية الغلو في الأئمة لم تنته في نفوس الشيعة إلى اليوم وقد سأل الدكتور علي السالوس — من علماء السنة — أحد مشايخ الشيعة ومن يمثلهم في مؤتمرات إسلامية، ويسمى كاظم الكفاني عما ورد في الكافي من غلو في الأئمة ومثل له بما ورد في الكافي من أن الأئمة إذا شاؤا أن يعلموا علموا، ويعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيارهم، ويعلمون علم ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء.. الخ فقال الشيخ الشيعي: «لا شك أنهم أولياء الله، وعباده الذين أخلصوا له في الطاعة، وذكر قولاً للأئمة وهو: قولوا فينا ما شئتم ونزهونا عن الربوبية» —هكذا—

وفي هذا يقول الإمام الشيعي المعاصر (الخميني) «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل»، والانحراف في هذا المجال الخطر ليس مصدره أن هناك بعض النظرات الغالية في الأئمة، والأئمة ذهبوا فلا داعي لبعث هذا الانحراف بل الواقع أن الانحراف لم ينته واتخذ شكلاً عملياً وواقعياً ويظهر واضحاً في صورتين:

الأولى: هذه الشركيات التي سيطرت على المجتمعات الشيعية بلا نكير فقد تحول الغلو في الأئمة إلى الغلو في قبورهم وأضرحتهم المنسوبة إليهم، يقول أبو الحسن الندوي: ان من يزو قبر سيدنا علي الرضا في إيران — يظن نفسه في الحرم من كثرة الناس، وشدة البكاء، في حين أن المساجد مهجورة. وقال صاحب التحفة الإثني

عشرية إنهم يعظمون قبور الأئمة ويطوفون حولها ويصلون إليها مستدبرين القبلة إلى غير ذلك من الأمور التي يستقل لديها فعل المشركين مع أصنامهم ، وأن حصل لك ريب من ذلك فاذهب يوم السبت إلى مرقدي موسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهما فانظر ماذا ترى ، ومع ذلك فهذا معشار ما يصنعون عند قبر الأمير علي كرم الله وجهه ، ومرقد الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه بما لا يشك ذو عقل في إشراكهم والعياذ بالله. ويقول شيخ الإسلام بن تيمية أن شيخهم المفيد ألف كتاباً أسماه (مناسك المشاهد) وقال أحد علماء الشيعة المعاصرين والذي يعتبره البعض من معتدلي الشيعة وهو محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه عن أصل الشيعة مفضلاً كربلاء على الكعبة . «من حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة» .

الثانية : الصورة العملية الثانية التي نتجت من غلوهم في الأئمة ، أنهم جعلوا للمجتهد حق النيابة عن الإمام ، فامتد الغلو ليشمل المجتهدين أيضاً يقول الشيخ الشيعي المعاصر محمد رضا المظفر في كتابه «عقائد الإمامية»

«وعقيدتنا في المجتهد أنه نائب للإمام عليه السلام في حالة غيبته له ما للإمام ، والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله تعالى» ، وهو على حد المشرك بالله تعالى» ويذكر الخميني أن الفقيه الشيعي وصي نبي فيقول «فأنتم ترون أن من يحكم أو من يقضي بين الناس لا بدّ أن يكون إماماً عالماً بالقوانين والأحكام ، وقد بينت من قبل أن منصب القضاء لا يحق إلا للفقيه العادل ، وقد حصر الإمام القضاء بمن كان نبياً أو وصي نبي ، وبما أن الفقيه ليس نبياً فهو إذاً وصي نبي وفي عصر الغيبة يكون هو إمام المسلمين. ومن الجدير بالذكر أن الغلاة يعتقدون أن الإمام معصوم عن الخطأ والنسيان وعن الكبائر والصغائر، كما يعتقدون بجواز جريان خوارق العادات على يديه ويسمون ذلك معجزة وقد يبدو غريباً على السمع إذا ما قلنا أن المجلسي في كتابه (حياة القلوب) يجعل من الإمام مرتبة أعلى من مرتبة النبوة زاعماً

بأن الله تعالى بعد أن أعطى لنبيه ابراهيم مرتبة النبوة زاده حين قال له في سورة البقرة :

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ (١٢٤).

ومن هنا يرى الإمامية ان نصب الإمام — واجب على الله تعالى ويربطون ذلك بفكرة الصلاح والأصلح وفكرة اللطف عند المعتزلة إذ أن الله عندهم يجب عليه أن يفعل ما هو أصلح لعبادة ونصب الإمام أصلح للعباد من تركهم بدون إمام. كما أن وجود الإمام لطف وصلاح ومن ثم كان واجباً على الله تعيينه كما يرون أن الإمامة لا يمكن حفظها إلا بوجود الأئمة بعد النبي فلذلك فهم يفسرون قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (سورة الرعد ٧) : بأن محمداً ﷺ المنذر وأن بعده لكل زمن هادي من الأئمة كما يفسرون قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة القصص آية ٥١) : بأن المراد بها وهو نصب الإمام بعد الإمام.

ويقول فلهوزن في كتابه «الخوارج والشيعة» : «ان فكرة الإمامة مصدرها يهودي» ثم يقول في هذا «ان القول بأن النبي إنما هو ملك يمثل سلطان الله على الأرض إنما هي فكرة انتقلت من اليهودية إلى الإسلام». والإسلام السني يقول أن محمداً خاتم النبيين وبعد وفاته لا توجد في الشريعة فكرة الوصاية وهي أثر مجرد لا يمثل في شخص معين والشريعة لا يمكن أن تقوم مقام الشخص الحي — ومن هنا بدأت نظرات الشيعة وكذلك قال الشيعة أن الإمامة استمرار للنبوة وهي مثل النبوة عندهم تمثل سلطان الله على الأرض وقد وجدت قبل محمد ﷺ سلسلة طويلة متصلة من الأنبياء الذين يلي بعضهم بعضاً كما يقول اليهود متبعين في ذلك نص التوراة وعلى ذلك يقول الشيعة ان هذه السلسلة لا تقف بوفاة محمد ﷺ بل تستمر بعده في الأئمة.. وقد ورد في (إصحاح ١٨ تثنيه الأشتراع) التوراة إنه لم يخل الزمان أبداً من نبي يخلف موسى من بعده ويكون مثله بل إن كل نبي يكون معه رفيق أو زميل ثاني أو خليفة يعيش معه أثناء حياته ، وقد كان يوشع بن نون زميل موسى... وأخذ الشيعة هذه الفكرة

اليهودية فقالوا أن علياً هو زميل محمد ﷺ وخليفته وبه يستمر الأمر والشيعة الإمامية لم يطلقوا على كل إمام نبي بل أكتفوا بلفظ إمام أو وصي أو مهدي إلا أن حقيقة النبوة تمثلت في الأئمة لأنهم يعرفون الغيب وهم يجسدون سلطان الله على الأرض ويفسر (جولد تسيهر) فكرة وجود عنصر الهي موجود في الأئمة بما يذكره عن «النور المحمدي» فهو يقول في ذلك في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام» : ليس بالإمام فحسب هذه الرئاسة المحاكمة المقبولة لدى الله وإنما يرفعه فوق المستوى البشري العادي صفات هي فوق البشرية لم يسم إليها فقط بفضل مرتبة عالية اكتسبها أكتساباً — لأنها كامنة في شخصه وخاصة من خواصه — ولكنه قالها أيضاً بفضل مادته ذاتها فمنذ أن خلق الله آدم تسلسلت في أعقابه المجتبين (المختارين) الواحد بعد الآخر مادة نورانية إلهية انتهت بأن وصلت إلى الجد المشترك لمحمد وعلي وحيث أنقسم النور الإلهي الى قسمين : جزء أصابه عبد الله والد محمد وجزء لأخيه أبي طالب والد علي ومن هذا انتقلت إلى إمام كل عصر جيلاً بعد جيل وإنه في وجود هذا النور الإلهي الأزلي في مادة الروح عند إمام العصر ما يهبه قوى روحية فائقة تتجاوز كثيراً المستوى البشري فمادة روحه أنقى من مادة روح الآدميين العاديين لخلوها من نزعات الشر وتحليها بالصفات القديسة. هذه تقريباً الصورة المتسمة في أذهان الشيعة وخاصة الغلاة ، منهم عن طبيعة الأئمة وحقيقة جوهرهم ومصداق كلام (جولد) ما ينقله الدكتور علي سامي النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) عن بعض المصادر الشيعية : أنها تذكر (كنت أنا وعلي بن أبي طالب قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر آلف عام فلما خلق الله آدم انتقل النور في الأصلاب الطاهرة والأرحام الزكية حتى عبد المطلب فانقسم النور إلى قسمين : قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب. فكان لي النبوة وعلي الوصية.

والإمامية يذكرون في كتبهم ما يؤكد هذا الكلام فهم يقولون : إن النبي ﷺ أطلع علياً عند موته على علم خاص لم يطلع عليه أحد غيره. وأنه ترك لعلي كتاباً يسمى كتاب (الجفر) فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين منعوا من بني إسرائيل وقد كتب هذا الكتاب المليء بالأسرار على هامش نسخة خاصة من

المصحف كانت بحوزة علي. ويتكلم الرافضة عن كتب أخرى مثل كتاب (الجامعة) وغيره ويزعمون أن في هذه الكتب العلم الباطني الذي كان كل إمام يورثه الذي يليه وكان كل إمام يسر به إلى خاصته ومريديه فقط وينقل عن الكليني عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه علي بن موسى الإمام الثامن عندهم مما يلي:

أما بعد: فنحن أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومورد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء أبائهم وأخذ الله علينا الميثاق.

ويروي الكليني عن يوسف التمار (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر عند الكعبة فقال: علينا (عين جاموس) فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية. ثلاث مرات. لو كنت بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة. وعنه أيضاً قال: «إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وما في النار وأعلم ما كان وما يكون»

ويروي في كتابه (بصائر الدرجات): عن أبي حمزة قال سمعت أبا عبد الله يقول «إن منا من ينكت في أذنه وإن منا من يؤتى في منامه وإنا منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة يقع في الطست وإنا منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبريل ومكيائيل، ويروي أيضاً عن أبي رافع وهو يحدث عن (فتح خيبر) قال: «فمضى علي وأنا معه فلما أصبح افتتح ووقف بين الناس وأطال الوقوف». فقال الناس: إن علياً يناجي ربه فلما مكث ساعة أمر بانتهاب المدينة التي فتحها قال أبو رافع: «فأتيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وآله فقلت: إن علياً وقف بين الناس كما أمرته. قال: منهم من يقول أن الله ناجاه قال: نعم يا أبا رافع أن الله ناجاه يوم الطائف ويوم عقبة بقول ويوم حنين.

ويذكر نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية): فيقول: أعلم أنه لا

خلاف بين أصحابنا رضي الله عنهم في أشرفية أنبيائنا على الأنبياء بالأخبار المتواترة وإنما الخلاف بينهم في أفضلية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين على الأنبياء ماعدا جدهم (محمد صلى الله عليه وسلم). فذهب جماعة إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم فهم أفضل من الأئمة وبعضهم إلى مساواتهم وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة على أولي العزم وغيرهم وهو الصواب عندهم ويذكر الأستاذ إحسان الهي : أن قولهم ما خلا جدهم ليس إلا تكلفاً محضاً منهم — وينقل عن الملا محمد باقر المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) كذباً على النبي ﷺ أنه قال لعلي : «يا علي أنت تملك مالاً أملك. ففاطمة زوجك وليس لي زوج مثلها ولك منهاإبنان وليس لي مثلهما وخديجة أم زوجك وليس لي رحيمة مثلها وأنا رحيمك فليس لي رحيم مثل رحيمك وجعفر أخوك من النسب وليس لي مثل جعفر أخ وفاطمة الهاشمية المهاجرة أمك وليس لي أم مثلها. وروى المجلسي عن : محمد بن عبدالله بن عبد السلام من علماء الشيعة في القرن الخامس. في كتابه (الآمالي) عن حذيفة قال : قال النبي ﷺ : «أما رأيت الشخص الذي اعترض لي قلت : بلى يا رسول الله قال ذاك ملك لم يهبط قط إلى الأرض قبل الساعة استأذن الله عز وجل بالسلام على علي، فأذن له فسلم عليه وروى نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) قال النورسي في كتابه : لما وصف وقعة (خيبر) وأن الفتح فيها كان على يد علي عليه السلام، إن جبرائيل جاء إلى النبي ﷺ مستبشراً بعد قتل مرحب. فسأله النبي عن استبشاره فقال : يا رسول الله إن علياً لما رفع السيف ليضرب به مرحباً أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده في الهواء حتىلا يضرب بكل قوته ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف إلى طبقات الأرض فقال لي سبحانه يا جبرائيل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف علي عن الوصول إلى ثور الأرض حتى لا تنقلب الأرض فمضيت فأمسكته فكان على جناحي أثقل من مدائن قوم لوط وهي سبع مدائن قلعتها من الأرض السابعة ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي إلى قرب السماء وبقيت منتظراً الأمر إلى وقت السحر حتى أمرني الله بقلبها فما وجدت لها ثقلاً كثقل سيف علي... وأما باب خيبر فقد كان

أربعون رجلاً يتعاونون على سده وقت الليل ولما دخل علي الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان في يده بمنزله الترس يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه.

ويزعم الشيعة الإمامية أن النبي ﷺ قد أختار علياً رضي الله عنه وعينه صراحة ليخلفه بعد موته وذلك بنص أعلنه عند غدير خم قال البكري في كتابه(معجم ما استعجم) وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق وهذا الغدير تصب فيه عين وحوله شجر كثير ملتف وهي الغيضة) التي تسمى (خم) وبين الغدير والعين مسجد النبي ﷺ وخم هذا: موضع بين مكة والمدينة يسمى به غدير أو بطيحة. قال صاحب القاموس: بئر حفرها عبد شمس من عبد مناف بمكة. وغدير خم موضع على ثلاثة أميال من الجحفة بين الحرمين. قال المجلسي في كتابه (حياة القلوب): ولما انقضت مناسك الحج سافر النبي ﷺ راجعاً من مكة إلى المدينة ومعه عليّ عليه السلام والمسلمون فلما بلغ غدير خم نزل هناك — وهو مكان لم يكن نزول المسافر متعارفاً فيه — والسبب في نزوله هناك ما أنزل من القرآن بلزوم نصب عليّ عليه السلام خليفته من بعده وقد أنزل عليه ذلك عدة مرات غير أنه لم يعين لتبليغه وقد أخر ذلك خشية اعتراض الناس ولو جاوز ذلك المكان لتفرّق الناس وذهبت كل قبيلة في ناحية فأمر محمد ﷺ بالاجتماع ليقول لعلي عليه السلام ما إن بلغهم جميعاً وقد أنزل الله عليه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

وكان أنه لذلك الأمر بنصب عليّ خليفة وأمر أن ينصب له منبر أقتاب فنصب. لما اجتمع الناس ارتقى محمد ﷺ المنبر ودعا علياً إلى يمينه وبعد أن حمد الله وأثنى عليه أخبر الناس بدنوّ أجله قائلاً: ولقد دعيت إلى ربي وإني مجيب وإني مغادركم من هذه الدنيا وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترة أهل بيتي. ثم قال ألست

(١) سورة المائدة الآية ٦٧

أولى بكم من أنفسكم قالوا : نعم. فأخذ بيد علي عليه السلام ورفعها حتى بان بياض إبطه وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ مخ عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله ! !

فلما نزل النبي ﷺ من على المنبر صلى صلاة الظهر ثم ذهب إلى خيمته وأمر بنصب خيمة جانب خيمته لأمير المؤمنين فجلس علي في خيمته وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وآله الناس أن يبايعوه بالإمامة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ففعلوا نساء ورجالاً وسر عمر وغيره بذلك.

تسمية الروافض بالإثني عشرية :

بعد تصاعد التناقض الفكري والعقدي بين أجنحة التشيع وتطور الخلاف المذهبي فيما بين أئمتهم الأول وقادتهم ، حدث انشقاق جوهري في مواقف أطراف عديدة منذ مطلع القرن الثاني الهجري.. وقد أدى بعض التناقض عمله بحيث إن عناصر الاعتدال من الشيعة كالإمام (زيد) رفضت مواقفه السياسية والعقدية من الصراع الذي فجرته عناصر التشيع .. وما أن شاع عنه أنه يقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل بناء على قوله الذي تأثر به من مواقف المعتزلة حتى رفض تماماً. وعرفت الساحة الإسلامية الجماعات المغالية في علي «بالإمامية» وهذا هو رأي معظم المؤرخين في سر اطلاق تسمية الشيعة الرافضة بالإثني عشرية لقولهم بإثني عشر إماماً وهم :

١ — علي رضي الله عنه (المرتضى).

٢ — الحسن بن علي (المجتبي)

٣ — الحسين بن علي (الشهيد).

٤ — علي بن الحسين (السجاد زين العابدين).

٥ — محمد بن علي (محمد الباقر).

٦ — جعفر بن محمد (جعفر الصادق).

٧ — موسى بن جعفر (موسى الكاظم).

وهنا يختلف الإثنا عشرية مع السبعية الذين وقفوا عند سبعة أئمة مثل الإسماعلية. فالإثنا عشرية يقطعون بموت موسى الكاظم ولذلك يسمون قطعية ويجعلون الإمامة بعده في أولاده وهم:

٨ — علي بن موسى (علي الرضا).

٩ — محمد بن علي (محمد الجواد).

١٠ — علي بن محمد (النقي).

١١ — الحسن بن علي (الحسن العسكري).

١٢ — محمد بن الحسن (الحجة القائم المهدي المنتظر).

وهذا الترتيب هو رأي الفرقة التي سارت وانتشرت من الرافضة الإثني عشرية وإلا هناك فرق أخرى قالت بإثني عشر إماماً ولكنهم اختلفوا في تحديد أسمائهم فقالوا بإمامة أشقاء لبعض من ذكرنا من الأئمة بدلا منهم مثل قول بعضهم بإمامه أحمد بن موسى بدلا من علي بن موسى وهكذا.

وفكرة الإمامة التي ذكرناها وما اتصل بها من إدعاء الشيعة من أن النبي ﷺ قد أوصى الإمامة لعلي رضي الله عنه وأخذ البيعة له ينكرها بعض الشيعة المتقدمين ومنهم ابن أبي الحديد الذي يقول في كتابه (شرح نهج البلاغة) ما يلي:

ولقد قال أبو عبيدة لعلي لما امتنع عن المبايعة يا أبا الحسن إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك كمثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك. فقال علي: يا معشر المهاجرين. الله الله. لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ولا تدفعوا أهله عن مقام الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم. أما كان منا

القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله فلا تتبعوا الهوى فترادوا من الحق بعداً. فقال بشر بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك إثنان ولكنهم قد بايعوا. وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع قلت: هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعي من النص على أمير المؤمنين وغيره لأنه لو كان هناك نص صريح لأحتج به ولم يجر للنص ذكر وإنما كان الأحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار للسوابق والفضائل والقرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبي بكر لاحتج به أبو بكر أيضاً على الأنصار ولأحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه (علي) قد كان كاشفهم وهتك القناع بينه وبينهم لا تراه كيف نسبه إلى التعدي عليه وظلمه وتمنع من طاعتهم وأسمعهم من الكلام أشده وأغلظه فلو كان هناك نص لذكره أو ذكر بعض من كان من شيعته وحزبه لأنه لا عطر بعد عروس..

عصمة الإمام عند الإمامية:

من أركان العقائد وجملة المقولات التي تشكل جوهر المذهب الإمامي قولهم بعصمة الإمام. وقد انطلق الغلو في هذه القضية على اتجاهين:

الاتجاه الأول: بدأ بتحديد موقف من الرسول ﷺ وهو أنه لا يجوز في حقه ﷺ أن يعصي ربه، بل ولا أن يقترف كبيرة أو صغيرة ومن ثم فعند أصحاب هذا الأتجاه أن الأئمة كذلك لا يجوز عليهم أن تقع منهم كبيرة أو صغيرة لأنهم فيما يقول الإمامية حجج الله وبراهينه وهم معصومون إذ لو جاز عليهم ركوب المعاصي لما كان لهم الفضل على المأمومين.

وفي «حياة القلوب» للمجلسي تفصيلات عن عقيدة أصحاب هذا الاتجاه من الإمامية فيقول عنهم «إن إجماع علماء الإمامية قد انعقد على أن الإمام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من أول العمر إلى آخره لا عمداً ولا سهواً.. ثم يستطرد [فيقول ولم يخالف ما جاء في هذا الباب غير أن ابن بابويه واستاذه ابن

الوليد رحمها الله قد جوزا السهو في غير تبليغ الرسالة وأحكام الله كالسهو في الصلاة وسائر العبادات وسائر الأمور بغير تبليغ أحكام أو تبليغ رسالة فلا يجوز أي نوع من السهو].

الاتجاه الثاني: الاتجاه الثاني عند الإمامية في موضوع العصمة أخذ شكل الغلو الحاد إذ جوز أصحاب هذا الرأي وقوع المعصية من النبي ﷺ وقالوا إن النبي قد عصى ربه في أخذ الفداء يوم بدر. فأما الأئمة فلا يجوز عليهم وقوع شيء من المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ودليل هذا الرأي المغالي عند الغلاة مما يملأ القلب حسرة إذ يقول إمام هذا الرأي وهو: الإمامي (هشام بن الحكم): إن وقوع المعصية من الرسول جائز لأنه إذا عصى فالوحي يأتيه أما الأئمة فلا يجوز عليهم المعصية حيث لا يوحي إليهم ولا تهبط عليهم الملائكة ولأنهم بزعمه معصومون فلا يجوز عليهم أن يسهوا أو يغلطوا في صغيرة أو كبيرة على السواء.

دليل الإمامية على وجوب العصمة:

سبقت الإشارة إلى أن البدايات المبكرة لفكرة التشيع انطلقت من تصور خاص عند بعض المسلمين وفي نطاق قليل جداً ثم اتسع الموقف فأصبح اجتهاداً وتأويلاً. وكان من البداهة أن تسارع قوى معادية للإسلام فتغذي اتجاه التأويل وتلوين النصوص وتغيير المفاهيم. وهذا هو ما حدث بالنسبة للغلاة في كثير من القضايا وفي قضية كالتي نحن بصددها يعتمد الإمامية للبرهنة على وجوبها «العصمة» بالآية الكريمة من سورة البقرة والتي تقول:

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَهِمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً، قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِينَ ﴾.

والتفسير الإمامي يجيء ويلوي دلالات الآية ويقول إن معناها إن كل مذنب فاسق ظالم لنفسه وحيث إن معنى الظلم هنا هو الاشراك بالله ولو لحظة واحدة فكذلك الظلم ينسب إلى كل من ارتكب حراماً صغيراً كان أم كبيراً حتى ولو تاب بعد ارتكابه وعلى ذلك لا يمكن أن تسند الإمامة إلا إلى من كان معصوماً.

وتفسير هذه الآية عند أهل السنة يختلف عن ذلك الالتواء تماماً : إن أول هذه الآية قوله تعالى :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَٰهِمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾.

يقول القرطبي ما معناه بإيجاز : إن الكلمات جمع كلمة ويرجع تحقيقها إلى كلام الباري تعالى ولكنه عبر بها عن الوظائف التي كلفها إبراهيم عليه السلام ولما كان تكليفها بالكلام سميت به كما سمي عيسى كلمة لأنه صدر عن كلمة وهي قوله تعالى (كن) واختلف العلماء في المراد بالكلمات على أقوال أحدها شرائع الإسلام وقال بعضهم بالأمر والنهي وقال بعضهم بذبح ابنه وقال بعضهم بأداء الرسالة وقال آخرون ابتلاه الله بالطهارة والمعنى متقارب وأما قوله إني جاعلك للناس إماماً « الإمام القدوة فالمعنى جعلناك للناس إماماً يأتمون بك في هذه الخصال ويقتدى بك الصالحون وقوله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ دعاء على جهة الرغبة إلى الله تعالى أي منذ ذريتي فأخبره الله تعالى أن فيهم عاصياً وظالماً لا يستحق الإمامة ».

وعلى ذلك فليس في الآية مطلقاً ما يشير إلى معنى العصمة كما يزعمه الغلاة بل أن إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى أن يجعل من أولاده أئمة يقتدى بهم في فعل الخيرات وفي طاعة الله سبحانه فأخبره الله أن فيهم من يكون عاصياً وظالماً ولا يجوز أن يكون العصاة الظالمون أئمة يقتدى بهم وكذلك ابن كثير في تفسيره يقول (فأتمهن) قام بهن قال إني جاعلك الخ الآية أي جزاء على ما فعل كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله قدوة للناس وإماما يقتدى به ويحتذى حذوه ويستشهد (ابن المطهر) في كتابه (منهاج الكرامة) بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه ويقول بعدها . « روى الفقية بن المغازي الشافعي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ انتهت الدعوة إليَّ وإلى علي عليه السلام لم يسجد أحدنا لصنم قط فاتخذني نبياً واتخذ علياً عليه السلام وصياً وهذا نصي في الباب عندهم ».

ويرد بن تيمية على هذا الكلام في كتابه (منهاج السنة) جـ ٤ ، ص ٣٤٣ من وجوه عدة ، وخلاصة رده أن رواية ابن المغازي لا يحتج بها بإتفاق العلماء وأن هذا

الحديث موضوع وأمَّا ما يزعمه من قول النبي ﷺ انتهت الدعوة إلينا... الخ. فهو كلام لا يجوز أن ينسب إليه ﷺ فإنه إن أريد أنها لم تصب من قبلنا كان ممتنعاً لأن الأنبياء من ذرية إبراهيم دخلوا في الدعوة ومنهم إسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم وإن أريد بقوله انتهت الدعوة إلينا أنه لا إمام بعدنا لزم إن لا يكون الحسن والحسين وغيرهما أئمة وهو باطل عندهم وكذلك كون الشخص لم يسجد لصنم قط فضيلة يشارك النبي وعلياً فيها جميع من ولد على الإسلام مع أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار أفضل منهم وكيف يجعل المفضول مستحقاً لهذه المرتبة دون الفاضل؟

كما أنه ليس كل من لم يكفر أو كل من لم يأت بكبيرة أفضل ممن فعل ذلك ولكنه تاب عنها مطلقاً. بل قد يكون التائب من الكفر والفسوق أفضل ممن لم يكفر ولم يفسق كما دل على ذلك الكتاب فإن الله فضل الذين انفقوا من قبل وقاتلوا على الذين انفقوا من بعد وقاتلوا. وهؤلاء أتباع الأنبياء آمنوا بعد أن كانوا كفاراً قال شعيب عليه السلام (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)، وقال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا — أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[1].

وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر وذكر نبأهم بعد توبتهم وهم الأسباط الذين أمرنا أن نؤمن بما أوتوا في سورة البقرة وآل عمران والنساء وإذا كان في هؤلاء من صار نبياً فعلوم أن الأنبياء أفضل من غيرهم وهذا مما ينازع فيه الرافضة الذين يقولون إن من صدر منه ذنب لا يصير نبياً وعمدتهم أن التائب من الذنب يكون ناقصاً مذموماً لا يستحق النبوة وهذا هو الأصل الذي نوزعوا فيه، والكتاب والسنة يدلان على بطلان قولهم فيه.

---

(١) سورة ابراهيم آية ١٣

وتعقيباً على ما يعتقده الشيعة الغلاة من وجوب العصمة للإمام عصمة مطلقة تجعله يستحيل وقوعه في جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان وهذا رأي الشيعة في عصمة الإمام — مدفوعين إلى هذا القول بإعتقادهم في أن الإمام مكان النبي فلولا وجود الإمام لضلت الأمة وهذا يعصم الأمة من الضلال ومن ثم لابد أن يكون الإمام معصوماً عندهم نقول: إن الحقيقة غير هذا تماماً لأن الإمام منفذ للشرع وليس مشرعاً والذي يعصم الأمة الإسلامية من الضلال هو القرآن الكريم الذي تعهد الله سبحانه بحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]،

ثم من بعد ذلك السنة النبوية الشريفة وما تحتاج إليه الأمة ولا تجده في هذين المصدرين فإنها تعمل عقلها وتجتهد فيما يعرض لها فإنها لا تجتمع على ضلالة بنص قول الرسول ﷺ، والرسول ﷺ حينما بعث معاذ إلى اليمن رسم له هذا المنهج وتوجيهات الإسلام في هذا الأمر تمتلئ بها كتب السنة الصحيحة ومن ثم فالقول بعصمة الإمام باطل. يقول الأستاذ أحمد أمين في الرد على دعوى العصمة عند الشيعة لو كان لعلي كل هذه العصمة والعلم ببواطن الأمور وخفاياها، لتغير وجه التاريخ ولما قبل التحكيم ولدبر الحروب خيراً مما دبر فإن قيل إنه علم وسكت وتصرف فيه وفق القدر فهو خاضع للظروف خضوع الناس، تتصرف فيه حوادث الزمان كما تتصرف في الناس والرسول ﷺ أمر بأن يقول: ﴿ ... لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾[2].

وفي حدود بشريته ورسالته وتكريم الله تعالى بكل ضروب التكريم قال له ربه:

﴿ قُلْ لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ ﴾.

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٨

فدعوى العصمة للإمام عند الغلاة من الشيعة لا تستقيم والفطرة فضلاً عن حقائق الإيمان في الإسلام.

عقيدة المهدية عند الامامية :

من قضايا العقيدة التي اختلف حولها كثيراً عقيدة المهدي. فالمهدية ليست فكرة غريبة على المسلمين وليست من العقائد الدخيلة التي دفع بها أعداء الاسلام إلى بلاد المسلمين ولكن المشكل الذي أحاط بهذه العقيدة هو مسماها أو دلالتها عند أهل السنة ومخالفيهم من الامامية وغيرهم. وفي الوقت الذي ينظر فيه علماء السنة وأئمتهم إلى عقيدة المهدي على أنها من الغيب الذي بشرت به الأحاديث النبوية وهي من جملة فروع كمال الايمان. فإن «غلاة الامامية» يجعلون من عقيدة المهدي والمهدية ركناً من أركان مذهبهم وقضية من قضايا الأصول التي يكفر من يتأول فيها. وهم يعتمدون في ذلك بمنهجهم في تأويل النصوص وتعديل الدلالات اللغوية والشرعية على آيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث التي جاءت بسندهم ورجالهم. فمثلاً يفسرون قول الله تعالى في سورة الرعد : ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ علىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[1] : بأن مقصود الآية «بالقائم» هو المهدي الذي يقولون به.

وأما الأحاديث التي يعتمدون عليها منها قول النبي ﷺ لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

والمهدي عند الإمامية الإثني عشرية هو الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي ولد في سامراء (سر من رأى) قبل وفاة ابنه الحسن العسكري بأربع أو خمس سنوات. والإمامية يروون الكثير من الأساطير عن هذا الطفل فيذكرون أنه تكلم عند ولادته فشهد الشهادتين وصلى على الأئمة، ثم هبطت طيور من السماء وخفقت بأجنحتها عند رأسه فنادى الإمام العسكري واحداً منها فدفع إليه المولود وقال خذوه فأرضعوه وردوه إلينا كل أربعين يوماً فأخذه الطائر وصعد به إلى السماء ثم أمر الإمام باقي الطيور بمثل ذلك فطاروا وراءه ثم قال استودعتك الذي استودعت أم موسى.

(١) سورة الرعد آية ٣٣

ولما سئلت حليمة عمة الطفل والده عن الطائر الذي أخذه قال لها : انه روح القدس يهدي الأئمة ليؤدوا رسالته عزّ وجلّ وبعضهم يؤتيهم العلم. ولما ذهبت حليمة بعد مرور أربعين يوماً لتزور ابن أخيها وجدت الطفل يمشي فتعجبت وسألت أخاها فقال لها بأن الطفل من الأئمة كلما أتى عليه شهر كان كمن أتت عليه سنة وأنه يتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عزّ وجلّ وتعلمه الملائكة وتنزل عليه صباح ومساء.

ويقول الرافضة إنه عند قرب وفاة الإمام الحسن العسكري أوحى لولده محمد الإمامة وبعد حدوث الوفاة بمدة قصيرة اختفى الصبي في سرداب يوجد في داره التي ورثها عن أبيه في سامراء وكان عمره عند غيبته نحو ست أو سبع سنوات على اختلاف الروايات ويروي الرافضة روايات كثيرة عن ظهور المهدي للناس في بعض الأوقات والمناسبات فمثلاً يروون : أنه يظهر لبعض المؤمنين عند حاجتهم إليه أو أنهم يرونه بعد الصلاة مع أن هذا الزعم غير صحيح ولا دليل عليه.

ويذكر المجلسي في كتابه (تحفة الزائرين) أن من يريد من الرافضة الاتصال بالمهدي فعليه أن يكتب في رقعة من الرقاع صيغة معينة ثم يضعها عند قبر أحد الأئمة أو يجعلها في طين نظيف ثم يرميها في البحر أو في بئر عميقة. وبهذه الطريقة تصل رقعته إلى الامام الغائب فينظر فيها. هكذا يعتقدون. وللمهدي غيبة صغرى امتدت حوالي سبعين سنة بعد اختفائه كان ينوب فيها عنه وكلاء أو سفراء أربعة أولهم أبو عثمان بن سعيد الذي أوصى بعد وفاته الى ابنه جعفر وأوصى جعفر ابنه أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى هذا بها إلى الحسن السمري. ولما سألوا أبا الحسن هذا بعد موته عمن يخلفه؟ أجاب بالآتي : قال : لله أمر هو بالغه ولم يوص لأحد بعده. ومن ذلك الوقت تبدأ الغيبة الكبرى التي لم تنته عند الرافضة إلا بظهور المهدي آخر الزمان : وينقض شيخ الاسلام ابن تيمة فكرة المهدية عند الرافضة في كتابه «منهاج السنة» فيقول : (إن هذا المهدي إن قدر وجوده فانهم لا ينتفعون به في دين ولا علم ولا دنيا ولا حصل به لطف أو مصلحة ، فإن قيل بسبب ظلم الناس احتجب عنهم

قيل الظلم كان في زمن آبائه وما احتجبوا ثم المؤمنون به قد طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في وقت كان يمكنه أن يأوي إلى بقعة فيها شيعة. فما حصل بهذا المعلوم مصلحة أصلاً غير الانتظار الطويل ودوام الحسرة والألم والدعاء بالمستحيل لأنهم يدعون له بالخروج والظهور من نحو أربعمائة وخمسين ٤٥٠ سنة ولا يجابون ويقول ابن تيمية أيضاً: (ان بقاء انسان حيّاً هذه المدة الطويلة أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد ﷺ وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال في آخر عمره (أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يتبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد). ومن كان له في ذلك سنة ونحوها لم يعش أكثر من مائة سنة قطعاً واذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز ذلك الحد فما بعده من الأعمار أولى من ذلك. فإن أعمار بني آدم في الغالب كلما تأخر الزمان قصرت ولم تطل فإن عمر نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وآدم عليه السلام عاش ألف سنة كما ثبت ذلك في حديث صحيح رواه الترمذي وصححه، فكان العمر في ذلك الزمان طويلاً ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل فمن الذي يسلم لهم ببقاء الخضر والذي عليه سائر العلماء والمحققون أنه مات وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة.

والذي يقوله أهل السنة في هذا أنه لم ترد أحاديث عن المهدي في صحيحي البخاري ومسلم ولكن جاءت أحاديث في سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه وفي المستدرك للحاكم. ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة ج ٤ ص ٣١١ -ص ٢١٣. بولاق: «ان الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً).

رواه الترمذي وأبو داود من رواية أم مسلمة وأيضاً فيه (لا تذهب الدنيا حتى

يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. وفي سنن أبي داود (ولو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً).

وفيه أيضاً أن النبي ﷺ (نظر إلى الحسن وقال: ان ابني هذا سيد سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في ظقسه ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً).

وفي سنن الترمذي وأبو داود (المهدي من عترتي من ولد فاطمة).

وزاد أبو داود (يملك الأرض سبع سنين).

ويعلق ابن تيمية في منهاج السنة على هذه الأحاديث فيقول ان هذه الأحاديث غلط فيها طوائف:

الطائفة الأولى:

أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي ﷺ قال لا مهدي إلا عيسى بن مريم وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد أبو محمد وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندي وهو ممن لا يحتج به وليس هذا في مسند الشافعي وقد قيل إن الشافعي لم يسمعه من الجندي وان يونس لم يسمعه من الشافعي ووجه آخر: إن الاثني عشرية مهديهم اسمه محمد بن الحسن والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي اسمه محمد بن عبد الله.ولهذا حذفت طائفة لفظ الأب حتى لا يناقض ما كذبت فيه. وطائفة حرفته فقالت جده الحسين وكنيته أبو عبد الله. فمعناه محمد بن عبد الله وجعلت الكنية اسمه وأيضاً فان المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين. ومما يجب الانتباه له أن هناك علاقة موضوعية بين عقيدة المهدية والرجعة في جملة المقولات الإمامية وفيما ذكره كتاب المقالات من أمثال الناشئ الأكبر وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني أن عبد الله بن سبأ كان أول من قال بأنّ علياً سيرجع كما أخبر الطبري بأن ابن سبأ قال نفس القول بالنسبة للنبي محمد ﷺ

وأنه قد قال مقولته تلك في حياة علي إذ نقل عنه الطبري اسمه. قال جزء ٤ ص ٣٤٠ أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء كما أنّه قال لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجلّ: (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد). «محمد أولى بالرجوع من عيسى، هذا وقد ارتبطت في العقيدة الإمامية عقيدة الرجعة بعقيدة المهدية وقامت على أساس أن علياً سيرجع وأنه سينتقم من أعدائه وأنه سيسوقهم بعصاه وأنه سيملك الأرض ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً. وهذا المعنى هو ما نجده واضحاً عند الأشعري والقمي والنوبختي والبغدادي والشهرستاني.

عقيدة المهدي وعلاقتها بالفكر اليهودي:

سبقت الاشارة إلى أن عقيدة المهدي التي بشرت بها السنة النبوية بطرق عديدة يختلف مضمونها وما تمثله كخبر من أنباء الغيب الذي بشرت به السنة النبوية المطهرة عند أهل السنة عما هي عليه عند الامامية على وجه الخصوص... وقد اغتنمت الإمامية وجود قاسم مشترك بينها وبين أهل السنة في اعتقاد بظهور المهدي وأضافت بفعل المؤثرات الأجنبية إلى عقيدة المهدي ما أخرجها بالمفهوم الشيعي عن أن تكون عقيدة إسلامية صحيحة. والدارسون لعقيدة المهدي عند الإمامية وعند أهل السنة يلحظون تناقضاً حاداً بين العقيدتين، بحيث لا يمكن القول بأن مصدرهما واحد. والعجيب الملفت للنظر أن صفة المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً كما وردت الأخبار عنه عند أهل السنة والجماعة اكتست في الفكر الإمامي صفة من الفكر اليهودي هي صفة المسيح اليهودي الذي سيأتي من السماء لينتقم كما وردت به الأخبار اليهودية في سفر يوئيل إصحاح ٣ فقرة ١٨ من كتب العهد القديم. وهنا يجب الانباه إلى أن صفة المهدي في العقيدة الإمامية تختلف تماماً عما ورد به عند أهل السنة وصفة القائم المنتقم في الفكر اليهودي طغت كثيراً على صفات المهدي المنتظر عند الإمامية وعند غيرهم من أصحاب العقائد الباطنية فعند النصيرية مثلاً

والاسماعيلية والدروز نجد أن من مهمات هذا القائم قتل جميع الأعداء بيده وبيد أوليائه. وتنبىء المصادر الدرزية على أن الذين سيساعدون القائم على عملية قتل الأعداء هم من ذرية بني اسرائيل كما أشار إلى ذلك صاحب دولة الاسماعيلية في ايران. ونلاحظ هنا أن مهدية علي ورجعته التي قالت اليهودية بها تتميز في الفكر الإمامي الباطني بنقطتين اثنتين:

الأولى: ان عينين ستنعبان لعلي في مسجد الكوفة تفيض إحداهما سمناً والأخرى عسلاً يغترف منها شيعته.

وهذا المعتقد أصله يهودي ورد في العهد القديم حيث جاء فيه من سفر يوئيل ومن سفر أشعيا ومن سفر أرميا أنه يكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عسلاً والتلال تفيض لبناً وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء من بيت الرب يخرج ينبوع.

الثانية: هي ما زعمه ابن سبأ من أن علياً قال له إنه سيدخل دمشق ويهدم مسجدها حجراً حجراً. وهذا الكذب اليهودي يعبر عن أُمنية جاءت في العهد القديم تشغل عواطف اليهود عبر التاريخ. وخلاصتها كما جاء في سفر أرميا اصحاح ٤٩ فقرات ٢٦، ٢٧ (وهي من جهة دمشق هوذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم يقول رب الجنود. وأشعل ناراً في سور دمشق فتأكل قصور بنهدد).

وعلى ضوء هذا الربط العقدي بين مقولة المهدية الإمامية وأصلها التاريخي في الفكر اليهودي يتضح لنا دور ابن سبأ في نقل التراث اليهودي إلى عقائد الإمامية.

ومما يجدر ذكره أيضاً في هذا المقام أن عقائد الوصايا والإمامة من الأفكار التي لم تكن معروفة في البيئة الاسلامية وقد اضطر باحث باطني معاصر بتعصبه للفكر الباطني إلى أن يعترف بذلك فقال (عارف تامر) في كتابه (الإمامية في الإسلام) الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت ص ٦٢. (أعتقد أن أول بذرة وضعت في حقل الإمامة كانت البذرة التي غرسها عبد الله بن سبأ).

ومن المسلم به في الأوساط العلمية أن فكرة الوصايا والإمامة يهودية الأصل ما ذكره البغدادي من أن ابن سبأ ذكر أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي وقد ذكر

عن ابن سبأ قريباً من ذلك المعنى (الطبري) أيضاً إذ قال أنه قال (أنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان عليّ وصي محمد (والشهرستاني) بل والقمي والنوبختي ذكروا أن ابن سبأ كان يقول بمقالته في يوشع بن نون أنه كان وصي موسى).

واذا كانت عبارة لكل نبي وصي لا نجدها واضحة اليوم في كتب العهد القديم إلا أن لها بديلاً جاء في سياق كتب العهد القديم انتبه له يوليوس فالهوزن في كتابه (أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الإسلام ص ٢٤٥ وقد استأنس بما نقله الطبري في هذه القضية الأمر الذي يدل على أن أصل الوصايا أو الوصية بالإمامة ينطلق من جذر يهودي. وقد جاء في سفر التثنية من الإصحاح ٣١ (فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين جميع اسرائيل تشدّد تشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم إياها... (وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت. ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه). ان وجود مثل ذلك النص يدل على أن صوراً مماثلة له من العهد القديم كانت موجودة بشكل جوهري ثم تعرضت لعملية من عمليات التحريف.

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة المهدي قد مرت بأطوارها المختلفة وهي تحمل جرثومة الفكر اليهودي حتى انتهت إلى القول بأن القائم الذي سيظهر به دين الله على جميع الأديان أفضل من النبي محمد ﷺ. وهذه العقيدة تمثل خروجاً حقيقياً عن دين الاسلام خاصة وان الشيعة غير متفقين على (مهدي) يمثل جوهر العقيدة عندهم. فالكثير من الفرق الشيعية جاءت بمهدي خاص بها حتى قيل: «ان المهدية ظاهرة شيعية». وبالرغم من أنه سبق القول بأن «المهدية» ذات أصل ديني صحيح. إلا ان التفسير الشيعي لها حصرها في أئمتهم بالشكل اليهودي الذي بدأت به عندهم بشكل منحرف كتعبير عن معتقدهم في (الوصية). وبالرغم من اتفاق معظم علماء المقالات على أن مبدأ القول بالرجعية مبني على نفي عبد الله بن سبأ موت علي بن أبي طالب حينما نعي إليه. إلا أن هناك من المفكرين المحدثين مثل الدكتور كامل الشيبي في كتابه «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية» من ينسب المهدية بشكلها الشيعي إلى

غير الشيعة الغلاة بل إلى غير ابن سبأ إنما ينسبها كما فعل الشبيبي إلى عمر بن الخطاب إذ يقول الشبيبي في صفحة ٢٣ ، «لما مات النبي ﷺ قال عمر برجعته ومهديته مما يوحي بانسانية الفكرة أو إسرائيليتها إذا شئنا أن نرجع كل شيء إلى أصل معين ، وذلك أن عمر قرن موت النبي ﷺ بغيبة موسى أربعين ليلة».

وهذا الرأي فيه من التجني على الحقيقة بل والتعسف بما ينبغي رفضه تماماً إذ لا يمكن أن يكون موقف عمر رضي الله عنه بداية للقول بالرجعة أو المهدية لأنه موقف انفعالي تلاشى وانتهى أمام الحقيقة التي أعلنها الصديق رضي الله عنه في خطبته المشهورة التي رواها البخاري حين قال رضي الله عنه ... « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت »[1] .

ولو كان الأمر كما يقول المجتهدون العصريون لوجدنا فرقة تقول برجعة النبي ﷺ وتعتمد في مذهبها على موقف عمر ، وهذا ما لم يحدث قط في تاريخ المسلمين.

هذا ونود أن نشير إلى أن الغالبية الساحقة من الغلاة تحصر المهدية في الإمام المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري « المهدي » إمامهم الثاني عشر الذي اختفى حوالي سنة ٣٦٠. وسيظهر — في اعتقادهم — فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وهم ينتظرون خروجه حتى الآن رغم مضي أكثر من ألف عام. والواقع أن هذا المنتظر لم يولد أصلاً فقد ذكر ابن جرير الطبري وغيره أن الحسن العسكري مات عقيماً. وكان يجب أن تنتهي الشيعة الإمامية من التاريخ في ذلك الوقت ولكنهم اخترعوا فكرة « الغيبة » من التراث اليهودي ، أي أن إمامهم غاب وهو طفل صغير وسيرجع . والإمامية تزعم أنه كان له ولد — أي للحسن العسكري — دخل سرداب (سامراء) وهو صغير له ستتان أو ثلاثة أو خمسة ، وهذا لو كان موجوداً معلوماً لكان الواجب في علم الله تعالى أن يكون في حضانة أمه ونحوها من أهل الحضانة ، وأن يكون ماله عند من يحفظه فكيف من يستحق الحضانة والحجر يكون معصوماً إماماً للأمة؟؟ ثم هذا إن قدر وجوده أو عدمه لا ينتفعون به في دين ولا علم

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٧ / ١٩.

ولا دنيا ولا حصل به مصلحة ، فإن قيل بسبب ظلم الناس احتجب عنهم قيل كان الظلم في زمن آبائه وما احتجبوا ، ثم المؤمنون به قد طبقوا الأرض فهلا اجتمعوا به في وقت وكان يمكن أن يأوي إلى بقعة فيها شيعته (ولو كان شيخ الاسلام موجوداً الآن لقال اليوم قامت دولتهم فهلا خرج إليهم؟؟ فما حصل بهذا المعلوم مصلحة أصلاً غير الانتظار الطويل ودوام الحسرة والألم والدعاء المستحيل لأنهم يدعون له بالخروج من نحو أربعمائة وخمسين سنة ولا يجابون (هذا التحديد كان عصر ابن تيمية) . وقال محب الدين الخطيب معلقاً على العبارة الأخيرة «وها قد مضى بعد ذلك ٦٦٤ سنة أخرى فزادت مدة غيبته على أحد عشر قرناً ، ولا يزالون يجأرون بأدعيتهم لليوم . والعجيب أن في الغلاة من يحاول اليوم أن يلبس هذه العقيدة الأسطورية توب العلم المعتمد على البحوث والتطبيقات العلمية . ويحاول خداع الناس باستعمال مفردات كيميائية وفسيولوجية على ، ادعاء أن الغائب المحبوس ينتظر مواصفات وملابسات سياسية وتاريخية ودينية لكي يخرج على الناس بزعم أنه موجود بل وله نفس خواص الأحياء من بني الانسان بالرغم من احتباسه فوق الألف عام يقول المدعو : محمد مدن في مجلة (المواقف) في العدد (٥٣٥) ذو القعدة عام ١٤٠٤ الموافق ٢٧ أغسطس ١٩٨٤ وكذلك العدد (٥٣٦) نفس المجلة بتاريخ ٨ ذو الحجة الموافق ١٤٠٤ ، ٣ سبتمبر ١٩٨٤ وتحت عنوانين كبيرين : الأول منهما (المهدي المنتظر حقيقة وليست أكذوبة) .

فكرة المهدي عليه السلام ليست أكذوبة أو وهماً اختلقتها أخيلة جماعة من المظلومين والمكبوتين... فاختلقوا فكرة المنقذ والمخلّص للتنفيس عن نفوسهم المكبوتة وللتخفيف عن آلامهم... وتكوين سلوة لهم في عيشهم الضنك وحياتهم التعيسة... إن المهدي ولد مع ولادة الدين الإسلامي [هكذا يقول] وقد تكلمنا [الكلام لمحمد مدن الإمامي] عن فكرة المهدي وأجبنا على السؤال الأول للخروج حول المهدي... وهو كيف نؤمن بأن المهدي قد ولد؟.. وأما السؤالان الباقيان فنجيب عليهما في حلقة هذا الأسبوع . كيف تأتى للمهدي هذا العمر؟.. وبكلمة أخرى هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد

الذي يبلغ عمره الآن ألف ومائة وتسعة وأربعين سنة.. ان كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان : ـــ الامكان العملي.. الإمكان العلمي.. الإمكان المنطقي أو الفلسفي.. ويقصد بالامكان العملي : أن يكون السن ممكناً على نحو يتاح لي أو لك أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه كالسفر عبر المحيط.. والوصول إلى قاع البحر والصعود إلى القمر فهذه أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً وهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وبآخر... ويقصد بالإمكان العلمي : ان هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً ممارستها بوسائل المدنية المعاصرة... ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة [هكذا يزعم]. فصعود الإنسان إلى كوكب الزهراء لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه... بل ان اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لأولئك... ولا يتطلب ذلك إلا تذليل الصعاب... إذ الصعود إلى الزهراء ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً.. ويقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي : أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدرك من قوانين قبلية ـــ أي سابقة على التجربة ـــ ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته.. فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي.. لأن العقل يدرك قبل أن يمارس أي تجربة ـــ ان الثلاثة عدد فردي وليس زوجياً فلا يمكن أن ينقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد. وهذا تناقض والتناقض مستحيل منطقيّاً.. ولكن دخول الإنسان إلى النار دون أن يحترق ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية أو لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة.. وإنما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرّب الحرارة من الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.. وهكذا نعرف ان الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي وهذا أوسع من الإمكان العملي.. ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقيّاً لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية مجردة.. ولا يوجد في افتراض هذا القبيل أي تناقض لأن الحياة كمفهوم لا تستنبط

الموت السريع .. ولا نقاش في ذلك .. كما لا شك في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً .. ذلك لأن العلم بوسائله المتاحة لا يستطيع أن يمدّد عمر الإنسان مئات السنين .. وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية .. وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسيولوجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان .. فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل إلى أن تتعطّل لحظة معينة حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي .. أو أن هذا التصلب وهذا التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر .. هذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه وهو جادّ في الإجابة عليه .. ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي .. فإذا أخذنا بوجهة النظر التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة . فهذا يعني أن بالإمكان نظرياً إذا عزلت الأنسجة التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة ،وتتغلب عليها نهائياً[1] وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءاً بالموت .. فهذا لا يعني عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي .. بل هو على افتراض وجوده قانون مرن .. لأنا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية — لا زمنية — قد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة .. حتى ان الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الأطباء .. بل ان العلماء استطاعوا عملياً أن

---

(١) هذا الكلام الذي يقوله الكاتب الشيعي : محمد مدن لا يستند إلى حقائق علمية.

يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة.. وبهذا يثبت عملياً ان تأجيل هذا القانون يخلق ظروفاً وعوامل معينة أمر ممكن علمياً.. ولأن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد كالإنسان فليس ذلك إلا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى.. وهذا يعني أن العلم من الناحية.. النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها ليسير بها نحو الفناء.. ونخلص من ذلك بنتيجة أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وعلمياً.. [هكذا يقول] ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيقه..

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه السلام ونقول إنه ما دام ان طول عمر الإنسان ممكن منطقياً وعلمياً.. وأن العلم في طريقه إلى تحقيقه عملياً ولو على المدى الطويل.. فإنه لا غرابة من طول عمر المهدي عليه السلام.. وتبقى المسألة أنه كيف سبق الاسلام — الذي صمم عمر المهدي — حركة العلم في مجال التحويل؟.. والجواب أنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الاسلام حركة العلم.. أوليست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟.. أولم تناد على شعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين؟ أولم تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجهة الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن..؟ أولم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها؟.. فإذا كنا نؤمن بهذا كله فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة سبحانه وتعالى أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟ إذن.. ما دام الإمام المهدي عليه السلام حياً فلماذا لم يظهر اذن؟ مع أنه كانت ظروفه للعمل الإجتماعي أيسر وأبسط إبان الغيبة الصغرى وما بعدها.. ولم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجة الهائلة من القوة والقدرة التي بلغتها اليوم من خلال التطور العلمي والصناعي؟. والجواب : أن كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها

بشروط وظروف موضوعية لا يتأتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف.. وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض أنها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية.. لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف.. ومن أجل ذلك انتظرت السماء خمسة قرون من الجاهلية حتى أنزلت آخر رسالاتها على يد النبي ﷺ.. لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجة العالم إليها منذ فترة طويلة قبل ذلك.. والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير منها: ما يشكل المناخ المناسب والجوّ العام للتغيير المستهدف.. ومنها ما يشكل بعض التفاصيل التي تتطلب حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية.. ولذلك اقتضت سنة الله جلّ وعلا التقيّد بهذه الناحية الموضوعية.. فعلى الرغم من قدرة الله سبحانه وتعالى على تذليل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربانية وخلق المناخ المناسب لها خلقاً بالإعجاز.. لم يشأ أن يستعمل هذا الأسلوب لأن الابتلاء والمعاناة التي من خلالها يتكامل الإنسان يفرض على العمل التغييري الرباني أن يكون طبيعيّاً وموضوعيّاً من هذه الناحية.. وهذا لا يمنع من تدخل الله سبحانه وتعالى أحياناً فيما يخص بعض التفاصيل التي لا تكون المناخ المناسب وإنما قد يتطلبها أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب.. ومن ذلك الإمدادات والعنايات الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجة فيحمي بها الرسالة.. مثل (نار غرور) تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم.. ومثل يد اليهودي الغادر التي ارتفعت بالسيف على رأس النبي ﷺ تشلّ وتفقد قدرتها على الحركة.. ومثل العاصفة القوية تجتاح مخيمات الكفار والمشركين الذين أحدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب.. إلا أن هذا كله لا يعدو التفاصيل وتقديم العون في لحظات حاسمة بعد أن كان الجوّ المناسب والمناخ الملائم لعملية التغيير على العموم قد يكون بالصورة الطبيعية ووفقاً للظروف الموضوعية.

ثم يقول محرر البحث إياه:

وعلى هذا الضوء نفهم موقف الإمام المهدي عليه السلام لنجد أن عملية التغيير

التي أعدّ لها ترتبط من الناحية التنفيذية كأيّ عملية تغيير اجتماعي أخرى بظروف موضوعية تساهم في توفر المناخ المناسب لها.. ومن هنا كان من الطبيعي أن توقف وفقاً لذلك.. ومن المعلوم [عند كاتب المقال] أن المهدي لم يكن قد أعدّ نفسه لعمل اجتماعي محدود ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك.. لأن رسالته الإصلاحية التي ادخر لها من قبل الله جلّ شأنه، تغيير العالم تغييراً شاملاً في إخراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور إلى نور العدل.. وعملية التغيير الكبرى هذه لا يكفي في ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح.. وإنما تتطلب مناخاً عملياً مناسباً وجواً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية.. فمن الناحية البشرية يعتبر شعور إنسان الحضارة بالنفاد عاملاً أساسيّاً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبّل رسالة العدل الجديدة.. وهذا الشعور بالنفاد يتكوّن ويترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التي تخرج منها إنسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنى مدركاً حاجته إلى العون متلفّتاً بخطواته إلى الغيب أو المجهول.. ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على إنجاز الرسالة على صعيد العالم كله.. وذلك بما تحققه من تقريب المسافات والقدرة الكبيرة على التفاعل بين شعوب الأرض وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة.. وأما قضية تنافي القوى والأداة العسكرية التي يواجهها القائد في اليوم الموعود كلما أجّل ظهوره فهذا صحيح.. ولكن ماذا ينفع نمو الشكل المادي، للقوى مع الهزيمة النفسية من الداخل وانهيار البناء الروحي للإنسان الذي يملك كل تلك القوى والأدوات؟.. وكم من مرة في التاريخ انهار بناء حضاري شامخ بأول لمسة غازية لأنه كان منهاراً قبل ذلك وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه.. والشواهد حقيقة كثيرة على ذلك ولا تحتاج إلى ذكر.. وهكذا ندرس قضية الإمام المهدي عليه السلام.. بعيداً عن العصبيات وإثارة الفتن التي لا فائدة منها. وبعيداً عن إذكاء روح الكراهية والبغض بين الطوائف التي يجمعها دين واحد ورسالة واحدة وعقيدة واحدة.. ويهدّدها خطر

واحد.. فالسيف المسلّط على رقاب المسلمين لا يعرف طائفة دون أخرى ومذهباً دون الآخر.. فالجميع تحت النيران.. والجميع تحت التدمير.. ويكفينا الضياع والتشتت وتكفينا.. سنين الاستعمار والفرقة.. فما عاد جزء في جسد الجريح قابلاً للفتق وقابلاً للتجريح.. تكفينا المذابح والحروب مع بعضنا البعض على امتداد تاريخنا الإسلامي[1]. إننا يجب أن ننتبه إلى هؤلاء المدلّلين الذين يثيرون الفتن ثم يقفون يتفرجون علينا.. إن علينا أن نضرب بيد من حديد على هؤلاء الشياطين البشرية التي توقع العداوة والبغضاء بيننا مهما اتخذوا من أشكال ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً عن إنسان حي محدّد يعيش كما نعيش ويترقب كما نترقب.. يراد منا الإيحاء إلينا بأن فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور التي يمثلها المهدي تجددت فعلاً في القائد الرافض المنتظر الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث وأن الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له.. وقد ورد في الأحاديث الحث المتواصل على انتظار الفرج.. ومطالبة المؤمنين بالمهدي أن يكونوا بانتظاره. وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية والصلة الوجدانية بينهم وبين القائد الرافض وكل ما يرمز إليه من قيم.. وهي رابطة وصلة ليس بالإمكان إيجادها ما لم يكن المهدي قد تجسد فعلاً في إنسان حي معاصر.. وهكذا نلاحظ أن هذا التجسيد أعطى الفكرة زخماً جديداً وجعل منها مصدر عطاء وقوة بدرجة أكبر إضافة إلى ما يجده أي إنسان رافض من سلوى وعزاء وتخفيفاً لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان حين يحس أن إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام ويتحسّس بها فعلاً بحكم كونه إنساناً معاصراً يعيش معه وليس مجرد فكرة مستقبلية.. ولكن التجسيد المذكور أدى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها لدى عدد من الناس الذين صعب عليهم أن يتصوروا ذلك ويفترضوه.. ولذلك هم يكثرون من الأسئلة حول القضية ويحاولون التعرف على هذه العقيدة الإسلامية وبعضهم.. يحاول التصيد في الماء العكر فيثير القضية بالسخرية تارة وبالانتقاص والتهكّم تارة أخرى.. ويمكن أن نلخص الأسئلة المثارة في هذا الموضوع إلى ثلاثة أسئلة وهي: كيف نؤمن

(١) التقية تجعل كتاب الشيعة في حل من قول كل كلام يمكن به خداع الناس والكذب عليهم.

بأن المهدي قد وجد؟ وكيف تأتّى له هذا العمر الطويل؟ ولماذا لم يظهر طيلة هذه المدة ما دام موجوداً؟ وللإجابة على السؤال الأول نقول ان فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في الأحاديث النبوية وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك.. وقد بلغت الروايات كما قلنا أكثر من ستة آلاف رواية وهذا رقم كبير بالنسبة إلى القضايا الإسلامية الأخرى[1] .. وأما تجسيد هذه الفكرة في الإمام الثاني عشر عليه السلام فهذا ما تجد له مبررات كافية وواضحة للإقناع به.. ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين: أحدهما إسلامي والآخر علمي.. فالدليل الإسلامي يثبت وجود القائد المنتظر.. وبالدليل العلمي نبرهن على أن المهدي ليس مجرد أسطورة وافتراض بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.. أما الإسلامي فيمثل في مئات الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهل البيت ومن ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وأنه التاسع من ولد الحسين.. فإن هذه الروايات تحدّد الفكرة العامة وتشخصها في الإمام الثاني عليه السلام وهي بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار رغم تحفظ الأئمة عليهم السلام واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام وقاية للخلف الصالح من الاغتيال أو الاجهاز السريع على حياته وليست الكثرة العددية للروايات.. هي الأساس الوحيد لقبولها.. بل هناك إضافة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها.. فالحديث النبوي الشريف عن الأئمة بعده وأنهم إثنا عشر إماماً.. وقد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند المسلمين كصحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين والكافي ومن لا يحضره الفقيه وغيرهم.. ويلاحظ هنا أن البخاري الذي نقل الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام.. وفي ذلك مغزى كبير لأنه يبرهن على أن الحديث قد سجل عن النبي ﷺ قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر

(١) هذه الروايات الكثيرة التي يتحدث عنها موجودة في كتب الشيعة فقط.

فعلاً وهذا يعني.. أنه لا يوجد مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له.. وما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على أن الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري لأمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى. وأما الدليل العلمي فهو يتكوّن من تجربة عاشتها أمة من الناس من فترة امتدت سبعين عاماً تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى والغيبة الصغرى تعبر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه السلام.. فقد قدّر لهذا الإمام منذ تسلمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظل بعيداً باسمه عن الأحداث وإن كان قريباً منها بقلبه وعقله.. وقد لوحظ أن الغيبة إذا جاءت مفاجأة حققت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأمة الإسلامية لأن هذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالإمام في كل عصر.. والتفاعل معه والرجوع إليه في حلّ المشاكل المتنوعة.. فإذا غاب الإمام عن قاعدته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية سببت هذه الغيبة المفاجئة الإحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتّت شمله.. فكان لا بدّ من تمهيد لهذه الغيبة لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهدي على المسرح العام غير أنه كان دائم الصلة بقواعده وأصحابه عن طريق وكلائه ونوابه والثقاة من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه.. وقد أشغل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم ما يلي:

١ — عثمان بن سعيد العمري.

٢ — محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ — أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي.

٤ — أبو الحسن علي بن محمد السمري.

وقد مارس هؤلاء الأربعة مهام النيابة بالترتيب المذكور وكلما مات أحدهم خلفه

الآخر الذي يليه بتعيين من الإمام عليه السلام.. وكان النائب يتصل بالقواعد ويحمل أسئلتهم إلى الإمام ويعرض مشاكلهم عليه ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحياناً وتحريرية في كثير من الأحيان وقد وجدت الجماهير التي فقدت أملها العزاء والسلوى في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة.. ولاحظت أن كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الإمام المهدي بخط واحد وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً.. وقد بدأت الغيبة الكبرى بعد انتهاء السفراء الأربعة حيث حققت الغيبة الصغرى أهدافها إذ عودت القواعد على اختفاء الإمام وعودتهم على تقبّل فكرة النيابة العامة عن الإمام.. وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام وهو خط المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين.. والآن بإمكانك[1] أن تقرّر الموقف في ضوء ما تقدّم لكي تدرك بوضوح أن المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام أو تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل.. فهل يتصوّر — بربك — أن بإمكان كذبة أن تعيش سبعين عاماً ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها وظلوا يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع وإيمانهم بواقعية القضية التي يدعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟ لقد قيل قديماً إن حبل الكذب قصير ومنطق الحياة يثبت أيضاً أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء ثم تكسب ثقة جميع من حولها.. وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالإمام القائد بولادته وحياته وغيبته وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد. يحلو لبعض مثقفينا أن يتقيأوا بين الحين والآخر على

(١) بداهة: هذا الكلام من شيعي فهو لا ينسجم إلا مع فكر شيعي.

الورق لكي يظهروا لنا قبح ثقافتهم المريضة.. فماذا يفعلون.. انهم لا يجدون سوى المواضيع العقائدية الدينية للطوائف الإسلامية لإثارتها فتثار بأسلوب كله سبّ وشتيمة وإنكار لتلك العقائد.. وطبعاً لا يملكون غير تلك الوسائل التي هي في الواقع هدفها إثارة الفتنة والعصبية وبين مختلف الطوائف الإسلامية مستغلين الظروف المعقدة التي يمرّ بها الإسلام والمسلمون.. وللأسف تجد بعض العقول غير الواعية وما أكثرها هذه الأيام أن تؤمن بما تدعيه تلك الفئات الضالة المضللة التي تستغل من ضعف الآخرين قوة لها للتطبيل والتزمير وتأخذ من تكالب الزمان عليها طريقاً لتوجيه مزيد من الطعن والضرب في معتقداتها وركائزها الدينية.. إننا لا نرفض أن تثار القضايا العقائدية بين الطوائف الإسلامية لأن إثارتها يعني الاطلاع على وجهات النظر ومن ثم تقاربها مما يعني مزيداً من التقارب والالتحام والتجانس. والنتيجة أن يكون الإسلام قوة ضاربة بتعاون المسلمين مع بعضهم البعض تماماً كما قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في نوادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له باقي الأعضاء بالسهر والحمى).. وقوله أيضاً صلى الله عليه وسلم: (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل البنيان المرصوص). ولكننا نرفض أن تثار القضايا بأسلوب بغيض هدفه إثارة الفتنة والتحامل من طائفة على أخرى.. ذلك الأسلوب التافه الذي ينمّ عن نفس معقدة مريضة وقلم باهت رخيص يسعى للوصول إلى أهدافه على حساب مجموعة من الناس لا حول لهم ولا قوة.. وعلى حساب تشويه عقائدهم والتي هي في الأول والأخير مستقاة من مصادر التشريع الإلهي القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.. وإذا كان ثمة طعن أو تشويه فهو في الحقيقة موجه للإسلام في الدرجة الأولى لا إلى طائفة معينة.. فأولئك الذين يشككون في المهدي المنتظر ويسخرون منه كعقيدة إسلامية إنما هم في الواقع يشككون في عقيدة إلهية مصدرها القرآن الكريم. ففي القرآن عدة آيات أجمع المفسرون المسلمون من جميع الطوائف على أنها نزلت في المهدي المنتظر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ.. وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً.. وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ — ٥ القصص...

وفي الأحاديث وردت أكثر من ستة آلاف رواية صحيحة تؤكد على المهدي منها.. قول رسول الله ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي.. يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي.. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً). والمهدي ليس تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب.. بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها.. وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب[1] — أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي. وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل.. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دنيا بالغيب بل امتد إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشد الايديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبات كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات — وآمنت بيوم موعود تصفّى فيه كل التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام.. وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الإنسانية على مرّ الزمن من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان.. وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام ويؤكد أن الأرض في نهاية المطاف ستملأ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً فهو يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوّله إلى إيمان حاسم بمستقبل السيرة. وهذا الإيمان ليس مجرد مصدر للسلوى والعزاء فحسب.. بل مصدر عطاء وقوة.. فهو مصدر عطاء لأن الإيمان بالمهدي إيمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها.. وهو مصدر قوة ودفع لا تنضب لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الإنسان ويحافظ على الأمل المشتعل

---

(١) الكاتب في هذه الفقرات يبشر ويدعو إلى فكر ماسوني يتعلق بالمزج بين الأديان.

في صدره مهما ادلهمت الخطوب وتعملق الظلم.. لأن اليوم الموعود يثبت أن بإمكان العدل أن يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور، فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، ويقيم بناء من جديد وأن الظلم مهما تجبر وامتد في أرجاء العالم وسيطر على مقدّراته فهو حالة غير طبيعية ولا بدّ أن ينهزم.. وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده تضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم وكل أمة مظلومة في القدرة على تغيير الميزان وإعادة البناء.. واذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام فإن معالمها التفصيلية التي حدّدها الإسلام جاءت أكثر إشباعاً لكل الطموحات التي أُسندت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني وأغنى عطاء وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرّ التاريخ وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب إلى واقع ومن مستقبل إلى حاضر ومن التطلع إلى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول إلى الايمان بوجود المنقذ فعلاً.. وتطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم فلم يعد المهدي عليه السلام فكرة تنتظر ولادتها ونبوءة تتطلع إلى مصداقها.. بل واقعاً قائماً تنتظر فاعلية.. وإنساناً معيناً يعيش بلحمه ودمه ونراه ويرانا ويعيش مع آمالنا وآلامنا يشاركنا أحزاننا وأفراحنا ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين. ويكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد وينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده إلى كل مظلوم وكل محروم وكل بائس ويقطع دابر الظالمين.. قد قدر لهذا القائد أن لا يعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من أنه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة.. ومن الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرب الهوة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين والمنقذ المنتظر. وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعورهم النفسي قصيراً مهما طال الانتظار... انتهى كلام الإمامي المعاصر.

ونحن نسأل بعد هذا الاستطراد الطويل: هل في كل ما أورده العالم الإمامي ما يمكن أن يقبله مسلم تحكمه آيات الذكر الحكيم وتوجهه السنة النبوية المطهرة. إن الإمامية لو قبلت مثل هذا الزعم العلمي، فهذا أكبر دليل على الافلاس الديني وافتقاد الحجة والبرهان.

الرجعة عند الغلاة من الشيعة :

الرجعة من العقائد التي يعتد بها عند الشيعة الإمامية ولا يخالف أحد منهم في اعتقادها لا من الأئمة السابقين أو اللاحقين وبالرغم من أن عقيدة الرجعة من الأفكار المدسوسة على الإمامية وقد تولى كبر إثمها عبد بن سبا إلا أنها من العقائد الشائعة عند الإمامية . وهي في إيجاز شديد تعنى عند الإمامية بأن الله تعالى سيرجع قسماً من الأموات إلى الحياة الدنيا وذلك عند خروج المهدي الإمامي ، ولن يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد ثم يصير الجميع بعد ذلك إلى الموت . وتقوم عقيدة الرجعة أساساً على اعتقاد أن النبي ﷺ والحسن والحسين وباقي أئمة (الإمامية) وكذلك بعض خصومهم كأبي بكر وعمر وعثمان يرجعون إلى الدنيا ويُعذب من اعتدى على الأئمة وغصب حقوقهم . وبزعم الأمامي الغالي : المرتضى في كتابه (المسائل الناصرية) إن أبا بكر وعمر سيصلبان على شجرة زمن المهدي بعد أن يضربا بالسياط . وهذا الإعتقاد الفاسد بالإضافة إلى كونه يتضمن حقداً وعدواناً بل وكفرا بحق أصحاب رسول الله ﷺ فإنه يقول باعتقاد بعث غير البعث الذي يعتقده المسلمون . وهذه العقيدة الفاسدة التي تقول بالرجعة قد أبطلتها آيات القرآن في كتاب الله تعالى : منها قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1] .

وهذا الاعتقاد مصدره كما قلنا يهودي فابن سبأ اليهودي أول من قال بالرجعة ، قال برجعة محمد ﷺ : هذا وتعتقد فرق الشيعة جميعاً والإمامية على وجه الخصوص أنه في اليوم الذي سيظهر فيه المهدي سيرجع إلى الدنيا كل من أخلص في الايمان وكل من أمعن في الكفر .

والقصد من هذه الرجعة كما قال المجلسي أن ينتقم المهدي من أعداء أهل البيت

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٩ — ١٠٠

الذين يشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه عليه ويعتمد الشيعة الرافضة بقولهم بالرجعة على الآيات الأولى من سورة القصص التي تبدأ بقوله تعالى في الآية السابعة :

﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

يقول : (المجلسي) أحد أئمتهم في كتابه (حياة القلوب) وهو يعلق على هذه الآية الكريمة سئل الإمام : زين العابدين عن تفسير هذه الآية الكريمة فقال : والذي أرسل محمداً بالحق الصالحون نحن أهل البيت وشيعتنا كمثل موسى وقومه وأعداؤنا وحزبهم كفرعون وقومه . هذا ويتوسع المجلسي في شرح عقيدة الرجعة هذه حين يقول : (ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم المهدي عليه السلام من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً ويرجع أعداؤه لينتقم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروه عليهم فتكون رجعة الكفار لينالهم العقاب الشديد أما باقي الناس فيبقون في قبورهم إلى يوم القيامة . ثم يسترسل المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» ويقول :

إنه عند الرجعة يرجع من الأولين الحسين بن علي ومن استشهد معه ويرجع معه اللعين (يزيدين معاوية) وأنصاره فينتقم منهم الحسين إنتقاماً سريعاً [رحمهم الله جميعاً] كما يقول في كتابه (حق اليقين) .

إنه إذا رجع علي إلى الدنيا يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان فيلاقي أصحابه قرب الكوفة فيذهب معهم لقتال الشيطان ويكون مع الشيطان جيش عظيم ممن أغواهم فاتبعوه منذ زمن آدم فيجري بينهم قتال يشيب لهوله الولدان وتتراجع جيوش أمير المؤمنين مئة خطوة حتى تبتل أقدام بعضهم بالنهر وفي تلك المعارك ترتفع غمامة في السماء ويكون أمامها جيش من الملائكة وعلى رأسهم محمد ﷺ وبيده رمح من نور فإذا رأى الشيطان محمداً هرب وجنده فيقتله محمد برمحه ويفني جيشه .

ويذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) أن ممن قال بالرجعة في

العصر الأول عبد الله بن سبأ اليهودي فقد كان يقول يرجوع محمد ﷺ وفي أوائل المئة الثانية للهجرة كان جابر الجعفي وهو أحد الكذابين الذي قال فيه أبو حنيفة ما رأيت أكذب منه يقول برجعة علي بن أبي طالب وكان يقول في قوله تعالى :

﴿ وإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيهِمْ أخْرَجْنَا لَهُم دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ[1] .. ﴾ الخ . إن الدابة هي علي بن أبي طالب .

ويبدو من دراسة أطوار الرجعة عند الإمامية أنها خضعت لعمليات فكرية ونفسية قوامها الشعور القوي عند الإمامية في الرغبة بالانتقام من كل من خالفهم وخاصة أولئك الذين ينظر إليهم الإمامية بحقد شديد أعني الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ . فإنه ما أن أتى القرن الثالث الهجري إلا وقد أصبحت عقيدة الرجعة تحمل مضمون الإنتقام عند الإمامية ممن خالفهم إذ أصبح القول بالرجعة يشمل جميع الذين يعتقدون بعقيدة الإمامية والذين يخالفونهم ليتم للإمامية القصاص من مخالفيهم . والذي قال به الشريف المرتضى فيما نقله عنه أحمد أمين أن أبا بكر وعمر ، يرجعان زمن المهدي ويصلبان على شجرة (عقوبة لهما على اغتصاب الخلافة من علي) أما الأستاذ محب الدين الخطيب . فينقل في كتابه (الخطوط العريضة) عن شيخ الشيعة محمد بن محمد بن النعمان المعروف عندهم باسم الشيخ المفيد في كتابه (الإرشاد تاريخ حجج الله على العباد) قال أبو عبد الله (ينادي باسم القائم في ليلة ثلاث وعشرين ويقوم في يوم عاشوراء ، كأني به في اليوم العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام جبريل عن يمينه ينادي البيعة لله فتسير إليه الشيعة من أطراف الأرض تطوي لهم طياً حتى يبايعوه) . وقد جاء الأثر الشيعي في أنه يسير من مكة حتى يأتي الكوفة فينزل على نجفنا ثم يفرق الجنود منها في الأمصار .

روى عبد الكريم قال قلت لأبي عبد الله كم يملك عليه السلام قال : سبع سنين تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنينه مقدار عشر سنين من سنينكم فتكون سنو

---

(١) سورة النمل الآية ٨٢

ملكه سبعين من سنينكم هذه. قال أبو بكر بصير: جعلت فداك فكيف يطول الله السنين؟ قال: يأمر الله الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون وإذا قام من منامه قطر الناس جمادة الآخرة وعشرة أيام من رجب قطراً لم ير الخلائق مثله فينبت الله لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم متبللين ينفضون شعورهم من التراب. روى عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله قال: إذا قام القائم من آل محمد قامت خمسمائة من قريش تضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة أخرى تضرب أعناقهم ثم يفعل ذلك ست مرات قلت: يبلغ هؤلاء قال جعفر الصادق نعم فهم ومن والاهم، روى الجعفي عن أبي عبد الله إذا قام قائم آل محمد ضرب قصاطيد يعلم القرآن على ما أنزل ويعلق على ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب بقوله: لماذا لم يفعل ذلك جده علي بن أبي طالب مدة ولايته الخلافة، فهل حفيده الثاني عشر أَوْفَى منه للقرآن الكريم والإسلام.

وروى عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام آل محمد حكم الناس بحكم داود وروى المفضل عن أبي عبد الله قال: يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً من قوم موسى وسبعة من قوم الكهف ويوشح وسليمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشقر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً. وعقيدة الرجعة وظهور حضرة القائم عليه السلام ليرجع إلى الدنيا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، لينتقم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحق وعلو كلمة أهل البيت ما أنكروا عليهم فتكون رجعة الكفار لينالهم عقاب شديد هذه العقيدة مجمع عليها عند الشيعة لا خلاف بينهم في ذلك ولم يشذ فيها أحد ممن يعتد به ويعتمد على قوله كما ذكر الحر العاملي مستدلاً على صحة الرجعة وإمكانها ووقوعها. (بإجماع جميع الشيعة الإمامية وإطباق الشيعة الإثني عشرية على صحة اعتقاد الرجعة فلا يظهر منهم مخالف يعتد به من العلماء السابقين ولا اللاحقين، وقد علم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله وعن الأئمة عليهم السلام، الدالة على اعتقادهم بصحة الرجعة حتى إنه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان

محمد بن الحسن المهدي في التوقيعات الواردة عنه وغيرها مع قلة ما ورد عنه في مثل ذلك من نسبة ما ورد عن آبائه عليهم السلام. يقول الشيخ العلّامة إحسان إلهي ظهير رحمه الله وهو يناقش الدكتور علي عبد الواحد وافى في كتابه الذي خصصه للرد عليه وأسماه (الرد الكافي على علي عبد الواحد وافى): مثل ذلك ذكره أيضاً مفسر الشيعة القديم أبو علي الطبرسي في تفسيره تحت قول الله عز وجل:

﴿ وَيَومَ نَحْشَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِئَايَاتِنَا فَهُم يُوزَعُون ﴾[1].

فاستدل بهذه الإماميّة بأن قال: إن دخول من في الكلام يوجب التبعيض، فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾[2].

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في أن الله سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقون من العذاب في القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته.. على أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، وأولوا الأخبار الواردة في ذلك لما ظنوا أن الرجعة تنافي التكليف. وليس ذلك، لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك، ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها، وإنما المعول في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده وقبله

---

(١) سورة النمل آية ٨٣

(٢) سورة الكهف آية ٤٧

قال الشريف المرتضى الملقب عند الشيعة (بعلم المهدي) في جواب أسئلة عن حقيقة الرجعة فأجاب :

«بأن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوماً ممن تقدم موتهم من شيعته وقوماً من أعدائه».

وقبله شيخ المرتضى وإمام متكلمي الشيعة وفقهائها، محمد بن النعمان الملقب بالمفيد قال :

اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

وقال في موضوع آخر في مقالاته تحت عنوان (القول في الرجعة) أقول.

إن الله تعالى يرد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز منهم فريقاً ويذل فريقاً ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منه من الظالمين، وعند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام وعليه السلام.

إن الراجعين إلى الدنيا فريقان: أحدهما من علت درجته في الإيمان وكثرت أعماله الصالحات وخرج من الدنيا على أجتناب الكبائر والموبقات، فيريه الله عز وجل دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه، والآخر من بلغ في الفساد وانتهى في خلاف المحقين إلى أقصى الغايات وكثر ظلمه لأولياء الله واقترافه السيئات فينتصر الله تعالى لمن تعدى قبل الممات ويشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب، وقد جاء القرآن بصحة ذلك تظاهرت به الأخبار، والإمامية بأجمعها عليه إلا شذوذ منهم تأولوا ما ورد فيه فلا يظهر منهم مخالف يعتد به من العلماء السابقين واللاحقين، وقد علم دخول المعصوم في هذا الأجماع.

وبذلك قال صدوق الشيعة ورئيس محدثيهم ابن بابويه القمي في كتابه الكلامي تحت عنوان (باب الأعتقاد في الرجعة) :

«أعتقادنا يعني معشر الإمامية في الرجعة أنها حق»، وقال الملا باقر المجلسي صاحب (بحار الأنوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة:

أعلم يا أخي أني لا أظن أنك قد ترتاب بعد ما مهدت وأوضحت لك بالقول في الرجعة التي اجمعت عليها الشيعة في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعات النهار وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتي حديث رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم.

ومثل ذلك قال الحر العملي:

«ومما يدل على ثبوت الإجماع اتفاقهم على أحاديث الرجعة حتى إنه لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الشيعة ولا تراهم يضعفون حديثاً واحداً منها، ولا يتعرضون لتأويل شيء منها، فعلم أنهم يعتقدون مضموناً لأنهم يضعفون كل حديث يخالف أعتقادهم أو يصرحون بتأويله وصرفه عن ظاهره».

والخلاصة أن عقيدة الرجعة من أركان الأعتقاد الإمامي وهي بالشكل الذي ترويه المصادر الشيعية تقرر بعثاً لبعض خلق الله في هذه الحياة الدنيا دون مسئولية أو تكليف وهي عقيدة تتنافى وما جاء في كتاب الله تعالى في وقوف الخلق يوم القيامة لحسابهم عما قدموا من خير أو شر.. ولكن الحقد العميق في قلوب القائلين بالرجعة جعلهم يتعجلون عذاب مخالفيهم والانتقام من أعدائهم مرة بمعرفتهم وتحت إشراف قائمهم الذي لن يقوم إن شاء الله ومرة يوم الحساب العظيم إن كانوا يؤمنون به.

التقية عند غلاة الشيعة:

التقية معناها عند الشيعة: أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك. والتقية عند الغلاة معدودة من أصل الدين ومن تركها منهم كان بمنزلة من ترك الصلاة. وهي عندهم واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية، ويستدلون على

هذا الأصل عندهم بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [1] . وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله (التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له) وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد اقتراف الكذب والحرمان بحجة التقية التي لا ينبغي اللجؤ إليها إلا في حالة المضطر الذي يخشى على نفسه من الهلاك دون أن يتغير قلبه لكن الغلاة يرون التقية واجبة في كل حال اضطروا إلى ذلك أو لم تكن هناك لها ضرورة فابن بابويه القمي يقول في رسالته (الاعتقادات) : التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة . ويقول أيضاً حول التقية : إنها واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة . وأحاديثهم التي تجعل التقية عقيدة وديناً والتي هي في الإسلام رخصة عند الضرورة كما دل على ذلك الكتاب والسنة كثيرة منها ما ورد في الكافي باب التقية : (لا إيمان لمن لا تقية له) (تسعة أعشار الدين في التقية) (التقية من ديني ودين آبائي يا سلمان) رواة الحديث — إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله) ...الخ . ويدعى بعض الشيعة المعاصرين أنهم لا يستعملون التقية إلا في حالات الضرورة وإنما اشتهرت عندهم لكثرة وقوع الظلم عليهم ، وقد انتهى اليوم عصر التقية لانتفاء الظلم . ورد عليه أحد الباحثين من أهل السنة بأن هذا الادعاء تقية على التقية والواقع أن من يراجع أحاديثهم التي قالوها في التقية يجد أنهم غالوا في قيمة التقية ، وجعلوها من ركائز العقيدة ، ومثل هذا تنزيل للتقية في غير منزلتها ، ومن ارتآها كذلك فإنها تخلق منه إنساناً جباناً كذوباً وأين هذا من الإيمان ، ومن جانب آخر فإن من يطالع بعض كتب الفروع عندهم كالاستبصار مثلاً وهو يعتبر من صحاحهم الأربعة يجد أن مؤلف الكتاب الطوسي يحمل كل ما جاء عن طريق آل البيت من أحاديث توافق ما عند أهل السنة يحملها على التقية فمثلاً جاء في (الاستبصار) أن علياً غسل رجليه (المذهب عند الشيعة مسح الرجلين) قال صاحب الاستبصار وهذا محمول على التقية لأنه يوافق مذهب العامة (يعني أهل السنة) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٨

ومن الواضح أن لا حاجة إلى هذه التقية ، ثم من الذي يتقي ؟ أعلي رضي الله عنه وهو الشجاع الذي يأبى التقية إباءه للضيم ، ثم إنهم قالوا بالتقية والتجأوا إليها حينما عرفوا من أئمتهم أقوالاً متضاربة وآراء متناقضة فلما اعترض عليهم أن أئمتهم الذين يزعمون أنهم معصومون عن الخطأ والنسيان كيف حصل منهم هذا الأختلاف والتناقض ، فقالوا إنهم فعلوا هذا أو ذاك تقية وقد اعترف بهذا المعتدلون من الشيعة وحول هذا الموضوع الشائك : يقول الأستاذ أحمد أمين «التقية معناها أن يحافظ المرء على عرضه أو نفسه أو ماله مخافة عدوة فيظهر غير ما يضمر فهي مداراة .. وكتمان وتظاهر بما ليس هو الحقيقة ، وهي عند الشيعة النظام السري في شؤنهم فإذا أراد إمام الخروج والثورة على الخليفة وضع لذلك نظاماً وتدابير وأعلم أصحابه بذلك فتكتموا وأظهروا الطاعة حتى تتم الخطط المرسومة فهذه تقية وإذا أحسوا ضرراً من كافر أو سني داروه وجاروه له الموافقة أيضاً تقية وهكذا ، وقد كان من نتيجة هذا المبدأ الشيعي أن أعتاد الرافضة التظاهر بموافقة أهل السنة إذا اجتمعوا بهم كما أنهم فسروا أحداث التاريخ على ضوء هذا المبدأ فسكوت علي على أبي بكر وعمر وعثمان كان تقية وتنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة كان أيضاً تقية . وبعض أئمة الشيعة يختفون ويتسترون تقية ومن هنا اصطبغت أخلاق الشيعة بهذه الصبغة ولذلك قال المستشرق (جولد تسيهر) من اليسير أن تتصور أي مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوي عليها تعاليم مبدأ التقية الذي أصبح ركناً من أركان المذهب الشيعي كما أن عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها هو في نفس الوقت مدرسة للسخط الكامل الذي يكنه الشيعة لخصومهم الأقوياء وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد الجامح والتعصب الثائر وكان نتائجه ظهور هذه الآراء الدينية غير المألوفة التي لا تماثل بتاتاً مبادئ الإسلام عند أهل السنة ، ومن الملاحظ هنا ، أن التستر والإختفاء الذي لجأ إليه الشيعة نتيجة لإيمانهم بمذهب التقية وقولهم بالأئمة المستورين ، كل ذلك ترك مجالاً كبيراً للمغرضين وأصحاب الأهواء ليلعبوا بعقول العوام من الشيعة إذ تمكنوا عن طريق التقية من أن يبتدعوا ما شاؤوا من الآراء والمذاهب ثم ينسبوها إلى الأئمة ولم يستطع أحد من العامة أن يكذبهم لأنهم على حد

زعمهم — إنما كانوا يستقون أقوالهم من الأئمة المعصومين الذين اختفوا عن الناس تقية. وفي هذا يقول الأستاذ محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العزيضة) وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه (التقية) فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعملون له، ويقول العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه «الشيعة والسنة»، إن مؤلفاً شيعياً اسمه (لطف الله الصافي) كتب كتاباً أسماه، (مع الخطيب) رد فيه على الأستاذ محب الدين فقال ألا يصير أضحوكة الناس من يقول إن الشيعة حيث يقولون بالبيعة لا يقبل منهم إقرار وإعتراف في عقائدهم وإنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، ومن العجيب أن ينكر بعض الشيعة أنهم يؤمنون بالتقية مع أن كتبهم حافلة بأقوالهم في الدعوة إلى التقية واعتبارها من أصول أعتقاداتهم، فها هو الكليني في كتابه (الكافي) يقول (قال أبو جعفر التقية من ديني ومن دين آبائي ولا إيمان لم لا تقية له).

وروى الكليني عن أبي عمر الأعجمي أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له. وروى الكليني أيضاً عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله.

وقال ابن بابويه القمي في رسالة (الاعتقادات) التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، قال سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. قال أعملكم بالتقية والتقية عند الشيعة تبيح لهم أن يقولوا في الآية الواحدة أقوالاً مختلفة يعارض بعضها بعضاً.

قال الكليني في الكافي عن موسى بن أشيم قال كنت عند أبي عبد الله عليه

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣

السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبر بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين فقلت في نفسي ترك أبا قتادة الشام لا يخطئ في العراء وجئت الى هذا يخطئ هذا الخطأ كله فبينما أنا كذلك إذ دخل آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي فسكت وعلمت أن ذلك منه تقية.

هذه خلاصة عقيدة (التقية) التي خدع بها الإمامية غيرهم في الأمس البعيد والواقع المعاصر.

المبحث الرابع

القرآن الكريم وغلاة الشيعة.

أبعاد العدوان على كتاب الله.

موقف الشيعة من القرآن الكريم.

نماذج من السنة النبوية عند الشيعة.

المتعة وعقيدة الشيعة فيها.

مزاعم الشيعة في عقائدهم.

القرآن الكريم وغلاة الشيعة :

هذا الموضوع الشائك الخطير للأسف الشديد سالت فيه أقلام أئمة الشيعة القدامى والمحدثين وخاضوا فيه إلى المستوى الذي لا يكاد يصدقه عقل لأنه يكفي أن تهتز صورة الإسلام والمسلمين أمام غيرهم إذا ما وصفوا بأن لديهم قرآناً سنياً وآخر شيعياً فما بالنا إذا كان الهدف هو الطعن في صحة كتاب الله وصحة وصدق إسلام أصحاب رسول الله الذين حفظوا بعد عون الله لهم كتاب ربهم فامتلأت به قلوبهم وسجلوا على صحف ملأت الأمصار وذاعت وشاعت بين أمة من صفوة أصحاب الرسول الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يرون بأعينهم كيفية توثيقه في صحف تحت أمر الرسول وتوجيهه ناهيك عن حفظه في الصدور : لكن التراث (الإمامي) أبى أصحابه إلا أن يطاردوا أمة الإسلام بذلك الزعم الخطير الذي تعاقب على القول به عدد من أئمة القوم وعلمائهم. والمطالع لتراث القوم يجابهه من بين ما كتبوا أو سجلوا عدداً هائلاً من المفتريات التي دونها ضد الإسلام والمسلمين ومن ذلك الحشد الهائل في كتاب (الخصال) لأب بابويه حيث به دراسة موسعة حول موقف الشيعة من القرآن الكريم المتداول اليوم بين أيدي المسلمين وكذلك فعل صاحب «الكافي»، في الأصول فقد تعرض هو الآخر لهذه القضية وخاصة في كتاب (الحجة) — باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة — من كتابه (الكافي) الجزء الأول وكذلك تناول صاحب (تفسير الصافي) المحسن الكشي في المقدمة السادسة القرآن الكريم وجميعهم انتهوا إلى القول بأن القرآن الكريم زيد فيه ونقص منه. وفيما رواه الكليني في (الكافي) ما يدللون به على ما يذهبون إليه في هذا

الموضوع الخطير فقد روى الكليني في (الكافي) : أن أبا الحسين موسى عليه السلام كتب إلى علي بن سويد وهو في السجن ، (ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ، ولا تحب دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم وهل تدري ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه).

ومثل هذه الرواية رواية أبي بصير ، كما رواها الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له : قول الله عزّ وجل ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيكُمْ بِالحَقِّ﴾ قال : فقال إن الكتاب لم ينطق ، ولكن رسول الله هو الناطق بالكتاب ، قال الله جل ذكره وهذا كتابنا ينطق — بصيغة المجهول — عليكم بالحق قال : قلت جعلت فداك ، إنا لانقرأها هكذا ، هكذا والله نزل بها جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، ولكنه فيما حرف من كتاب الله هذا ، ويروي بابويه القمي في كتابه (الخصال) في الرواية التي يقولون بها عن : محمد بن عمر الحافظ البغدادي قال حدثنا عبد الله بن بشر قال : حدثنا الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجيئ يوم القيامة ثلاثة يشكون : المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف : يا رب حرقوني ومزقوني .. والمفسر الشيعي المعروف الشيخ محسن الكشي صاحب (التفسير الصافي) هو الذي يقول : لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص ، ما خفى حقنا على ذي حجى ولو قد قام قائمنا صدقه القرآن. هذا والرواية المتوسع فيها كأساس لإعتقاد الغلاة بتحريف القرآن الكريم تؤكد اعتقاد الإمامية على ضوء مقولات أئمتهم بتحريف القرآن الكريم وتعرضه للحذف والإضافة وهذه مقولة تقطع بخروج من يذهب هذا المذهب عن دين الإسلام فضلاً عن أن هذا الأعتقاد تزييف لحقائق العلم والتاريخ وإجماع الأمة على امتداد أربعة عشر قرناً وهي ليست إلا ذلك النشاز التلفيقي لتراث فارسي تأثر بالأفكار اليونانية واليهودية المسيحية التي عنيت بالدس والوضع في الساحة الإسلامية حتى أصبح المجال مهيأ للشيئ ونقيضه. يقول الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) وهو كتاب لا يختلف حوله الشيعة جميعاً الغلاة منهم والمعتدلون إذا كان يمكن أن يكون في التشيُّع اعتدال ، يقول المحدث الشيعي زاعماً نسبة ما يقول إلى الرجل الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي

أدعى عليه هذه الرواية بما فوق العجب يقول : إنه لما توفى رسول الله ﷺ جمع علي القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه علي عليه السلام وانصرف ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر : جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار فجاوبه زيد إلى ذلك ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي كل ما فعلتم ، قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة ، قال عمر ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه ، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك فلما استخلف عمر ، سألوا علياً عليه السلام أن يرفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال عمر : يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه فقال : هيهات ليس ، إلى ذلك من سبيل ، إنما جئت به إلى أبي بكر ، لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة (إنا كنا عن هذا غافلين) أو تقولوا ما جئتنا به ، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون ، والأوصياء من ولدي ، فقال عمر : فهل وقت لأظهاره معلوم؟ فقال عليه السلام : نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه . وعند هذا المستوى من الرواية والأمر جد خطير ويتعين الوقوف بنوع من الجلد والثبات ، ذلك أن رفض دعوى بدعوى أو نقض نص بنص قد يوسع التفاوت ويزيد الأمر سوءاً لكننا نريد أن نضع هذه الرواية أمام منهج علم النقد الحديث ، وأن نتعرف على افتقاد النص للوحدة الموضوعية حتى يستقيم الفهم ويتضح المراد وتنكشف أمامنا مفتريات الغلاة .

ويتمثل نقدنا للنص في الآتي :

أولاً : أبو ذر الغفاري صحابي جليل ومن الأولين ومن الملازمين لرسول الله ﷺ والمقربين وله في الحق صولة وفي مقاومة ما يراه لا يعبر عن الحق والعدل في دين الله مواقف ، وهو من غفار ذات الشأن والتي سمعت له وأطاعت يوم أسلم ، لم يحدثنا

الكليني في (الكافي) ولا القمي في الخصال ولا الكاشي في (الصافي) ولا غيرهم من علماء الشيعة فضلاً عن علم الرجال وسيرة المهاجرين من أصحاب رسول الله، بأن الرجل الذي يروي واقعة عرض القرآن الكريم على المهاجرين والأنصار، ووثوب عمر في وجه علي ليرده كما زعموا عليه قامت قيامته، وثار لكتاب ربه واشتغل بأمره في محنة كتلك؟ مع أنه قد يقال عليه أنه أخذ مواقف صلبة من عثمان ومعاوية رضي الله عن الجميع في قضايا أقل وأقل من قضية الذكر الحكيم هذه واحدة: الثانية هل يريد الشيعة الغلاة أن يسجلوها على أبي ذر الغفاري هو الآخر (جندب بن عبادة) بأنه قعد عن نصرة كتاب ربه.

ثالثاً: رواية أبي ذر هذه المدعاة عليه تقول (... جمع علي القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما وقد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ) ونحن نسأل من الذي اشترك مع علي في الجمع من أصحاب رسول الله وهل الخليفة الذي بويع كان يعلم بما يقوم به على أم أنه لا جمع أصلاً؟ والقرآن كان عند علي وحده دون سائر المسلمين مجموعاً على عهد رسول الله إذا كان كذلك فلماذا آثر به رسول الله ﷺ فيما — زعموا — علياً دون غيره من المسلمين بينما النص يقول: (وعرض عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله) أي أن رسول الله ﷺ كان يريد أن يطلع علي المهاجرين والأنصار على القرآن الكريم، يقول النص (.. فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم..) ونحن هنا أمام أحتمالين إما أن يكون المهاجرون والأنصار يعلمون ما في القرآن عنهم من فضائح ومن ثم لم يكن هناك من مبرر لأن يطلبوا رده إلى علي حيث لا حاجة لهم به فهم في هذه الحالة على علم بالفضائح وهي على هذا الكذب معروفة عنهم، وإذا لا حرج، وإما أن يكون ما في القرآن عن المهاجرين والأنصار سراً مكتوباً فيكون رسول الله ﷺ كتم كلام الله عن الناس وجعله سراً بينه وبين علي ثم أوكل إليه وأوصاه بمهمة إبلاغه للناس في الوقت الذي لم يعلم الناس مما فيه شيئاً، ومعنى هذا، أيضاً تجريد الأمة كلها فضلاً عن صفوة أصحاب رسول الله من علاقتهم بالقرآن وإلمامهم به وحفظهم له مكتوباً على السعف واللخاف وفي صدور الرجال، وهذا خلاف الواقع فلقد كان من بين حفظه القرآن

في عهد النبي وفي حياته مجموعات شكلت قوة عسكرية متميزة داخل الجيش الذي ذهب لحماية الإسلام من تأويل البعض لما في كتاب الله.

رابعاً: النص يقول: (.. ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر: إن علياً جاءنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار. وقد رأينا أن نسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك المهاجرين والأنصار..) ونحن هنا نسأل السادة الأئمة: الكليني، والقمي، وغيرهما أي نص كان يحفظه زيد للقرآن الكريم؟ النص الذي كان مع علي، كما تدعون، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، أم النص الذي كان يحفظه مثله في ذلك مثل مئات بل ألوف من المسلمين، ويوجد هذا النص المحفوظ في الصدور مكتوباً متفرقاً عند صفوة أصحاب رسول الله ﷺ بإملاء رسول الله ﷺ لكتاب الوحي بنفسه وتحت إشرافه.

ثم إن العلاقة الأخوية بين زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت على أكرم وأطهر وأخلص ما تكون العلاقة بين أخوين تحابا في الله، وأخذا معاً من رسول الله، فكيف جاء النص الشيعي هنا ووضع زيداً شريكاً لأبي بكر وعمر في تآمرهما المدعي على كتاب، وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ونضيف فيما نراه حول الخلل الذي ينطوي عليه النص المنسوب زيفاً وعدواناً لأبي ذر رضي الله عنه. نقول، كيف فكر عمر فيما أدعى عليه النص الشيعي في قتل علي غدراً وعدواناً، حين قال زيد لأبي بكر وعمر: «... فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم»؟، ولماذا لم يحاول جاداً تنفيذ ما ارتآه، خاصة وأنه كما يقول النص ويدعي فكر أمام أبي بكر في الاستعانة بخالد بن الوليد؟ ومع أن بعض المؤرخين القدامى والمحدثين يرون أن العلاقة بين علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب أقرب وأكمل منها مما كان بينه وبين خالد بن الوليد، هل يريد مصنف الروايات الشيعية أن يعكس هنا المعنى المدعي والمشاع عند الإمامية عن أن شجاعة علي بن أبي طالب وعون الله له في محاربة أعدائه لم تكن وفق سنن الله في خلقه، ولم تكن شجاعته تعتمد على القوة الجسدية والغذائية، ولكنها بزعمهم قوة ملكوتية روحانية إلهية.

لكن العجيب الغريب في الرواية الشيعية هو سكوتها عن نتائج المؤامرة المدعاة، والتي كان بطل التنفيذ لها هو: خالد بن الوليد والسؤال: هل سكت القوم جميعاً وفي المقدمة منهم أبو بكر وعمر عن فشل مؤامرتهم المدعاة ضد علي، وهل رضي الله عنه، علم بما كان قد بيته أصحابه ضده، أم أن المؤامرة لم تصل إلى علمه.

ومجتمع المدينة وفيه الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن باقي مراكز المسلمين، هل وصلتهم أخبار المؤامرة المزعومة وسكتوا عليها؟ أم أنه لا علم لهم أصلاً بذلك الزعم. صانع القصة الغريبة لم ينتبه لكل هذه الأسئلة وغيرها. ولذا لم يوسع أبعاد روايته ولم يحكم زيفها.

ولعل الشيعة في هذه القصة أرادوا أن يوحوا بعدم قدرة عمر وخالد بن الوليد على قتل علي إلى تقرير المعنى الذي يدور حول مزاعم القوة الملكوتية لإلهية الخاصة بعلي. وإن كانت نهاية حياة علي خير رد على مثل هذه المزاعم.

خامساً: النص الذي ساقه «الطبرسي» في «الاحتجاج» يضع علياً أمام هذه التساؤلات التي تترتب على ما ساقه الطبرسي والذي يقول: «...فلما استخلف عمر، سألوا علياً أن يرفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن: إن جئت بالقرآن الذي كنت جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه فقال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا، ما جئتنا به، إن هذا القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فقال: فهل وقت لإظهاره معلوم، فقال علي عليه السلام — هكذا — نعم إذا قام القائم من ولدي، يظهره ويحمل الناس عليه..) والتساؤلات التي يطرحها هذا النص تخرج من سياقه هذه النقاط: لماذا لم يسلم علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب وهو الخليفة القرآن المزعوم والسياق يقول إن علياً سبق له أن قدمه لأبي بكر وعمر، ليجتمع الناس عليه؟. والجواب الباطل الذي قد يساق في مواجهة هذا السؤال: خشية التحريف، وهنا نسأل ألم تكن إحتمالات التحريف هذا واردة حين ذهب به أي بالقرآن المزعوم وأبو بكر في الخلافة وبجواره

عمر ، وإذا لم يكن الظرف التاريخي في عهد أبي بكر غير مناسب لتسليم هذه الأمانة مع أنه لو صح ذلك الزعم لكان ظرف خلافة أبي بكر أكثر من مناسب والناس حديثو عهد برسول الله ﷺ ، وإذا كان عليّ لم يسلم ما عنده في عهد أبي بكر ألا يكون المناخ بعد عامين وأكثر من موت رسول الله ﷺ ثم موت الخليفة أبي بكر مهيئاً لأن يقوم علي بالمهمة التي أنيطت به ويتولى إبلاغ المسلمين كتاب ربهم الذي تدعى الرواية الشيعية أنه كان بحوزته وحده. وإذا تعرض القرآن للتحريف في عهد عمر وبصنعه. فإن علياً سيصبح في حل من إعلان ذلك لجمهور أمة الإسلام. والسؤال الذي لابد منه ، ما الذي جعل كاتب الرواية الشيعي يجعل عمر بن الخطاب ساذجاً هكذا حين ينسب إليه أنه قال لعلي : (... فهل وقت لإظهاره معلوم) ليجيبه علي : (...نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه) ونحن نسأل: كيف ساق المصنفون الشيعة هذه الرواية ، ولا مقدمات لها ولا برهان عليها ، فإذا كان علي بن أبي طالب هو الوصي على هذا القرآن المخبوء كما زعم الغلاة ، ولم يقدر علي إظهاره خشية الفتنة ، وإذا كان صفوة أصحاب رسول الله ﷺ الذين حملوا كلمة الله ونشروا آياته بدمائهم وأموالهم غير مؤتمنين على كتاب ربهم ، بل وأرادوا كما تدعي الفرية الإمامية تحريف الصحيح الذي عرض عليهم واعتمدوا الباطل الذي في أيديهم ، فكيف يتصور عاقل أن يقوم بهذا الأمر من ولد علي أحد يظهره على الناس ويحملهم عليه. وإذا كان الأمر كما يدعي النص الأثم الذي بين أيدينا ، والذي يفتري الكذب على الله ثم على كتابه المطهر ثم على نبيه الأمين ، ثم على أصحابه جميعاً ، وعلي بن أبي طالب قبل غيره رضوان الله عليهم ، بأن كتاب الله لم يكن مشاعاً ولا متداولاً ، ولا معروفاً بين المسلمين خاصتهم وعامتهم ، وإذا كان الأمر كما يدعي النص الإمامي الآثم بأن الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ وبينهم المبشرون بالجنة وقعوا في الفضائح والمعاصي التي سجلها عليهم «القرآن» المخبوء المدعي عند الغلاة فكيف لم يجرؤ من كان لديهم هذا الزعم وعلي في المقدمة منهم أن يعلنوا ذلك لأمة الإسلام وخاصة أن الجميع غير متهم ولا كذاب والوضع لم يكن قد بدأ. وأمام الفرية الشيعية يجيء سؤال لابد منه ، كيف قام الإسلام في الناس إذا ، وكيف عبد

المسلمون ربهم طوال عصور إزدهار الإسلام ولليوم، وكيف صمدوا في وجه أعدائهم الفرس والروم واليهود والنصارى. ومن قبل هؤلاء كيف قابلوا وقاوموا بالدماء والأموال محنة «الردة» ولم تكن إلا مجرد تأويل في حكم من أحكام الإسلام وكيف سكت أعداء المسلمين على أمتداد قارات الدنيا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً على كتاب الله الذي ألجم تمامه وكماله أفواه أعدائه وأخرس ألسنتهم بعد أن رصدوا له العلماء والدارسين لكي يتعرفوا على ما يمكن أن يكون فيه من خلل أو نقص أو وضع فلم يقدر واحد منهم حتى من الكافرين به على أن يقول مقولة الغلاة بأن كتاب الله الذي تركه محمد ﷺ من الناس محفوظاً في صدور الألوف من الرجال ومدوناً في اللخف والعسب والاكتفاف، ثم في الصحف منتشراً في الأمصار، قد تعرض للحذف والإضافة. وصدق الله العظيم. «.. **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اَخْتِلَافاً كَثِيراً**»[1].

أبعاد العدوان على كتاب الله:

يعجب كثيرون إذا ما قيل لهم أن المسافة شاسعة بين غلاة الشيعة وبين أهل السنة وأن الدعوة للتقريب أمامها صعوبات قاسية فمن يمكن أن يقترب من الطرف الآخر؟ وهل أصحاب التراث العقدي من الإمامية على استعداد لأن يطرحوا وراء ظهورهم هذا الركام الهائل من قضايا العقيدة عندهم وخاصة ما تمتلئ به كتب التفسير والحديث والعقيدة من مقولات يستحيل على أهل السنة أن يتفاوضوا بشأنها أو المطلوب من أهل السنة أن يسلموا أو يعتقدوا بما تقوله المصادر الإمامية من أن كتاب الله تعالى تعرض بفعل الصفوة من أصحاب رسول الله للحذف والإضافة والزعم بتحريف القرآن على أيدي أصحاب رسول الله هو من القضايا التي تلهب قلب وعقل أهل السنة ولا يستطيعون تحمل وزرها. والزعم الفاسد القائل بتحريف القرآن على ضوء رواية «الكليني» هو مما ينسف كل جسور للعلاقة بين أهل السنة والغلاة. والعجب الغريب أن أئمة القوم إذا ما جوبهوا بهذه المزاعم يقولون: إن هذا

---

(١) سورة النساء آية ٨٢

الزعم ليس على الأطلاق وإنما هو رأي للبعض وليس لجميع الأئمة.. وما على الباحث إلا أن يطالع بعض كتبهم التي يحرصون على أن لا تقع في أيدي مخالفيهم إلا ويقتنع تماماً بأن الأمر جد خطير. وفي التدليل على ما نقول نرى غير «الكليني» الذي هو حجة عندهم، نرى الإمام الذي يوصف بأنه خاتمة المجتهدين: الملا محمد باقر المجلسي الذي يقول: (إن المنافقين غصبوا على خلافة علي، وفعلوا بالخليفة كذا الخليفة الثاني — أي كتاب الله — فمزقوه).

ثم يكتب في كتاب آخر وبغير حياء [هذه المرة حيث يوجه اتهاماً نبرئ منه الخليفة الورع رضي الله تعالى عنه عثمان بن عفان حين يقول الملا محمد باقر المجلسي: إن عثمان حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين وأهل البيت، وذم قريش والخلفاء الثلاثة ومثل آية (يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلاً) وعلى هذا الزعم الفاسد تصبح الآية الكريمة ﴿ **إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا** ﴾ [1] — ليست من القرآن على حدّ ما يزعمه الشيعي الملا محمد باقر المجلسي من أن الخليفة عثمان حذف — (يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلاً) — هذا ويسوق (الكليني) هو الآخر بعض النماذج المدعاة في كتاب «الحجة» من مرجعهم المقدس، (الكافي) في الجزء الأول فيدعي على أبي حمزة عن أبي جعفر أنه نزل جبريل بهذه الآية القرآنية المزعومة على هذا النسق: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا [آل محمد — حقهم] لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً** ﴾ [2].

ويروي الكليني أيضاً عن نفس الرواية السابقة مدعياً أن جبريل نزل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا (فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون). هذا ويروي الشيعي علي بن ابراهيم القمي عن أبيه عن الحسين ابن خالد في آية الكرسي أن أبا

---

(١) سورة التوبة آية ٤٠

(٢) سورة النساء آية ١٦٨ و ١٦٩

الحسن موسى الرضا — أحد الأئمة الإثني عشر — قرأها على النحو التالي — ألم الله لا إله إلا إله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، وما بينها وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم (وقد ذكر الكليني في صحيحه المزعوم (الكافي) مدعياً على المدعو أبي بصير عن أبي عبد الله أن قولاً لله كان في القرآن هكذا ، ثم حذف (ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً) ، زاعماً أنها هكذا أنزلت ، وبداهة بل ويعرف الشيعة أن جملة ، (في ولاية علي والأئمة من بعده) مدسوسة على النص الذي هو في القرآن المجيد ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَه فَقَد فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [1] هذا ويقول الكاشي في تفسيره تحت آية ﴿ يَاأَيُّها النَّبِي جَاهِدِ الكُفَّارَ والمُنَافِقِينَ ﴾ [2] انها كانت هكذا — يا أيها النبي جاهد الكفار بالمنافقين — ولا تتصور بالقطع كم يكون البلاء الذي يمكن أن يلحق بالإسلام والمسلمين من تركيبة النص الذي أدعوه على الله وعلى نبيه. ويزيدون الطين بلة حين يورد (الكليني) في الكافي في الأصول كتاب (الحجة باب نكت ونتف) من التنزيل في الولاية : رواية عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام هذا النص العجيب على أنه من الذكر الحكيم (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنسي) وهذا والله هو عين الكذب والافتراء على الله . وكتابة هذا القول المفتري من الشيعة الغلاة حول القرآن الكريم لا يتسع له المقام فالموضوع في منطلقاته وغاياته ينحصر في التوجيه والتأثير اليهودي الفارسي الذي كان وليد الأحتكاكات الإسلامية في عصور المد والأنكماش ، وكان الهدف أن يتعرض كتاب الله لما تعرضت له كتب اليهود والنصارى في الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد على السواء.. ولكن هيهات فرب العالمين هو المتكفل بحفظ كتابه إلى يوم أن يقوم الناس لرب العالمين.

وأود أن أنبه إلى أن المحاولات العصرية التي يحاول بها بعض من الباحثين الشيعة

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧١

(٢) سورة التوبة آية ٧٣

من أن يوهموا الناس بأن القول بتحريف القرآن الكريم لا يمثل اعتقاداً جوهرياً عند الإمامية غير مقبولة من علماء من الإمامية ذلك لأن التراث العقدي للإمامية في هذا الموضوع يفيض بعشرات الأمثلة لمعتقدهم في تحريف القرآن. ومن العلماء المتأخرين الذين أرادوا تغطية مقولة الشيعة بتحريف القرآن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأصولها[1] والذي يقول فيه إن ما يعتقده الشيعة هو أن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزل للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام ولتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة.

وعلى هذا إجماعهم وما ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[2]. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقضة أو نقصة أو تحريفة ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً فأما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الحائط. فهل هذا الكلام الذي يقوله شيعي معاصر يمثل حقاً رأي الشيعة الرافضة؟ نقول في وجهه لا وألف لا: إن عشرات النصوص في أكثر كتب الرافضة تؤكد اعتقادهم بتحريف القرآن ونقصه وتدعي أن القرآن الكامل إنما يحتفظ به المهدي ولن يظهر إلا بظهوره وفي هذا يقول الكليني في كتابه (الكافي) عن أبي عبد الله قال: إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية ويعلق العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير على هذا الزعم فيقول: المعروف أن آيات القرآن تتجاوز ستة ألاف آية بقليل وقد ذكر المفسر الشيعي أبو علي الطبرسي في تفسيره عند الكلام عن سورة الدهر جميع آيات القرآن ستة آلاف ومئتي آية وثلاثون آية ومعنى هذا أن الشيعة عندهم أكثر من ثلثي القرآن وروى (الكليني) في (الكافي) خبراً طويلاً عن جعفر الصادق تكلم فيه عن الجامعة

---

(١) محمد الحسين آل كاشف الغطاء (أصل الشيعة وأصولها) الطبعة العاشرة مكتبة النجاح مصر عام ١٩٥٨ م صفحة ١٣٣ عند الكلام عن «النبوة».

(٢) سورة الحِجر آية ٩

والجعفر ثم قال : وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال : قلت : وما مصحف فاطمة قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ويقول محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة) أن ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي وهو من أجل علماء الشيعة عندهم ألف سنة ١٩٢٢ كتاباً أسماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب). وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بينهم في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ ولا يطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات وخالفهم فيها مؤلفه وألف كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وقد كتب هذا الدفاع في آخر حياته قبل موته بنحو سنتين أكرمه الشيعة غاية التكريم على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه في ذلك المكان المقدس عندهم من بناء المشهد العلوي في النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام علي، ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب : ومما استشهد به النوري الطبرسي على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحة رقم ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة سورة (الولاية) مذكور فيها ولاية علي. «يا أيها الذين آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما بهدايتكم إلى الصراط المستقيم» وقد اطلع الثقة المأمون الأستاذ محمد علي سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل في مصر ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده علي مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق (براين) فنقل منه سورة الولاية بالفوتوغراف وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية وقد اثبتها النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب» فإنها ثابتة أيضاً في كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله المستشرق (نولدكه) في كتابه (تاريخ المصاحف) جـ ٢ ص ١٠٢ ونشرتها الأسيوية الفرنسية عام ١٨٤٢ م. فقد رد الصحافي على الأستاذ محب الدين الخطيب في كتابه «مع الخطيب»، قائلاً فانظر ما في كلامه من هذا الكذب الفاحش

والأفتراء البين ليس في فصل الخطاب ولا في صفحة ١٨٠ ولا في غيره من أول الكتاب إلى آخره ذكر من هذه السورة المكذوبة على الله.. وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير نص كلام الطبرسي في كتابه حيث يقول ونقصان السورة وهو جائز كسورة الحفد، الخلع. وسورة الولاية وعندما خصص الشيخ إحسان إلهي ظهير لهذا الموضوع كتاباً واسعاً «الشيعة والقرآن»، أورد فيه من المصادر الإمامية الفارسية والعربية عشرات بل مئات من أمثلة التحريف في عقيدة القوم، لم يستطيع عالم إمامي واحد أن يجرؤ على القول بعدم صحة ما أورد المؤرخ الثقة الشيخ (إحسان إلهي ظهير) الذي تبغضه الإمامية أشد البغض هذا وقد ذكر الأستاذ أن محب الدين الخطيب والشيخ إحسان قدَّما أمثلة عديدة لآيات من كتاب الله زاد فيها الشيعة عبارات زعموا أنها كانت فيها مثل ما نقله الأستاذ الخطيب من زعمهم أنه سقطت من سورة (ألم نشرح) آية وجعلنا علياً صهرك وفي التدليل على ما ذهبت إليه الإمامية من اعتقاد التحريف يطالعنا المؤرخ الثقة عندهم وهو الطبرسي كتابه «الاحتجاج»، فيشرح كيف تم اعتقاد تحريف القرآن عند الرافضة فيقول «إنه لما توفي رسول الله جمع علي القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فضائح القوم «أي الصحابة»، فوثب عمر وقال يا علي أرددة فلا حاجة لنا فأخذه علي وانصرف ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن تؤلف القرآن وتسقط منه ما كان فيه من فضيحة. وهتك فجاءه به زيد إلى ذلك ثم قال فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملت، قال عمر فما الحيلة، قال زيد أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك فلما استخلف عمر سأل علياً أن يرفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال عمر يا أبا الحسن أن جئت نجتمع عليه فقال هيهات ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئتنا به إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي فقال عمر: فهل وقت لأظهاره معلوم. فقال عليه

السلام : نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه وذكر كمال الدين ميسم البحراني في شرح (نهج البلاغة) مطاعن الرافضة على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومنها : (أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف وأبطل مما لا شك أنه من القرآن المنزل). وروى الكليني عن جابر الجعفري قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كما أنزل إلّا كذّاب وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده. فالشيعة الإمامية ترى على أن القرآن قد حرف على أيدي أصحاب رسول الله وأن الذي تولى حفظه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه محفوظ عند المهدي ولن يظهر إلا بظهوره. يقول الكليني في الكافي «قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأه الناس فقال أبو عبد الله : كف عن هذه القراءة وأقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حدة وأخرج المصحف على أن هناك من الشيعة من أظهروا أنهم يعتقدون أن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الصحيح وأنه لم يحرف وليس بناقص وقد ذكرنا من قبل رأي محمد الحسين آل كاشف الغطاء وتتبع الشيخ إحسان إلهي ظهير مواقف وآراء علمائهم وانتهى إلى أربعة من علمائهم قد ذكروا في كتبهم أنهم لا يعتقدون بتحريف القرآن الكريم غير أن هؤلاء العلماء فيما يراهم الشيخ إحسان من متأخري القرن الرابع وهذه الآراء التي ذهبوا إليها لا يعتدّ بها جمهور علمائهم وقد كان من أول من قال بعدم التحريف محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق عندهم المتوفي سنة ٣٨١ هـ يقول الأستاذ إحسان إلهي ظهير «وهو في القرون الأولى الأربعة أول من قال من الشيعة بعدم التحريف في القرآن وإلا لا يوجد في الشيعة المتقدمين منهم إلى القرن الرابع وحتى بعدما مضى نصفه الأول رجل واحد ومنهم أئمتهم الإثني عشر». لم ينقل من أي أحد منهم ولم ينسب إليهم بأنهم قالوا أو شادوا بعدم التحريف وبعكس ذلك يوجد مئات من النصوص الواضحة الصريحة على أن الحذف والنقص في القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمد هو ما بين دفتين وهو ما في أيدي الناس ليس أكثر من ذلك يقول الأستاذ إحسان إلهي ظهير. «فهؤلاء هم الأربعة من القرن الرابع إلى القرن السادس ولا خامس لهم الذين قالوا بعدم التحريف في القرآن».

وينقل الأستاذ إحسان عن النوري الطبرسي قوله «ولم يعرف من القدماء مواقف لهم» ويقول «ولم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هذه المشائخ الأربعة» ويعتقد الأستاذ إحسان ظهير أن هؤلاء الأربعة ما أنكروا التحريف في القرآن إلا تحرزا من طعن الطاعنين، ولم يكن عملهم هذا إلا تقية ونفاقاً وذلك للأسباب الآتية من وجهة نظر مثبتي التحريف:

١ — لتواتر الروايات الدالة على تحريف القرآن عند علماء الشيعة وقد ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار». إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد والعلامة المجلسي وغيرهم، وذهب المجلسي وغيره إلى تواتر هذه الأخبار.

٢ — مذهب الشيعة قائم على منهج الأئمة الإثني عشرية وما نقل عنهم من أقوال يدل على التحريف. الأربعة الذين أنكروا التحريف فإنهم لم يستندوا في أقوالهم إلى قول من أقوال الأئمة المعصومين.

٣ — الأربعة المنكرون للتحريف لم يدركوا زمن الأئمة بينما المتقدمون عليهم المثبتون للتحريف أدركوا زمن الأئمة وجالسوهم وتعلموا منهم.

٤ — الكتب التي أثبتت التحريف كتب معتبرة عرضت على الأئمة المعصومين مثل كتاب «الكافي للكليني» وتفسير القمي وغيرهما.

٥ — الأربعة المنكرون يروون في كتبهم ما يدل على التحريف وقد ذكر ابن بابويه في كتابه (الخصال) نصاً يذكر فيه أن المصحف يقول يوم القيامة: (يا رب حرقوني ومزقوني). وأبو علي الطبرسي يروي في تفسيره: أحاديث تثبت التحريف فمثلاً يذكر في تفسيره أن جماعة من الصحابة قرأوا «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن» وفي ذلك تصريح بأن المراد به عندهم المتعة.

٦ — لو صح كلام الأربعة لبطل قول الشيعة بأن القرآن لم يجمعه إلّا علي بن أبي طالب وأنه محفوظ ولا يظهر إلا بظهور المهدي ولبطل إتهام الشيعة للخلفاء الثلاثة بأنهم أخفوا القرآن وأضافوا إليه ما ليس فيه، وأخرجوا منه ما كان فيه ولفسد

اعتقاد الرافضة بأنه لا يقبل اعتقاد إلا من طريق الأئمة وحاولوا تبرير موقفهم بطرق مختلفة.

٧ ــ قال بعض علمائهم مثل المقدسي الأردبيلي: إن عثمان رضي الله عنه قتل عبد الله بن مسعود بعد أن أجبره على ترك المصحف الذي كان عنده وأكرهه على قراءة المصحف الذي رتبه زيد بن ثابت وقال المجلسي: ان الله أنزل في القرآن سورة يسميها سورة النورين وذكر نص هذه السورة المزعومة. ويذكر الأستاذ إحسان ظهير في كتابه «أسماء عدد من علماء الشيعة ألفوا كتباً عديدة في إثبات تحريف القرآن على حد زعمهم». ويناقش إحسان في كتابه أسباب قول الشيعة في تحريف القرآن ويقول إنهم اعتقدوا التحريف في القرآن لعدة أسباب:

١ ــ أهمية الإمامية عندهم، فالإمامية عند الرافضة سبق أن ذكرنا تتعلق بأصول الدين وهي ركن من أركان الدين فإذا كانت الإمامة بهذه الأهمية القصوى كيف لم تذكر في القرآن. ومن هنا كان لابد لهم من اللجوء للتحريف.

٢ ــ اعتقد الشيعة التحريف في القرآن لينكروا فضل صحابة رسول الله ﷺ إذ أن القرآن يثبت فضلهم.

٣ ــ ومما يتصل بأفكار فضل صحابة رسول الله ﷺ وأن الخلفاء الراشدين الثلاثة هم الذين جمعوا القرآن وحفظوه، فقد تم ذلك بأمر من الصديق وإشارة من الفاروق ولم يتم جمع القرآن إلا في عهد عثمان رضي الله عنه.

٤ ــ أن اعتقاد الشيعة في القرآن يبيح لهم التحلل من الإئتمار بأوامره والأنتهاء عن نواهيه

٥ ــ إن القول بالتحريف يفتح لهم باب الوضع وفق الهوى والمتغيرات التي تتفق وأمانيهم.

وبعد هذه المقدمات التي أردنا أن نقرر بها مذهب الإمامية في القول بتحريف القرآن الكريم نورد في الصفحات التالية بعض ما امتلأت به كتبهم وما تنطوي عليه عقائدهم من نماذج التحريف والوضع.

موقف الشيعة من القرآن الكريم :

وللتدليل والبرهنة على أن معتقد الشيعة في القرآن الكريم يخالف عقيدة المسلمين نورد هذه الأمثلة :

١ — يقول الله عز وجل : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ ، واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[1] . فعند تفسير الشيعة لها يقول القمي في تفسيره : أن لها مناسبة وقد جاء عندهم بشأنها الآتي : « عن جعفر . أن رسول الله صلى الله عليه وآله أصابه خصاصة ، جاء إلى رجل من الأنصار فقال له : هل عندك من طعام؟ فقال : نعم يا رسول الله وذبح له عناقاً وشواه فلما أدناه منه تمنى رسول الله صلى الله عليه وآله ، أن يكون معه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . فجاء منافقان ثم جاء علي بعدهما فأنزل الله في ذلك : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ، ولا مُحَدَّثٍ إلّا تمنَّى ألقَى الشيطانَ في أُمْنِيَّتِهِ ، فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلقِي الشَيْطانُ** ﴾[2] .

وعند قول الله تعالى في سورة البقرة — ٢٥٥ : ﴿ **اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا في السَّمٰوات وَمَا في الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوات وَالأَرْضِ ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ** ﴾[3] . تتلى في كتب الشيعة على ضوء ما ذكر القمي بهذا الوجه المحرف : (ألم ، الله لا إله إلّا هو الحيّ القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينها ، وما تحت الثرى ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم)[3] .

---

(١) سورة الحج آية ٥٢

(٢) تفسير القمي جـ ٢ ص ٨٦ .

(٣) تفسير القمي جـ ١ ص ٨٤ .

وعند قول الله تعالى في سورة الرعد : ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ يَحفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وإِذا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** (١١) . يقول القمي الشيعي الحجة عندهم أن صحة هذه الآية عندهم على الوجه الآتي : إنها قرأت عند أبي عبد الله صلوات الله عليه فقال لقاريها : ألستم عرباً؟ فكيف تكون المعقبات من بين يديه؟ وإنما العقب من خلفه .. فقال الرجل : جعلت فداك .. كيف هذا؟ فقال : نزلت : له معقبات من خلفه ، ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ﴾[1] .

وعند قول الله تعالى في سورة الفرقان (٧٤) : ﴿ **واجْعَلْنَا لِلمُتَّقِينَ إِمَاماً** ﴾ . يقول القمي في تفسيره انه قرئ عند أبي عبد الله عليه السلام : (واجعلنا للمتقين إماماً) .. فقال سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة ، فقيل له : كيف هذا يا ابن رسول الله : فقال : إنما أنزل الله : ﴿ **واجعل لنا من المتقين إماماً** ﴾[2] .

وقد ذكر الكليني في صحيحه الكافي : عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أن قرآنهم فيه ، (ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي ، والأئمة بعده فقد فاز فوزاً عظيماً) ويزعمون أنها هكذا أنزلت[3] .

وقد ذكر الكاشي في تفسير قول الله تعالى في سورة التحريم (٩) : ﴿ **يَاأَيُّها النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ والمُنَافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾ أن صحتها عندهم هكذا : (يا أيها النبي جاهد الكفار بالمنافقين) .

هذا ويروي محمد بن يعقوب الكليني ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : لم سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؟ قال : الله سماه .. وهكذا

---

(١) تفسير القمي جـ ١ ص ٨٤ .

(٢) تفسير القمي جـ ٢ ص ١١٧ .

(٣) الكافي جـ ١ ص ٤١٤ و «دراسات في الكافي للكليني ..» ص ٣٠٩ .

أنزل في كتابه : (إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين)[1] .

ويروي محمد بن يعقوب الكليني أيضاً عن جابر قال : نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله)[2] وهذا الذي يرويه الكليني هو تحريف لقول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (٢٣) .

وقد روى عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى : ﴿ **سَأَلَ سَائِلُ بِعَذابٍ وَاقِعٍ** ﴾[3] ، أن تتمة الآية عندهم للكافرين بولاية علي ليس له دافع .. ثم قال : (هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله)[4] وكما هو معروف فإن هذه الرواية تحريف لقول الله تعالى في سورة المعارج (سَأَلَ سَائِلُ بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج) .

وأما في قول الله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ، إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ ، بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً** ﴾ (٢٩) . فإن التحريفات الشيعية تدعي أن جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية هكذا : (وقل الحق من ربكم في ولاية علي ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، إنا أعتدنا للظالمين آل محمد ناراً)[5] .

---

(١) كتاب الحجة من الكافي ، جـ ١ ص ٤١٢ ، الشيعة والسنة ص ١٠٣ .

(٢) كتاب الحجة من الكافي ، جـ ١ ص ٢٦٣ ، الشيعة والسنة ص ١٠٣ .

(٣) سورة المعارج آية ١

(٤) كتاب الحجة من الكافي ، جـ ١ ص ٤٢٢ الشيعة والسنة ص ١٠٤ .

(٥) كتاب الحجة من الكافي جـ ١ ص ٤٢٥ .

وأما في قول الله تعالى في سورة النساء (٦٦) ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُم فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً** ﴾. فإن الشيعة يعتقدون أنها هكذا نزلت (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيراً لهم)[١].

وأما في قول الله تعالى في سورة النساء (٤٧) ﴿ **يَاأَيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَٰبَ ءَامِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُم كما لَعَنَّا أَصْحَٰبَ السبت ، وكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً** ﴾. فإن جميع الشيعة الغلاة والإمامية منهم يقولون إن جبريل عليه السلام نزل على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي نوراً مبيناً)[٢].

وفي قول الله تعالى في سورة البقرة (٩٠) ﴿ **بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أن يَكْفُرُوا بما أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ من فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ من عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾. تعتقد الشيعة أن صحة الآية هكذا... (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في عليّ بغياً)[٣].

وعند قول الله تعالى في سورة النساء ﴿ **يَاأَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بالحَقِّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَئَامِنُوا خيراً لَّكُم ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ ما في السَّمَٰوَاتِ والأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ (١٧٠) تزعم الشيعة أن جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية هكذا: يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي فآمنوا خيراً لكم، وإن تكفروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات والأرض)[٤] عند قوله تعالى في سورة الأعراف (١٦٢) ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِم رِجْزاً منَ السَّماءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ** ﴾.

---

(١) كتاب الحجة من الكافي جـ ١ ص ٤٢٤، الشيعة والسنة ص ١٠٤.

(٢) كتاب الحجة من الكافي جـ ١ ص ٤١٧، الشيعة والسنة ص ١٠٥.

(٣) كتاب الحجة من الكافي جـ ١ ص ٤١٧، الشيعة والسنة ص ١٠٥.

(٤) كتاب الحجة من الكافي جـ ١ ص ٤٢٤، الشيعة والسنة ص ١٠٦.

وأما سورة الولاية التي ينفردون بها ويدعون أنها أسقطت من القرآن الذي حرف على يد عثمان بن عفان — عمداً — برأه الله تعالى مما يقول الظالمون فقد جاءت عندهم هكذا (يا أيها الذين آمنوا بالنبي وبالولي اللذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين، إن لهم في جهنم مقاماً عظيماً فإذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين)[1].

وعندهم أيضاً سورة تدعى عن سورة (الولاية) ألفوها واتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بحذفها من القرآن الكريم..

وأما سورة النورين فنصها عندهم هكذا: (بسم الله الرحمن الرحيم.. يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم الذين يوفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات النعيم، والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم، وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم، وعصوا لوصي الرسول وأولئك يسقون من حميم)[2].

ولم يكتف الشيعة بتحريف بعض الآيات الكريمة.. بل وضعوا قرآنا جديداً.. سموه «مصحف فاطمة» كما سبق وأن أشرنا ذلك — وتقول رواية الكافي عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله.. إلى أن قال أبو عبد الله — أي جعفر الصادق —: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام.. قال: قلت، وما مصحف فاطمة؟ قال فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات.. والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[3].

---

(١) رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب تأليف ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الفرسي ص ١٨٠ وانظر إن شئت، الخطوط العريضة ص ١١ وسراب في إيران ص ٢٥.

(٢) تذكرة الأئمة للمجلسي نقلا عن تحفة الشيعة لبروفسور نور بخش التوكلي ص ٣١٨ جـ ١، الشيعة والسنة ص ١٣٨.

(٣) الكافي ص ٥٧ ط إيران ١٢٧٨ هـ ودراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري ص ٢٩٤ تأليف هاشم معروف الحسني.

هذا موقف علماء الشيعة من القرآن الكريم وموقف أئمتهم الكبار فماذا نقول وصدق الله الذي يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ هٰذَا القُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصِيلَ الكِتَٰبِ لا رَيْبَ فيه من رَّبِّ العَٰلَمِينَ** ﴾[1] .

ولما لم يتورع الشيعة من الطعن في كتاب الله والأقدام على التحريف والوضع كان بدهياً أن يكذبوا على رسول الله ﷺ والتدليس على سنته الطاهرة.

ولقد افتروا على الله تعالى.. وادعوا علم الغيب وفتحوا أبواب الجنة لشيعتهم وحدهم أجتراء وتعدياً على مقام الألوهية ، الذي لا يرقى إليه حتى الأنبياء عليهم السلام..

وقد روى الكشي عن أبي عبد الله أنه دخل عليه جعفر بن عفان وقال له : بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتجيد.. فقال له : نعم.. جعلني الله فداك.. فقال. قل : فأنشد. فبكى عليه السلام ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته..ثم قال : يا جعفر بن عفان والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ههنا ، يسمعون قولك في الحسين.. ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر.. ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر ساعتك الجنة بأسرها.. وغفر الله لك.. فقال أبو عبد الله : يا جعفر ألا أزيدك؟ قال : نعم يا سيدي.. قال : ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى.. وأبكى.. ألاّ أوجب الله له الجنة.. وغفر له .. هكذا وصل بهم الغلو والزعم على الله تعالى وعلى ذلك فلا داعي عندهم للصلاة والصوم والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الارحام ورعاية الجار وأداء الأمانة والبعد عن الربا وهجر الزنا وترك الخمر واحتمال تكاليف الدعوة إلى الله والجهاد والأستشهاد في سبيل الله عز وجل إذا كان دخول الجنة بهذه البساطة قصيدة من الشعر في مدح الحسين؟ ولا أدري كيف غاب عن الشيعة. أنه لا تنفع ألف قصيدة في مدح الرسول ﷺ نفسه بغير خلوص نية وحسن طوية وعميق إيمان وصالح

---

(١) سورة يونس آية ٣٧

عمل وألف قصيدة بدون عمل صالح مؤمن ، لن تدخل أحداً الجنة لأن الرسول ﷺ هو القائل لن ينجى أحداً منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته. سددوا.

وفي مسلسل العدوان على الإسلام والمسلمين فضلاً عن الوضع والتحريف في كتاب الله يورد (القمي) هذه الرواية التي تقول : (عن أبي عبد الله قال : إذا كان يوم القيامة ، يدعى محمد صلى الله عليه وآله فيكسى حلة وردية ، ثم يُدعى بعلي أمير المؤمنين عليه السلام ثم يُدعى بالأئمة ثم يُدعى بالشيعة فيقفون أمامهم ثم يُدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب[1] .ليس أبلغ في الرد على هذا التألي على الله تعالى من انذار الرسول ﷺ لقريش وعشيرته الأقربين بأنه لا يملك لهم من الله شيئاً وأهمل الشيعة عمداً وعدواناً حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيما رواه أبو هريرة أنه لما نزلت ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال : يا بني كعب ابن لؤى انقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً.. غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها[2] .

وفي الحديث المتفق عليه هو ﷺ القائل : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً ويا بني عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس ابن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد. سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً.

إن الشيعة لا تدرك أن الأقلاع عن المعصية والندم على اقترافها والعزم على عدم

---

(١) تفسير القمي جـ١ ص ١٢٨.

(٢) رواه مسلم وانظر مشكاالمصابيح للخطيب التبريزي تحقيق الألباني جـ٣ ص ١٤٧٧.

العودة إليها هي — والله أعلم — مظنة مغفرة الله عز وجل للعصاة التائبين[1] وليس حب علي رضي الله عنه أو غيره مما ينفع بغير تقوى وعمل صالح.. واتباع للرسول؟ ﴿ قُلْ إِنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، قُلْ أَطِيعُوا اللهَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الكَافِرِين ﴾ (سورة آل عمران الآيتان ٣١ و ٣٢). وهذا التطاول على الله تعالى والافتراء عليه قليل من كثير مما أورده العلماء والباحثون[2].

هذا قل من كثر.. من تعدي الشيعة على مقام الألوهية وليس كثيراً على من تطاولوا وتجرأوا على الذات الأقدس أن يغيروا على سنة رسول الله ﷺ.. ويمعنوا فيها حذفاً وتشويهاً وزيادة وتدليساً.

إن موقف الشيعة من السنة النبوية بلغ حدّ العته إنهم يطعنون في صحيح البخاري وإذا علمنا أن صحيح البخاري أصدق وأوثق كتاب بعد القرآن الكريم.. أدركنا أن الشيعة تنكر ما أجمع على صحته علماء الحديث وأئمة العلماء والدارسين لأحاديث رسول الله ﷺ.

وإذا هاجم الشيعة «صحيح البخاري» فمعنى ذلك أنهم يطعنون في المصدر الثاني من مصادر التشريع، بعد حربهم المشبوبة على القرآن الكريم.. إن الشيعة الغلاة يلمزون الإمام البخاري رحمه الله.. ويقدحون في صحيحه ويتناولونه بالذم والعدوان حين يقول قائلهم (وقد أخرج من الغرائب والعجائب والمناكير ما يليق بعقول مخرفي البربر وعجائز السودان) ولم يقف بهم الأمر عند حد الأعراض عن صحيح البخاري بل استبدلوا به كتاباً في الأحاديث الموضوعة المفتراة سمّوه (الكافي) لمحدثهم: محمد بن يعقوب الكليني وهو موسوعة كذب على الله تعالى وعلى رسوله.

---

(١) تحت راية الحق، عبد الله السبيت ص ١٤٦، وانظر وجاء دور المجوس ص ١٦٥ وسراب في إيران ص ٣٦.

(٢) الحافظ الشيخ إحسان الهي ظهير في كتابه الموسوعي: «الشيعة والقرآن الكريم» الطبعة الثالثة.

وبينما تفيد الأحاديث الصحيحة المروية عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإسلام بني على خمسة أركان. إلا أن الشيعة بعد أن أنكروا البخاري ابتدعوا إسلاماً لا يعرفه المسلمون في كتاب الله تعالى الذي حرفوه ولا في سنة رسول الله ﷺ التي حاربوها وعدّلوها تزييفاً ووضعاً وعدواناً.

نماذج من السنة النبوية عند الشيعة:

وهذه نماذج من الأحاديث التي ابتدعوها لتكريس هذا العدوان باسم إسلامهم المزعوم. عن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير.[1] ومن الملفت للنظر والمحزن معاً أن هذه الرواية التي وردت عن أبي جعفر أنها أهملت تماماً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. لأن الشيعة لا يعولون عليها ولا يهتمون بها بل إنهم يرون الولاية أفضل من الشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصوم وفي ذلك تجيء مزامعهم «عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة، والزكاة، والصوم، والولاية.. قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال الولاية أفضل[2]».

ثم بدا لهم أن يكتفوا بالصلاة والزكاة والولاية واستغنوا بها عن الصوم والحج وفي التدليل على هذا التزييف نسبوا إلى الصادق جعفر أنه قال: أثاني الإسلام ثلاثة: الصلاة.. والزكاة.. والولاية.. لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها[3].

وانتهى بهم هذا التدرج إلى أن اكتفوا بالولاية وحدها مدعين أن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بالولاية وفي التدليل على هذا الزعم الفاسد يروون عن أبي عبد الله أنه

---

(١) الكافي في الأصول جـ٢ ص ٢٠.

(٢) (٣) الكافي في الأصول جـ٢ ص١٨

قال : ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبياً قط إلاّ بها[1] «كما أنهم بغير عقل وبغير حياء يرفضون الأخذ عن الرسول ﷺ في الغيبيات .. ويتواصون فيما بينهم بعدم التدين بها بعد التأكد من صدورها عنه عليه الصلاة والسلام : يروي عن مجتهدهم محمد حسن الأشتياني أنه قال : (إن الرسول ﷺ إذا أخبر عن الأحكام الشرعية مثل : نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس .. يجب تصديقه والعمل بما أخبر به ، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السماوات والأرض والحور والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به فضلاً عن الظن به[2] . هذا وشر البلاء ما رأيناه هذه الأيام من آية الله الخميني هذا الباطني الذي انخدع به بعض أبناء الإسلام : إنه بكل صور العدوان يطعن في أصحاب رسول الله ﷺ زاعماً أنهم يفترون على النبي ﷺ وينسبون إليه أحاديث لم يقلها : يقول الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) «في الرواة من يفتري على لسان النبي ﷺ أحاديث لم يقلها .. ولعل راوياً كسمر بن جندب يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين»[3] والخميني بهذا الزعم يواصل إتهام الشيعة للرسول ﷺ بالكذب والخداع وأنه كان يظهر خلاف ما يبطن. والرواية الكفرية تقول : «عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما مات عبد الله بن أبي بن سلول ، حضر النبي جنازته» فقال عمر لرسول الله ﷺ : ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت فقال : يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال : ويلك ، ما يدريك ما قلت؟ إني قلت : اللهم أحشي جوفه ناراً واملأ قبره ناراً ، واصله ناراً قال أبو عبد الله عليه السلام : فبدا من رسول الله ما كان يكره[4] . والشيعة باليقين لفقوا هذه الرواية المتهافتة وهذا الأفتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجدوا مبرراً يسوغ لهم الأخذ بمبدأ التقية[5] الذي يعتبر من دعائم

(١) بصائر الدرجات باب ٩ جـ ٢ ، كتاب الحجة من الكافي للكليني جـ ١ ص ٤٣٨.

(٢) بحر الفوائد جـ ١ ص ٢٦٧ ، الخطوط العريضة ص ٣٠.

(٣) الحكومة الإسلامية للخميني ص ٧١.

(٤) الكافي في الفروع ، كتاب الجنائز جـ ٣ ص ١٨٨ ، الشيعة والسنة ص ١٦٣.

(٥) التقية : من أهم معتقدات الشيعة تجوز لهم التظاهر بخلاف ما يبطنون قولاً وعملاً وفي التصور الإسلامي لا فرق بين التقية والكذب فكلاهما وضع من حليب النفاق.

مذهبهم وأصول دينهم. ومن هنا كذبوا على رسول الله ﷺ الكذب الفاحش.

إن رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام أسمى وأعظم من أن يظهر خلاف ما يبطن.. كما فعل الشيعة فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ادعوا أنه حث على الأخذ بمبدأ التقية فقال — بزعمهم —: «مثل مؤمن لا تقية له.. كمثل جسد لا رأس له»[1]، كما نسب الشيعة إلى الرسول ﷺ حديثاً يشي بتهاونه عليه الصلاة والسلام في أمر الصلاة والصوم ويكني أن يحب المرء المصلين والصائمين.. ولا عليه إذا ترك الصلاة.. وأفطر في رمضان.

يروي أبو جعفر عليه السلام: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أحب المصلين ولا أصلي.. وأحب الصوامين ولا أصوم.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنت مع من أحببت)[2]. وبالقطع فإن الشيعة الإمامية لا يعرفون الرسول الذي لم يجد عذراً للصحابي الأعمى رضي الله عنه الذي رغب في إعفائه من صلاة الجماعة ولم يرخص له الرسول ﷺ في ترك صلاة الجماعة طالما يسمع النداء كما نسبوا إلى الرسول ﷺ أنه أدعى أن الله تعالى يناجي علياً رضي الله عنه وفي ذلك ينقل رواتهم «عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله لأهل الطائف، لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يفتح الله به خيبر، سيفه سوطه.. فشرف الناس له.. فلما أصبح ودعا علياً فقال: إذهب بالطائف ثم أمر الله النبي أن يرحل إليها بعد أن رحل علي. فلما صار إليها كان علي على رأس الجبل فقال له رسول الله أثبت.. فسمعنا مثل صرير المرجل فقيل: يا رسول الله.. ما هذا؟ قال: إن الله يناجي علياً[3].

كما كذبوا على رسول الله ﷺ حين نسبوا إليه أنه قال: «علي مع الحق والحق يدور معه حيث دار.. ولن يفترقا حتى يردا على الحوض (ويرد شيخ الإسلام ابن

---

(١) للوقوف على ملابسات الواقعة يراجع كتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٢٢ وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧٦.

(٢) الكافي في الفروع جـ ٨.

(٣) بصائر الدرجات باب ١٦ جـ ٨.

تيمية رحمه الله هذا الأفتراء بأنه : «من أعظم الكلام كذباً وجهلاً فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف»[1].

وانطلق الغلو الشيعي في مسلسل الكذب على رسول الله ﷺ فادعوا أنه لعن معاوية رضي الله عنه وحرّض المسلمين على قتله يقولون «إن النبي ﷺ لعنَ معاوية الطلق بن الطليق وقال : إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه»[2].

وما كان ﷺ طعاناً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً بل كان عف القول ندى اللسان وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت : كان خلقه القرآن ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن السنة النبوية المطهرة ترد على الشيعة مزاعمهم في الكذب ، فها هو أبو بكر الدرداء رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن.. فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار». رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث حسن صحيح.

واتهام الشيعة للنبي ﷺ بأنه أمر بقتل معاوية رضي الله عنه : مردود من أبسط أفعاله ﷺ :انه صلى الله عليه وسلم قد عفا عن أهل مكة — وهم مشركون — وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء.. أفيأمر من هذا خلقه بقتل مسلم مؤمن.. صحابي كان من بين المقربين إليه ومن كتابه والمؤتمنين على أمر الإسلام وكتاب رب العالمين.

وأما قاصمة القواصم فهي زعمهم بأن النبي ﷺ قال : بشأن علي بن أبي طالب «حب علي حسنة ، لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة».

---

(١) المنتقى من منهاج الأعتدال لابن تيمية ص ٢٠٠ من المختصر للحافظ الذهبي.

(٢) المنتقى من منهاج الأعتدال لابن تيمية ص ٢١٣ من المختصر للحافظ الذهبي.

كما ادعوا أن الرسول ﷺ قال : «أنا وعلي حجة الله على خلقه» كما زعموا أنه قال : «لو اجتمع الناس على حب علي لم تخلق النار».

وزعموا أنه ﷺ قال «من ناصب علياً الخلافة فهو كافر.. وقد حارب الله ورسوله» والكذب هنا أضعاف كذبهم في حديث غدير خم ومفترياتهم حوله.

واستكملوا مسلسل الكذب بهذه التي افتروا فيها على النبي ﷺ حين زعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «يا علي.. أنت تملك ما لا أملك.. ففاطمة زوجك وليس لي زوج مثلها.. ولك منها إبنان، ليس لي مثلهما.. وخديجة أم زوجك.. وليس لي رحيمة مثلها.. وأنا رحيمك.. فليس لي رحيم مثل رحيمك.. وجعفر أخوك من النسب.. وليس لي مثل جعفر أخ.. وفاطمة الهاشمية المهاجرة، أمك.. وأني لي أم مثلها»[1].

بهذه النماذج التي أتينا عليها للتدليل والبرهنة على أن الإمامية تقوم عقائدهم على مخالفات جوهرية ضد القرآن الكريم والسنة النبوية هل يمكن القول بعد ذلك بأن الدعوة للتقريب بين المسلمين والإمامية يمكن أن تجد لها أرضاً مشتركة يلتقي عليها الطرفان لتسوية الخلاف التاريخي : الديني منه والسياسي بين أهل السنة والإمامية، نعتقد أنه لا وألف لا.

المتعة وعقيدة الشيعة فيها :

من أكاذيب الشيعة التي يجادلون فيها إذا ما جوبهوا قضية المتعة والتي يكذبون فيها على النبي ويقولون إنه قال : من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع.[2]

والمطالع لما في كتبهم وما يكتبه العلماء الأعلام من المسلمين عنهم يجد أن هناك إتفاقاً بين المسلمين على أن أقبح فظائعهم كذبهم على رسول الله ﷺ حين ادعوا أنه

---

(١) بحار الأنوار ص ٥١١ جـ ٥.

(٢) تفسير منهج الصادقين، للملافتح الله الكاشاني فارسي جـ ٢ ص ٤٨٩.

قال من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار[1].

وما أجرأ القوم على الملذات والشهوات التي أسبغوا عليها صبغة الدين والشريعة وما أشجعهم على الافتراء على رسول الله الصادق الأمين الناهي عن المنكرات والمحترز المجتنب عن السيئات؟ القوم لا يخجلون إذا ما جابهوا العالم المعاصر بهذه المعتقدات الفاسدة.

والقوم لا يريدون من وراء ذلك الا أن يجعلوا دين الله الخالد لعبة يلعب بها الفساق والفجار ويسخر به الساخرون والمستهزؤون نقمة عليه وتعبيراً عن الأحقاد التي ورثوها من اليهودية البغضاء التي أسست هذه العقائد وهذا المذهب الإباحي ليس من الإسلام في شيء، وإلا فهل من المعقول أن ديناً من الأديان يحرر متبعيه من الحدود والقيود ومن الفرائض والواجبات والتضحيات والمشقات، ويجعل نجاتهم من عذاب الله وفوزهم نيل الجنة في طاعة الشهوات والملذات والشيعة لا يكتفون بإيراد كذبة أو ألف كذبة على رسول الله، ولكن في مسلسل العدوان على رسول يزعمون أنه قال: من تمتع مرة أمن من سخط الجبار ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار ومن تمتع ثلاث مرات لازمني في الجنان[2].

والعجيب الغريب في دين القوم أنهم يعتقدون أن من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحسين عليه السلام — الإمام الثالث عندهم — ومن تمتع مرتين كان درجته كدرجة الحسن عليه السلام — الإمام الثاني المعصوم المزعوم — ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة علي بن أبي طالب عليه السلام[3] — الإمام

---

(١) أيضاً ص ٤٩٢ نقلا من حضرة من خصه الله باللطف الأبدي خاتم مجتهدي الإمامية بالتوفيق السرمدي الغريق في بحار رحمة الله الملك الشيخ علي بن عبد العالي روح الله روحه في رسالته التي كتبها في باب المتعة.

(٢) تفسير منهج الصادقين جـ ٢ ص ٤٩٣.

(٣) وما معنى قول قائل: أهل النجف خاصة وكل بلاد الشيعة يرون المتعة عيباً وإن كانت حلالاً والشيعة في

المعصوم الأول لديهم ، ختن رسول الله وابن عمه — ومن تمتع اربع مرات فدرجته كدرجة النبي محمد ﷺ [1] وابرأه الله وطهره مما يقول الظالمون.

هذه الأكاذيب كيف نسجت على رسول الله وهذه الافتراءات كيف جرأوا وتقولوها عليه ﷺ — إن الشيعة بهذه المقولات أهانوا أهل بيت النبوة وجعلوهم مساوين لأهل الأهواء والفسق وكيف يصبح الفسقة والفجرة بفسقهم نظراء أهل البيت بل النبي ﷺ ؟.

يقول العلامة الشيخ إحسان إلهي ظهير: وللقوم شنائع في هذه المسألة وقبائح وافتراءات وبهتانات على أهل البيت وسادتهم نورد منها طرفاً.

منها ما اخترعوه ونسبوه إلى محمد الباقر — الإمام الخامس عندهم — أنه قال :

إن النبي صلى الله عليه وآله لما أسرى به إلى السماء قال : لحقني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إن الله تبارك وتعالى يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء [2].

وذكر الطوسي مفترياً على أبي الحسن — الإمام العاشر عند الشيعة — أنه قال له الساني : جعلت فداك إني كنت أتزوج المتعة فكرهتها وتشاءمت بها فأعطيت الله عهداً بين الركن والإمام وجعلت على ذلك نذراً وصياماً أن لا أتزوجها ، ثم أن ذلك شق عليّ وندمت على يميني ولكن بيدي من القوة ما أتزوج في العلانية ، فقال لي :

« عاهدت الله أن لا تطيعه ، والله لئن لم تطعه لتعصينه » [3].

كل مكان ترى المتعة عيباً وإن كانت حلالاً وليس كل حلال يفعل أعيان الشيعة للسيد محسن أمين ص ١٥٩.

مع أقوال الأئمة التي ذكرت من وجوب المتعة والثواب عليها فمن الصادق هذا أو أئمة؟ ولا ينبئك مثل خبير.

(١) تفسير منهج الصادقين جـ ٢ ص ٤٩٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق — وهو الكذوب — جـ ٣ ص ٤٦٣.

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي — أحد الصحاح الأربعة — ج.٧ ص ٢٥١ ، والفروع من الكافي جـ ٥ ص ٤٥٠.

وأيضاً رووا عن أبي عبد الله جعفر الصادق — وهم يكذبون عليه — أنه قال : المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله عليه وآله[1] .

كما كذبوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : لولا ما سبقني به ابن الخطاب يعني عمر مازني إلا شقي[2] .

هذا ويورد الشيخ الإمام الحافظ إحسان إلهي ظهير رحمه الله بعض ما في كتب القوم من مزاعم ومفتريات فينقل هذه الفرية التي حكوا فيها قصة طويلة تنيء بما عليه القوم من فساد ، روى محدث القوم الكبير محمد بن يعقوب الكليني عن رجل من قريش أنه قال : بعثت إلى ابنة عمة لي كان لها مال كثير تقول : قد عرفت كثرة من يخطبني من الرجال فلم أزوجهم نفسي ، وما بعثت إليك رغبة في الرجال غير أنه بلغني أنه أحلها الله عز وجل في كتابه وبينها الرسول صلى الله عليه وآله في سننه فحرمها زفر — يعني عمر كما صرح به في الهامشي — فأحببت أن أطيع الله عز وجل فوق عرشه وأطيع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأعصي زفر فتزوجني متعة فقلت لها : حتى أدخل على أبي جعفر عليه السلام فأستشيره ، فدخلت عليه فخبرته ، فقال : أفعل ، صلى الله عليكما من زوج[3] .

ومما يجدر ذكره أن الإمامية قد شددوا في التحريض على هذه القباحة حتى نسبوا إلى جعفر بن محمد الباقر أنه قال :

ليس منا من لم يؤمن بكرتنا — رجعتنا — ويستحل متعتنا[4] .

والمتعة بينها للقوم (جعفر) فيما رغموا عليه من إجابة على سؤال وجه إليه عن كيفية إتمام نكاح المتعة هذا فقال للسائل : تقول إذ خلوت بها أتزوجك متعة على

---

(١) الأستبصار للطوسي جـ ٣ ص ١٤٢ باب تحليل المتعة .

(٢) البرهان في تفسير القرآن للبحراني جـ ١ ص ٣٦٠ ، وتفسير العياشي جـ ١ ص ٢٣٣ . وتفسير الصافي جـ ١ ص ٣٤٧ والكافي للكليني ج ٥ ص ٤٤٨ ومجمع البيان للطبرسي ص ٣٢ واللفظ للأول .

(٣) الفروع من الكافي للكليني باب النوادر جـ ٥ ص ٤٦٥ .

(٤) كتاب الصافي للكاشاني ، جـ ١ ص ٣٤٧ ، من لا يحضره الفقيه جـ ٣ ص ٤٥٨ .

كتاب الله وسنة رسوله ، لا وارثة ولا موروثة كذا وكذا يوماً وإن شئت كذا وكذا سنه بكذا وكذا درهماً ، وتسمى من الأجر ما تراضيتما عليه قليلاً كان أم كثيراً .

وفي هذه القضية التي شغلتهم كثيراً وامتلأت بها كتبهم روى الكليني في الكافي أنه سئل أبو عبد الله — الإمام السادس عندهم — عن رجل تمتع بإمرأة بغير شهود ، قال : أوليس عامة ما تتزوج فتياتنا ونحن نتعرق الطعام على الخوان ونقول : يا فلان زوج فلان فلانة ؟ فيقول : نعم . وهذه الفتوى الشيعية تفتح الباب أمام جميع الفساق على مصراعيه خاصة وأنهم يروون عن جعفر الصادق أنه قال : لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية[1] ولا بالنصرانية واليهودية كما نقلوا عن أبي الحسن الرضا —[2] . ولا بالفاجرة لأنه يمنعها بها — أي المتعة — من الفجور — حسب زعمهم —[3] ، وحتى الزانية كما صرح بذلك الخميني[4] ، وسئل أبو الحسن عن المتعة بالفراش فأذن بها[5] يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير وهناك روايتان مدهشتان تنبئ عن حقيقة المتعة ما رواهما الطوسي وغيره عن فضل مولى محمد بن راشد أنه قال لجعفر الصادق : إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجاً ، ففتشت عن ذلك ، فوجدت لها زوجاً ، قال : أي جعفر — ولم فتشت ؟[6] ، وقال : ليس هذا عليك ، إنما عليك أن تصدقها في نفسها[7] .

والرواية الثانية ما رواها الكليني عن أبان بن تغلب أنه قال : قلت لأبي عبد الله : إني أكون في بعض الطرقات فأرى المرأة الحسناء ولا آمن أن تكون ذات بعل أو من العواهر؟ قال : ليس هذا عليك ، إنما عليك أن تصدقها في نفسها[8] .

(١) الفروع من الكافي ج ص ٢٤٩ .

(٢) تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٥٦ ، أيضاً الأستبصار جـ٣ ص ١٤٤ .

(٣) أيضاً كتاب شرائع الإسلام من كتب الفقه المشهورة لجعفر بن الحسن ص ١٨٤ .

(٤) تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٥٣ .

(٥) تحرير الوسيلة للخميني ص ٢٩٢ ط قم — إيران .

(٦) الأستبصار جـ٣ ص ١٤٤ .

(٧) تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٥٣ .

(٨) الفروع من الكافي جـ٥ ص ٤٦٢ .

وهل يجوز بالهاشمية؟ سئل عنه جعفر بن الباقر مرة مطلقاً، فقال: تمتع بالهاشمية[1]، هذا وتروي كتبهم في هذا المجال الشيء الكثير من الموبقات والمخازي فيروي الكليني: «أنه جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر فقال له: ما تقول في متعة النساء؟ قال أحله الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها؟

فقال: وإن كان فعل: قال: إني أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرمه عمر، قال: فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فهلم الا عنك أن القول ما قال رسول الله وأن الباطل ما قال صاحبك، قال: فأقبل عبد الله بن عمير فقال: يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن؟ قال: فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه[2]، وقد سئل أحدهم فيما زعم عليه الشيعة عن الجارية يتمتّع بها الرجل؟ قال: نعم إلا أن تكون صبية تخدع، قال: فقلت: أصلحك الله، فكم حد الذي إذا بلغته لم تخدع؟ قال: بنت عشر سنين[3].

وفي ساحة الفسق العقدي الذي تفنن فيه الشيعة تحت اسم (المتعة) أكثروا من إيراد صور الفحش. فقد نسبوا إلى الإمام الثامن عندهم جعفر الصادق أنه أفتى بحل نكاح الزواج والمتعة بدون ولي وقال: «لا بأس يتزويج البكر إذا رضيت بغير إذن أبويها»[4]. وقال الحلي في كتابه الفقهي المشهور: للبالغة الرشيدة أن تتمتع بنفسها وليس لوليها أعتراض بكراً كان أو ثيبا[5].

---

(١) تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٧٢.

(٢) الفروع من الكافي، جـ٥ ص ٤٤٩، أيضاً تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٥١، الصافي جـ١ ص ٢٤٦.

(٣) الاستبصار للطوسي جـ٣ ص ١٤٥، تهذيب الأحكام جـ٧ ص ٢٥٥، وبذلك قال جعفر، الفروع من الكافي جـ٥ ص ٤٦٣.

(٤) تهذيب الأحكام، جـ٧ ص ٢٥٤.

(٥) شرائع الإسلام لنجم الدين الحلي المتوفي ٦٧٦ هـ جـ٢ ص ١٨٦ ط طهران ١٣٧٧ هـ.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنه لا حد ولا حدود للعدد الذي يتمتع به الشيعي فقد قالوا : إن أبا جعفر قال : المتعة ليست من الأربع ، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث[1] وإنما هي مستأجرة[2] .

وابنه أبو عبد الله ذكر له المتعة وقيل له : أهي من الأربع ؟ قال : تزوج منهن ألفاً فإنهن مستأجرات[4] ، ويبدو أن كتب الأئمة الشيعة لم تجار المتغيرات العالمية في مجال الفسق فجاءت الأجور لنساء المتعة رخيصة كثيراً...

رووا عن أبي جعفر أنه سئل عن متعة النساء قال : حلال ، وأنه يجزئ فيه درهم فما فوقه[3] وابنه جعفر قال : يجزئه كف من بر[4] وكف من طعام ، دقيق أو تسويق أو تمر[5] .

وبهذا القدر الضئيل للشيعي أن يتمتع مرات كثيرة كما رووا أنه سئل جعفر الصادق في الرجل يتمتع بالمرأة مرات ، قال : لا بأس ، يتمتع بها ما شاء — وأبوه محمد الباقر صرح كما رووا عنه «نعم كم شاء ، لأن هذه مستأجرة»[6] .

وللمتمتع أن يحاسب الممتوع بها على أجرته التي أعطاها أياها ويخصم منها حسب العمل الذي قامت به ، كما رووا عن أبي الحسن أنه سئل «إن الرجل يتزوج المرأة متعة تشترط له أن تأتيه كل يوم حتى توفيه شرطه أو تشترط أياماً معلومة تأتيه فيها ، فتغدر به فلا تأتيه على ما شرطه عليها ، فهل يصلح له أن يحاسبها على ما لم تأته من الأيام ، فيحبس عنها من مهرها بحساب ذلك ؟ قال : نعم ينظر ما قطعت من الشرط

---

(١) «لا أرثك ولا ترثني ، ولا أطلب ولدك لأجل مسمي» — أبو عبد الله — «تهذيب» جـ ٧ ص ٢٦٣ .

(٢) الأستبصار جـ ٣ ص ١٤٧ .

(٣) الأستبصار جـ ٣ ص ١٤٧ ، تهذيب الأحكام جـ ٧ ص ٢٥٩ .

(٤) كتاب الفروع من الكافي جـ ٥ ص ٤٥٧ .

(٥) تهذيب الأحكام جـ ٧ ص ٢٦٠ .

(٦) الفروع من الكافي جـ ٥ ص ٤٥٧ .

(٧) الفروع من الكافي جـ ٥ ، ص ٤٦٠ .

فيحبس عنها من مهرها بمقدار ما لم تف، ما خلا أيام الطمث فإنها لها[1] هذه هي النخاسة في دين الشيعة والتي جعلوها للأسف قرباناً يتقربون إلى الله به ومن أجل هذا الزعم اخترعوا لها الروايات التي تكذب على رسول الله ﷺ وقد بلغ بهم الفحش حداً جعلهم يدونون في كتبهم هذا الكذب الذي يدعونه على رسول الله بأن المؤمن لا يكمل حتى يتمتع. يقول أحد الأئمة (وإني لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا قد بقيت عليه خلة من خلال الرسول صلى الله عليه وآله لم يقضها)[2] — قاله أبو عبد الله في جواب من سأله عن المتعة.

وأيضاً عن أبي جعفر أنه سأله سائل.

للمتمتع ثواب؟ قال: إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى، وخلافاً على من أنكرها. لم يكلمها — أي التمتع بها — كلمة إلا كتب الله له بها حسنة، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنباً، فإذا اغتسل غفر بقدر ما مر من الماء على شعره، قلت: بعدد الشعر؟ قال: نعم، بعدد الشعر[3]. ومن العجيب الغريب أن القوم لا يخجلون من نسبة الموبقات وهذه المآثم إلى كبار أئمتهم فها هم يقولون كذباً على جعفر أنه قال «إن المتعة ديني ودين آبائي، فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بدين غيرنا، والمتعة مقربة إلى السلف وأمان من الشرك، وولد المتعة أفضل من ولد النكاح، ومنكرها كافر مرتد، ومقرها مؤمن موحد لأن له في المتعة أجران، أجر الصدقة التي يعطيها للمستمتعة وأجر المتعة»[4].

---

(١) الفروع، من الكافي، جـ ٥ ص ٤٦١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، جـ ٣ ص ٤٦٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه جـ ٣ ص ٣٦٦.

(٤) تفسير منهج الصادقين، للملا الكاشاني جـ ٢ ص ٤٩٥.

ومما يخجل منه المرء وهو يطالع ما في دين القوم من مفاسد تصطدم مع الفطرة وتأباها الطباع السليمة أنهم أباحوا إعارة الفروج ومنحها للأصدقاء، فلقد روى الطوسي عن أبي الحسن الطاري أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج؟: لا بأس به[1].

ورووا عن أبيه هذا كما روى الطوسي أيضاً عن زرارة أنه قال: قلت: لأبي جعفر عليه السلام: الرجل يحل جاريته لأخيه، قال: لا بأس به[2].

ومن شنائع ما عند القوم من مفاسد بالرغم من زيف الإعلام الحديث وانخداع الكثيرين به أنهم أجازوا لواطة النساء، فروى الكليني عن الرضا أنه سأله صفوان بن يحي: «إن رجلاً من مواليك أمرني أن أسالك، قال: وما هي؟ قلت: الرجل يأتي في دبرها؟ قال: ذلك له[3].

كما رووا عن جعفر عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس. إذا رضيت، قلت: فأين قول الله عز وجل ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾[4]. قال: «هذا في طلب الولد»[5].

مزاعم الشيعة عن عقائدهم:

لما كا التشيع يطلق ويراد به الموالاة والمتابعة والمشايعة لعلي بن أبي طالب وذريته، فإنه لابد من الوقوف على مجمل عقائدهم على ضوء ما قالوه ونقلوه عبر التاريخ. لنرى هل ظلمهم العلماء الذين خالفوهم أم هم الذين ظلموا من سواهم

(١) الأستبصار للطوسي ص ١٤١ جـ ٣.

(٢) أيضاً ص ١٣٩ جـ ٣.

(٣) الفروع الكافي للكليني، جـ ٥ ص ٤٠ وأيضاً الأستبصار جـ ٣ ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) سورة البقرة آية ١٢٢

(٥) تهذيب الأحكام، للطوسي جـ ٧ ص ٤١٤ باب آداب الخلوة، أيضاً الأستبصار جـ ٣ ص ٢٤٣.

من علماء الإسلام ، ولنرى هل ما تعرضنا له بنوع من التفصيل حول بعض عقائدهم فيه من الحملات الظالمة عليهم كما يحبون أن يصفوا دراسة غيرهم عنهم أم أننا استهدفنا معرفة موقفهم كخصوم لجمهور أمة الإسلام على مدى التاريخ . ؟؟

وبادئ ذي بدء أود أن أشير إلى أنني سأنقل مجملاً عن عقائد الإمامية من بعض مصادرهم التي وقعت في أيدينا وما أكثرها وخاصة في عصر الدعاية الذي تعيشه الإمامية منذ مطلع العقد التاسع من القرن العشرين فما الذي تقوله كتب الإمامية عن عقائد القوم .

تقول إنه : من أوليات العقائد الدينية وأهمها عند الشيعة — هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤ أحد ، وأنه حيٌّ قيوم قديم ، أبدي قادر مختار ، عالم حكيم عادل ، غني سميع بصير ، مدرك كل شيء ولا يدركه شيء مريد للخير كاره للشر ، صادق في وعده ووعيده ، ولا يرى في الدنيا والآخرة لأنه سبحانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مركب من شيء ولا متحد مع شيء وأنه لطيف بعباده رؤوف رحيم ، ومن لطفه أرسل الأنبياء الهداة ، ولكمال لطفه عصمهم من كبائر الذنوب وصغائرها وجعل نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء .

وأنزل عليه المعجزة العظمى — القرآن الكريم — مصدقاً لما بين يديه فيه تبيان كل شيء والقرآن الكريم عند الشيعة غير قديم كقدمه تعالى ، وعندهم أن الاعتقاد بالتوحيد وبالنبوة والعدل من أصول الدين الحنيف ، ومثلها الإمامة والمعاد[1] . أما الإمامة — وهي واجبة عندهم فيعتبرها الشيعة منصباً إلهيا كمنصب النبوة إلا أنه دونه في المنزلة والفضل لأن الإمام عندهم سبق أن دللنا على أن هناك من يقول بأن الإمام فوق النبي لأن الإمام عندهم نائب عام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفظ الشرع وتسيير المسلمين على طريقه القويم ، وفي حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان وعندهم أن النائب دون المنوب عنه لكن الإمام فيما يعتقدون

---

(١) أفاض في تناول هذه العقائد « محمد الحسين آل كاشف الغطاء » في كتابه « أصل الشيعة وأصولها » من الطبعة العاشرة عام ١٩٥٨ م وخاصة بين صفحات ١٣١ — ١٦١ .

موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ ، وهو ليس بمشرع يوحي إليه إنما هو — عند الفريق المرجوح نائب عن المشرع الموحى إليه — هنا يحاول كتاب العقائد الشيعة المحدثين الهروب من صريح اعتقادهم بأن الإمام يوحى إليه لكون الزعم واضح من بين السياق : والإمامة — عند الشيعة — لا تكون إلا بنص وتعيين والمعين لا بدّ أن يكون معصوماً كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم — هنا برز المعتقد الإمامي في الإمام ، وهو أنه عندهم كالنبي في وجوب العصمة — وأن يكون أفضل الأمة بعد النبي — وأشجعها وأزهدها وأتقاها ليتمكن من حفظ الشرع وإقامة الأحكام الدقيقة على طبق ما شرعها الشارع الأعظم لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تصده عن تنفيذها قرابة قريب ، أو صداقة صديق أو أنانية ذاتية .

ولما كانوا يعتقدون بوجوب النص على الإمام فقد قالوا إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نص عليه وعينه ولم يهمل أمره ولما كان اعتقادهم بوجوب عصمة المعين كونه أفضل الأمة وأقضاها ، قالوا إن الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصبه إماماً ونائباً عنه هو علي بن أبي طالب لأن العصمة لم توجد في غيره ، ولا ادعيت لأحد غيره هكذا يزعمون ويعتقدون . كما يعتقدون أن الأفضلية قد ثبتت له باعتراف جل المسلمين وبإجماع من يعتد به منهم وبالأخبار الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ كما يؤمن الشيعة أنه بالنص والعصمة والأفضلية ثبت إمامة الحسن بن علي وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين علي بن الحسين وإمامة محمد بن علي . « الباقر » وإمامة جعفر بن محمد « الصادق » وإمامة موسى « الرضا » وإمامة محمد بن علي الجواد وإمامة علي بن محمد الهادي وإمامة الحسن بن علي « العسكري » وإمامة محمد بن الحسن « المهدي » وهو الإمام الثاني عشر هذه هي الإمامة . وأما المعاد — فهو عند الشيعة : إعادة الخلائق — بعد موتهم — أحياء بأجسادهم وأرواحهم وعلى ضوء ما ذكر مما أتينا عليه من بعض مصادرهم تكون أصول الدين عند الشيعة خمسة : التوحيد — العدل — النبوة — الامامة — المعاد — لكن بعض علماء الشيعة المحدثين يحاول التخفيف من غلواء الشيعة في الإمام فيستدرك على القول بهذه الأصول الخمسة يقول .

لكن الإمامة — وإن اعتبروها من أصول الدين — هي بأصول المذهب أشبه، لأن منكر الإمامة عندهم لا يخرج بذلك — عن ملة الإسلام وإنما يخرج عن المذهب فحسب بعكس بقية الأصول.

ويدعى بعض علماء الشيعة القدامى منهم والمحدثين أن الشيعة تؤمن بأن القرآن الكريم الذي بين أيدي المسلمين، يؤمنون بما فيه من الجنة والنار، ونعيم البرزخ وعذابه والميزان، والصراط، والاشراف وأنه الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وإن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شرا فشر — ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثاقل ذرة شراً يره — إلى غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله سبحانه لم يجبر مخلوقاً على طاعة ولا على معصية كيف وعند الشيعة أنه يجبر على الطاعات وهو غني عنها بل كيف يمدح عباده ويثيبهم عليها وهي ليست منهم ولم تكن باختيارهم على ما زعموا؟.

هذا وتقول بعض كتب الشيعة: كيف يعذب الله العصاة وقد أجبرهم على المعاصي وأرادها منهم كما زعم الزاعمون؟ وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿ **وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ** ﴾[1] ﴿ **وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[2] ﴿ **وَقُلِ الحَقَّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُها** ﴾[3]. أم كيف يرضى الكفر ويأمر بالفحشاء وهو القائل: إن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر وعند الشيعة كما أنه لا جبر عند الله تعالى كذلك لا تفويض بل الأمر بين بين.

هذا ويتبرأ الشيعة المحدثون مما تقوله بعض أمهات عقائدهم بالرغم من أن هذا الاعتقاد في الأئمة من القضايا الواضحة في عقائد الشيعة وهو أنه تعالى فيما يعتقدون

---

(١) سورة غافر آية ٣١

(٢) سورة فُصِّلت آية ٤٦

(٣) سورة الكهف آية ٢٩

فوض الأمور إلى الأئمة من أهل البيت. وعند الشيعة المحدثين أن كل من قال أو يقول بالتفويض أو يجعل لأي مخلوق صفة من صفات الخالق الخاصة به فهو خارج عن ملة الإسلام.

وهناك أمور كثيرة يعتقد الشيعة وجوبها ويفعلونها منذ تكونوا إلى اليوم، ومن أهمها خمسة: الصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، وهي المعبر عنها — عندهم بفروع الدين. أما «الصوم» فهو عندهم أربعة أقسام: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ولا يجب الصوم المفروض في شهر رمضان حتى هلاله أو يثبت بشهادة عدلين أو بالشياع، كما لا يجوز الإفطار — عندهم — حتى يرى هلال شوال أو يثبت بالشهادة أو بالشياع.

وأما الصلاة فقسمان: واجب، ومستحب، ويعبر عنه بالنوافل وقد تعرض الحرمة والكراهة على الصلاة من حيث المكان واللباس.

والحج قسمان أيضاً واجب ومستحب وقد يحرم إذا ظن المرء تلف نفسه أو عرضه أو ماله في الطريق أو غيرة كما تقول المصادر المحدثة أنه لا يجوز الحج إلى غير مكة المكرمة ولا غنى لهم عن بيت الله الحرام، ولا يتم حجهم إلى مكة إلا بتأدية المناسك على الوجه الكامل في بيت الله الحرام وفي المواقيت ومنى وعرفة والشعر.

والزكاة عندهم قسمان: واجب في ثلاثة أنواع: الأنعام الثلاثة، والغلات الأربع: الحنطة والشعير والزبيب والنقدين من الذهب والفضة — ومستحب — في غير هذه الأنواع.

«الجهاد» عندهم واجب في سبيل الله وحماية بيضة الإسلام: ويقولون إن جهاد النفس الأمارة من أعظم الجهاد وأعودها نفعاً للفرد وللمجتمع البشري، وهو داخل ضمن الجهاد في سبيل الله بلا ريب لأنهم يقولون في كتبهم إن من جاهد نفسه ووطنها على فعل الخيرات والابتعاد عن الشرور والمعاصي، كان عمله أنفع من سل الحسام في حرب المشركين: وهل أشرك المشركون إلا من إهمال هذا الجهاد للنفس؟ وتغليب الهوى على العقل؟ ويلي هذه الفروع في الأهمية عندهم فرض الخمس «واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**﴾[1] ولها كما لغيرهما من الأحكام شروط كثيرة وبحوث دقيقة مبسوطة في الكتب الاجتهادية لفقه الشيعة الذي يختلف كثيراً من معظم قضاياه عن فقه السنة عند جمهور أمة الإسلام.

هذه عقائد ومقولات بعض الشيعة المحدثين: فأين هم من تراث أمة وأئمة علماء الشعية على مدى التاريخ.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤

المبحث الخامس.

الزيدية والشيعة.

علاقة الزيدية بالمعتزلة.

افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية.

هل تأثرت الزيدية بالإمامية.

أوجه الإختلاف بين الزيدية والإمامية.

فرق الزيدية.

«الزيدية والشيعة»

تشعب طريق الشيعة وتعددت وتنوعت مدارسهم الإجتهادية عبر رحلة كفاحهم لمخالفيهم في موضوع «الإمامة» وخاصة بعد ظهور الوضع والدس وتجنيد الأفكار المستوردة لتأييد وجهة الفرقاء الذين انطلقوا من مزاعم حب أهل البيت. وعلى طريق الأنقسام السياسي والعقدي ظهر عام ١٢١ هـ زيد بن علي بن الحسين في الكوفة، واستطاع تجنيد عدد لا بأس به من أهلها لمساندته فيما دعا إليه، وحين بدأ التحرك والقول بالإمامة نهض معه ممن اتبعه جماعة وخذله أو رفضه معظمهم وكما فعل معظم أهل العراق مع جده الحسين فعلوا مع زيد نفس الموقف تقريباً، وقد أطلق على الذين استجابوا لزيد، والتزموا معه اسم «الزيدية» وشاع الأسم عليهم لليوم كما يرى فريق من العلماء أن اسم الروافض الذي أطلق على الشيعة الإمامية الإثني عشرية. عرف من ذلك التاريخ الذي رفض فيه اتباع زيد زيداً ومن يومها يسمون بالرافضين لرفضهم زيداً. وبهذا التمهيد فالزيدية فرقة من الفرق الشيعية القائلة بالإمامة في بيت علي وحصرها في أولاد فاطمة غير أنهم لم يتجاوزوا موقفهم هذا بحيث لم يخضعوا في القول به لتيارات سياسية ومذهبية تضعهم في عداد الغلاة أو تجعلهم أهل ضلالة كما وقع غيرهم: والزيدية في تاريخ الفرق الإسلامية هم: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي حصروا موقفهم في الإمامة في غير بيت فاطمة، إلا أنهم لم يقصروها على سلسلة محدودة من أولاد فاطمة إذ جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء أكان من أولاد الحسن أو أولاد الحسين ومن هنا قالت جماعة من الزيدية بإمامة: محمد وابراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا بالإمامة في أيام المنصور، وقتلا بسبب قولهما هذا.

هذا ويعتقد الزيدية بأنه يجوز خروج إمامين في قطرين في زمن واحد يستجمعان خصال الإمامة من العلم والزهد والشجاعة والسخاء ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.

علاقة الزيدية بالمعتزلة:

لما كان أتباع زيد يقولون بأن كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون واجب الطاعة أراد أن يتحلى بالشرط الأول وهو العلم وأن يلم بالأصول والفروع فوقع في يد واصل بن عطاء رأس المعتزلة، الذي لم يكن على يقين بأن جد زيد الأعلى الإمام علي بن أبي طالب على صواب في الحروب التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام وفي الوقت الذي كان فيه واصل بن عطاء على غير يقين من الفريقين المتخاصمين المتقاتلين: علي أم أصحاب الجمل والشام لم يتردد زيد في أخذ الفكر الاعتزالي من واصل وأصبح أصحاب زيد أقرب ما يكونون في جملة معتقدهم إلى(المعتزلة) وربما يكون زيد والزيدية من بعده قد أخذوا من واصل ابن عطاء القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل. فقد كان يقول: علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رآها أصحاب رسول الله وقاعدة دينية راعوها وذلك لكي تسكن ثائرة الفتنة وتطيب قلوب العامة فإن الناس كانوا حديثي العهد بالحروب التي جرت في أيام النبوة، وسيف علي بن أبي طالب من دماء المشركين من قريش لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يقوم بهذا الأمر من عرف باللين والرفق والتودد والتقدم في السن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ.

وكان زيد ينطلق في موقفه هذا مما يعلمه — على ضوء ما انتهى إليه الإمام زيد — عن رسول الله ﷺ أنه لما كان في مرضه الذي مات فيه وأراد تقليد الأمر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا يا رسول الله لقد وليت علينا فظاً

غليظاً فما كانوا يرضونه أميراً للمؤمنين لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفظاظة على الأعداء حتى أسكتهم أبو بكر رضي الله عنه بحلمه ووداعته.

هذا ويجوز عند الزيدية أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائماً فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يراها.

افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية:

لما كان زيد يتتلمذ على واصل بن عطاء المعتزلي الذي يجوز الخطأ على جد زيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فضلاً عن أنه يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت فإنه قد جرت مناظرة بين زيد وبين أخيه محمد الباقر، غضب عليه فيها أن يأخذ العلم من واصل بن عطاء الذي يشترط الخروج في كون الإمام إماماً، حتى إنه قال لزيد على مذهبك والدك ليس بإمام، فإنه لم يخرج ولا تعرض للخروج.

هذا ومما يلاحظ على تاريخ الزيدية أن موقفهم القائل بجواز قيام الإمام المفضول والأفضل قائم يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه دفع شيعة الكوفة إلى أن يرفضوا زيداً وخاصة بعد أن عرفوا مقالته في الشيخين أبي بكر وعمر وأنه لا يتبرأ منهما، وهكذا انقسمت الزيدية إلى عدة مواقف وتيارات وهي لما تزل بعد في مراحل التكوين، قبل أن تصطبغ بأفكار سياسية أو أية معتقدات أخرى.

هل تأثرت الزيدية بالإمامية؟

يقول الشهرستاني: لما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان، وأجمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنه بأنه قتل كما قتل أبوه وصلب كما صلب أبوه فجرى عليه الأمر كما أخبره، وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وابراهيم الإمامين وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا أيضاً وأخبرهما الصادق بجميع

ما تم عليهم وعرفهم بأن أباه عليه السلام أخبره بذلك كله وأن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها، وهم يستترون بفضل أهل البيت ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم. وكان يشير إلى أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إنا لا نخوض في الأمر حتى يتلاعب بها هذا وأولاده، إشارة إلى المنصور، فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك ويحي بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها، محمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وابراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتلها المنصور ولم ينتظر أمر زيد بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش، فطلب مكانه ليقتل، فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل، دعا الناس للإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه وبقي الزيدية في تلك البلاد، ظاهرين، وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلي أمرهم وخالفوا بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة، طعن الإمامية.. ثم اصبحوا فرقاً وأصنافاً ثلاثة جارودية وسليمانية، وبترية، وتوسعوا في مواقفهم ومعتقدهم الزيدي حتى خرج بعضهم على عقيدة إمامه مثلما فعل الجارودية أصحاب الجارود الذين زعموا بعد زيد أن النبي ﷺ نصَّ على علي بالوصف دون التسمية، والإمام بعد النبي كان يجب فيما زعموا أن يكون علياً، لكن الناس قصروا، حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك.

وبهذه المقالة فإن بعض الفرق التي أنبثقت من الزيدية كالجارودية تكون قد خرجت على إمامها في الاعتقاد.

هذا وقد أختلفت الجارودية في التوقف وسوق الإمامة فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين، ثم إلى زيد بن علي ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بإمامته.

وهكذا كما نرى فإن الزيدية التي بدأت من أصول غير فارسية وغير يهودية فلم تبدأ

مقولتها بالحلول أو التجسد وبررت عقيدتها في القول بجواز اتباع الإمام المفضول حتى مع وجود الأفضل ولم يكفر زيد أياً من الخليفتين أبي بكر أو عمر سرعان ما رأينا افرازات مذهبية أنبثقت من الزيدية ، كتلك التي أشرنا إليها عند الشهرستاني ، مالت إلى المنهج الذي بدأ منه القائلون «بالإمامية» حتى إنهم أي الجارودية قد كفروا الذين بايعوا أبا بكر إذ أنهم على ضوء دعوى الجارودية لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وهذا لا شك يحتاج من الأئمة الزيدية إلى إعادة النظر في المقولات التي وفدت على مذهبهم وخاصة بعد قتل الإمام زيد حتى لا تصبح الفرقة الزيدية فاقدة لكل منطلقاتها وتغدو في صف القائلين بالإمامة الذين انتهى بهم الأمر إلى القول في الأئمة بالحلول والتجسد ووقعوا أسرى الثقافة الشعوبية التي وفدت على الساحة الإسلامية بتأثير اليهود والنصارى وحتى يمكن أن تقترب أهداف وغايات بعض الفرق الإسلامية وبعضها الآخر حتى وإن اختلفت الوسائل بحين لا نرى ذلك التناقض الذي يحيط بكل فرقة تجاه الأخرى على أمل في الله أن ترجع كل هذه الفرق إلى ربها وأن تدرك : أن الذين فرقوا دينهم كانوا شيعاً ليسوا من الإسلام في شيْ مهما كانت الركائز والمنطلقات والغايات المدعاة . ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن نشير إلى أوجه الأختلاف بين الزيدية والإمامية لأنه اختلاف جوهري تبرأ به ذمة «الزيدية» من معتقدات الإمامية وتبرأ به من قول ابن عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد» جـ ١ صفحة ٣٥٢ من أن الزيدية هم من الرافضة وأنهم أصحاب زيد المقتول بخراسان . فالحقيقة غير ذلك إذ أن المقتول بخراسان هو يحي بن زيد وأما زيد قتل بالكوفة وليس بين الزيدية والإمامية علاقة .

أوجه الأختلاف بين الزيدية والإمامية :

أولاً : نود أن نقرر أن جمهور الزيدية الأعظم يقررون صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا يسبونهما ولا يكفرونهما ولا يسبون أحداً أو يكفرونه من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يفسرون موقف علي رضي الله عنه بأنه وافق علي خلافتهما لمصلحة رآها ومن ثم فبيعتهما صحيحة ، وخلافتهما لا شيْ فيها وقد كان من

مذهب زيد بن علي (جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل) ولذلك فإنه نقل عنه أنه كان يرى أن علياً رضي الله عنه كان أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رآها أصحاب رسول الله ﷺ وقاعدة دينية راعوها ، وذلك أن الحروب التي قامت في عهد النبي ﷺ كانت قريبة العهد وقد قتل فيها علي رضي الله عنه عدداً كبيراً من المشركين مما أوجد الضغائن بين قومهم وبينه فما كانت قلوبهم تميل إليه ولا رقابهم تنقاد إليه وذلك كانت المصلحة في أن يلي الأمر رجل عرف بالتؤدة واللين والتقدم بالسن والسبق بالإسلام ومما يدل على صحة هذا الرأي عند القائلين به أنه لما أراد أبو بكر تولية عمر رضي الله عنهما ثار الناس لأن عمر عرف بشدته على الأعداء وصلابته في الدين حتى تمكن أبو بكر من إقناعهم وإسكانهم وعلى ذلك يرى زيد جواز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائماً فيرجع إليه في الإحكام ويحكم بحكمه في القضايا.

المسألة الثانية التي تختلف فيها الزيدية عن الإمامية وهي أنهم لا يقولون بأن الإمامة تكون بنص صريح . وقد يقول بعضهم أن النبي ﷺ نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية «كما يقول ذلك الجارودية» وكذلك هم لا يقولون بعصمة الأئمة ولا يقولون بالتقية كما يقول الرافضة ، وكما سبقت الإشارة إليه فقد تتلمذ زيد بن علي على واصل بن عطاء رأس المعتزلة ورئيسهم وتبنى آراء المعتزلة كلها وفي هذا لا يتفق الزيدية مع متأخري الرافضة «وكان أوائل الرافضة مجسمة ولكن كل المتأخرين كانوا متابعين للمعتزلة في جميع مسائل أصول الدين وليس الزيدية كذلك إذ لم يستمروا على نهج المعتزلة ، لأن واصل بن عطاء كان له رأي خاص في إمامة علي رضي الله عنه وهو أن علياً في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام لم يكن على يقين من الصواب ، وأن أحد الفريقين المتنازعين كان على الخطأ ولم يحدد واصل من المخطئ من الفريقين ولذلك جادل محمد الباقر وابنه جعفر الصادق زيداً في هذا الأمر وانكروا عليه قبول رأي واصل بن عطاء في هذه المسألة يقول الشهرستاني : (وجرت بينه وبين أخيه الباقر محمد بن علي مناظرات لا من هذا الوجه (أي عدم التبرؤ من الشيخين) بل من حيث كان يتتلمذ

لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطاء على جده في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ومن حيث يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت ومن حيث أنه يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً حتى قال له يوماً : على مقتضى مذهبك والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج)

وقد قتل زيد بن علي وصلب كما قتل ابنه يحي ابن زيد وصلب وتولى الإمامة بعد يحي إمامان هما محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسين وقد خرجا في خلافة أبي جعفر المنصور وقتل أولهما بالمدينة وثانيهما بالبصرة يقول الشهرستاني (ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم ناصر الأطروش : هو أبو محمد الحسن ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين ولد سنة ٢٣٠ وتوفي في ٣٠٤ هـ لقب بالناصر لدين الله. وعرف بالناصر الكبير أو الناصر للحق (الأطروش) لطرش أصحابه حين ضربه بالسياط عامل الدولة العباسية بينسابور وجرجان فوقع السوط في أذنه فأصابه طرشاً ، فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الأمر وسار إلى بلاد الديلم والجبل ولم يتحلوا بدين الإسلام فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه. وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين ولقد انتقل مذهب الزيدية إلى اليمن على يد الإمام يحي بن الحسين بن القاسم من أحفاد الحسن وقد ولد بالمدينة سنة ٢٤٥ وبايعه أهل اليمن عام ٢٨٤ وأخذ يحارب غلاة الشيعة والقرامطة وقتل سنة ٢٩٨ هـ أثناء حروبه مع القرامطة وتولى الأمر بعده أبناؤه. وعلى ذلك فقد تمكن الزيدية خلال فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي من إقامة عدة دول منها.

١ ـــ دولة الأدارسة في المغرب ومؤسسها أدريس بن عبد الله.

٢ ـــ الدولة الزيدية الهادوية في اليمن. ومؤسسها الهادي يحي بن الحسين وهو الذي أشرنا إليه بنوع من التفصيل.

٣ ـــ الدولة الزيدية الناصرية وهي التي أشار إليها الشهرستاني وقد أسسها الناصر الأطروش في بلاد الديلم وطبرستان.

٤ — دولة بني بويه في بغداد أصلهم من الديلم الذين أسلموا وتزايدوا على يد الناصر الأطروشي وقد أسسوا دولة بني بويه بعد أن استولوا على الديلم وطبرستان ثم فارس والعراق وذلك فيما بين ٣٣٤ — ٤٤٧ ولم تظهر مبادئ الزيدية في هذه الدولة ولكن اشتهر خلالها الصاحب بن عباد وهو أبو القاسم أبو عباد بن العباس الطالقاني وله مؤلفات كثيرة طبع منها كتاب « نصرة الزيدية » ومما يجب الإشارة إليه والتنويه به أن الزيدية قد أخذوا في أول الأمر عن المعتزلة أصولهم الاعتقادية إلا أنهم تركوا أصلاً من أصول المعتزلة الخمسة وهو : المنزلة بين المنزلتين واستبدلوه بمذهب الإمامة . وذلك أن أئمة الزيدية اعتبروا فاعل الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر شرك . كذلك لم يبالغ الزيدية مبالغة المعتزلة في تقليل أفعال الله كما أنكروا فكرة الوجوب على الله وإن جعلها بعضهم الوجوب من الله ويقسم الشهرستاني والبغدادي الزيدية إلى ثلاث فرق هم :

١ — الجارودية . ٢ — السليمانية . ٣ — الصالحية أو البترية . وهم على مذهب واحد ويقسمهم الأشعري إلى ست فرق : الفرق الثلاث السابقة والرابعة هي النعيمية والخامسة لا يسميها والسادسة هي اليعقوبية .

وكان للزيدية أئمة كثيرون من بني الحسن والحسين رضي الله عنهما لأنهم قالوا بإمامة كل من خرج بالسيف داعياً لإمامته من الفاطميين فاضلاً كان أو مفضولاً . ولكن « أكثرهم قد عدل بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وهؤلاء هم الجارودية الذين يقولون بالنص على علي ولكن بالوصف ، فقول ابن خلدون عن جميع الزيدية : « بأنهم ساقوا الإمامة على مذهبهم وأنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص يعتبر من وجهة نظر الزيدية بعيداً عن الواقع : كما أن للزيدية إضافات جوهرية حول هذه المعتقدات جعلتهم أقرب ما يكونوا لأهل السنة .

وعلى كل حال فإن الزيدية « قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة كما سبق القول داعياً إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة ابنه

يحي من بعده ، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط فخرج بالحجاز فقتل وعهد إلى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد ، فوجه إليهم المنصور عساكره فقتل ابراهيم وعيسى ، وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله ، وهي معدودة في كراماته عند مؤرخي المقالات .

وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الإمام بعد يحي هو أخوه عيسى ، ونقلوا الإمامة في عقبه ، وقال آخرون منهم أن الإمام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس واختط مدينة فاس وكان عقبه ملوك المغرب ، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وأخوه محمد ، ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأطروش منهم واسلموا على يده .

فرق الزيدية :

وأما فرق الزيدية فقد اختلف حولها كتاب المقالات كما سبق الإشارة إلى ذلك لكن الأرجح أنها ست فرق منها :

« الجارودية » أصحاب أبي الجارود واسمه زياد بن المنذر الهمداني الكوفي وكان أعمى ومن أصحاب الباقر وممن يروي عن الصادق ولكنه تغير وقال : بإمامة زيد ليتزعم فئة الزيدية ويسمى رئيساً دينيا متبع القول ، ومنه أخذ الجارودية القول « بأن النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف ، والإمام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف . واختلف الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى أبنه زيد ثم إلى علي بن الحسين ثم إلى زين العابدين ثم إلى ابنه زيد ثم إلى محمد بن عبد الله الحسني هذا ويرى بعض كتاب المقالات من القدامى والمحدثين أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه بايع محمد بن عبد الله الحسن وكان من جملة شيعته حتى رفع أمره إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس (سنة ١٥٠ هـ عن سبعين سنة من العمر) .

وقيل أنه إنما بايع محمداً الإمام في أيام المنصور، ولما قتل محمد بقي أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت فرفع حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم.

الفرقة الثانية، «السليمانية»: أصحاب سليمان بن جرير «كان يقول إن الإمامة شورى. وصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل.

الثالثة، «الصالحية»: أصحاب الحسن بن صالح بن حي الكوفي الهمداني.

الرابعة «البترية» أصحاب كثير النوا الأبتر «والصالحية والبترية» على مذهب واحد، وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في عثمان، وأما علي فقالوا هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولاهم بالإمامة ولكنه سلم الأمر طائعاً وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضي. وهم الذين جوزوا إمامة المفضول وتأخير الأفضل إذا كان راضياً بذلك، وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام، وشرط بعضهم صباحة الوجه. ولهم خبط عظيم في إمامين وجد فيهما هذه الشرائط، وقالوا لو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره.

الخامسة «النعيمية»: أصحاب نعيم بن اليمان.

والسادسة «اليعقوبية» أصحاب يعقوب بن داود وهاتان أقل الزيدية عدداً. فالزيدية يمكن أن يقال إنهم يوافقون أهل السنة في موضوع «الإمامة» في كثير من الأمور ومن ثم يخالفون الإمامية الأثني عشرية في معظم الأمور وهم في الجملة ليسوا إمامية على الاطلاق وبالأخص فرقة «السليمانية» ومعهم كذلك الصالحية والبترية. الذين جعلوا الإمامة شورى باختيار الناس وجوزوا تقديم المفضول إلا أنهم يخالفونهم في بعض الشروط. فالزيدية اشترطوا في الإمام أن يكون فاطمياً، وان يخرج بالسيف داعياً لإمامته، وجمهور السنة يجوزون أن يكون الإمام غير فاطمي وغير قرشي أيضاً، وغير خارج بالسيف بل وغير زاهد.

ويلزم الزيدية أن لا يكون علي بن الحسين إماماً لهم في أيامه كلها، لأنه لم يخرج

بالسيف ولا تعرض للخروج ويلزم أيضاً أن لا يكون ما نقله الشهرستاني وابن خلدون عنهم من القول بإمامة زين العابدين — قريباً من الصواب. وعلى أي حال فالزيدية من طوائف الذين ثبتوا على ولاء البيت العلوي والتمسك بهم وعدم الغلو فيهم فهم ليسو كالشيعة الأثني عشرية من وجوه كثيرة.

من أهمها اعتقاد الزيدية بوجوب الخروج بالسيف الذي هو شرط أساسي لإمامهم بينما الإمامية كما عرضنا لأهم عقائدهم يرون التقية وسيلة من وسائل أهدافهم لتحقيق مهام الإمام عندهم والزيدية إعمالاً لقاعدة الخروج قد خرجوا كثيراً يجاهدون مع أئمتهم في أيام شيخوخة الدولة الأموية وفورة شبابها، في بدء الدولة العباسية، فقتلوا وشردوا، وحبسوا في الحجاز والعراق وخراسان على عكس الإمامية الذين رأوا في ذلك الوقت العصيب أن يعملوا بالتقية لتحفظ دماؤهم وأعراضهم وأموالهم. فارتاحوا بهذا الخداع التنظيمي من مواجهة أعدائهم غير أنه تسنى للإمامية في تلك الفترات دراسة جميع العلوم وأخذها عن إمامهم الصادق الذي نسبوا إليه وادعوا عليه كثيراً من مآثم عقائدهم، وخصوصاً في أيام السفاح العباسي الذي كان ملتهياً بتمكين أسس الدولة وتشييد بنائها. وفي جل أيام المنصور أيضاً. ويستطرد بعض الباحثين في الثناء على هذا النهج الإمامي فيقول ولم يختص الشيعة بالأخذ عن إمامهم الصادق بل نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأكابر كيحي بن سعيد، وابن جريج، ومالك ،والسفيانيين، وأبي حنيفة وشعبة، وأيوب السختياني، وأم فروة، وكان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدق في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والرجز وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد منه المتمون إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، وروى المفيد الشيعي أن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على أختلافهم في الآراء فكانوا أربعة آلاف رجل.

المبحث السادس.

فرق ذات نزعة عالية.
الكيسانية والتشيع.
تعريف الكيسانية.
أهم عقائد الكيسانية.
الرأي في الكيسانية.

فرقة الكربية.
عقائد الكربية.
الهاشمية.
الهاشمية وافرازاتها العقدية.

فرقة البيانية.
فرقة الحربية.
السليمانية أو الجريرية.
الجارودية.
الصالحية والبترية.

قول الغلاة في الإمامة والوصية.
القول بجواز البداء على الله.
الغلاة الحسنيون.
فرقة المنصورية.

فرق ذات نزعة غالية.

الباحث في التيارات الفكرية الإلحادية الغالية التي شهدتها الأمصار الإسلامية إبان ذروة المد الشعوبي ووثوب الفكر اليهودي بمدارسه الباطنية وصوره الألحادية تجابهه من الألوان والأشكال ما يحار معه المرء. وذلك أن العدد الذي غذته الشعوبية والعدد الذي ولدته التحريفات والتأويلات الفكرية يجعل الساحة الإسلامية ولو في الجانب السياسي منها ممزقة مشتتة لا تحكمها وحدة فكر أو تسيطر عليها عقيدة بعد أن كان التوحيد الإطار الذي جمع ووحد كيان العرب والعجم في ظل أمة مسلمة فترة لا بأس بها كما يجعل شعوبها وحكامها في شغل عن توجيه هذه الأمة نحو رسالتها التي أنيطت بها وهي إقامة حكم الله في الأرض.

والعجيب المحير أن المذاهب الكبرى التي انبثق منها أو خرج عليها بعض الأفكار والتيارات وأصبحت تشكل تناقضاً مذهبياً في جملة المقولات التي تقول بها أصحابها أو تتباين مع الأصل الذي خرجت منه يجيء على مسار التاريخ الطويل من يقوم متبرئاً منها ناظراً إليها بعين السخط أو الحرج في الوقت الذي قد ترى من أتباع ذلك المذهب من يعتبر تلك الأمتدادات الفكرية مفخرة مذهبية تحمل صحة وبرهان استبسال أتباعه وتمددهم مع الزمن ومن المدارس الغالية في التاريخ الإسلامي وأصحاب العقائد الفاسدة قائمة طويلة ملأت صفحات تاريخ كثير من الأمصار الإسلامية، شغلت عقل الأمة وقلبها عن أن تقود تطوراً في واقع الأمة الإسلامية الذي غلبه الإستبداد السياسي والقهر الإجتماعي بسبب غياب فكر راشد ونظرية عمل صحيحة معظم أطوار التاريخ الإسلامي منذ انحسرت عمليات الفتح الإسلامي وسقطت غالبية الديار الإسلامية تحت سطوة حكام يحاربون كل

تصحيح ، ويفسدون كل سوي ويكرهون حرية شعوبهم حتى لا تطؤهم أقدام هذه الشعوب ذات يوم . ومن هنا وهذا هو المحير حقاً رأينا بعض الأمراء يشجعون مظاهر الفساد والإلحاد فشاعت وانتشرت ظواهر الغلو والإنحراف . وفي الوقت الذي يمن الله سبحانه وتعالى على عباده بعالم أو مصلح أو مخلص يقدم لأمته العون والنصح والهداية وكانت قلوب بعض الولاة تستجيب لدعوة الحق كان جنود الباطل والفساد يجتمعون ويحاصرون الحق ويضربونه ومن هنا امتلأت صحائف التاريخ بذلك التناقض العجيب الذي تقول به الفرق الغالية ولكثرتها كثرة فاحشة فإنا نأتي على أهم أو أخطر ما رأيناه منها كنوع من الدرس والتدبر في نطاق دراستنا للشيعة ومدارسهم ، وإن كانت هذه المدارس الغالية والتي يقول كتاب المقالات ورجال التراجم إن نشأتها كانت في بيئة الشيعة وبتأثير فكرها لكننا نجد من يقول من مفكّري الشيعة وأئمتهم المجتهدين أن هذه المدارس قد خرجت عن الخط الشيعي وأصبحت لا تمثل الشيعة في طور من الأطوار . ومن هذه المدارس الغالية .

المغيرية : أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي كان مولى لخالد بن عبد الله القسري ، وادعى الإمامة لنفسه . وبعد ذلك أدعى النبوة ، وغلا في حق على غلوا قبيحاً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، ولما قتل المغيرة سنة (١١٩ هـ) اختلف أصحابه . فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار محمد بن عبد الله الخارج بالمدينة وزعم أنه حي لم يمت ويتوسع في بعض معتقدات هذه الفرقة الشهرستاني فيقول : إنه المغيرة بن سعيد العجلي قال إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب ينبع منه الحكمة وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً قال : وذلك قوله ﴿ **سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى** ﴾ [1] ، ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي ففرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب نير فاطلع

---

(١) سورة الأعلى الآيتان ١ ــ ٢

في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله ، فخلق منها الشمس والقمر ، وأفنى باقي ظله وقال لا ينبغي أن يكون معي إله ، قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنين من البحر المنير والكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس ، وأول ما خلق هو ظل محمد وعلي قبل ظلال الكل ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهي أن يمنعن علي بن أبي طالب من الإمامة ، فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل معه من ذلك ، وضمن أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه وأقدما على المنع متظاهرين ، فذلك قوله ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[1] وزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾[2] . ولما إن قتل المغيرة اختلف أصحابه ، فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد ، كما كان يقول هو بانتظاره . وقد قال المغيرة لأصحابه ، انتظروه كأنه يرجع .

المنصورية : أصحاب أبي منصور العجلي . عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد الباقر ، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ، ودعا الناس إلى نفسه ، ولما توفى الباقر قال انتقلت إليه الإمامة وتظاهر بذلك وزعم العجلي أنه هو الكسف الساقط من السماء ، وزعم أنه عرج إليها ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له — يا بني إنزل فبلغ عني .

وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته . والنار رجل أمرنا بمعاداته واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية[3] .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢

(٢) سورة الحشر آية ١٦

(٣) الشهرستاني «الملل والنحل» جـ ١ / ١٠٣
المقريزي في «الخطط» جـ ٤ / ١٧٦ .

الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي ، عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق . فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه ، وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه الصادق أدعى الأمر لنفسه . وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة . وقال بإلهية جعفر بن محمد وآبائه وأن الإلهية نور في النبوة ، والنبوة نور في الإمامة ولا يخلو العالم من هذه الأنوار... وقتل بسبخة الكوفة ، ولما قتل افترقت أصحابه . فزعمت طائفة — أن الإمام بعده (بزيغ) كان يزعم أن في أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل . وتسمى هذه الفرقة (البزيغية) . وقالت فرقة إن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال إنه معمر دانوا به وزعموا أن الدنيا لا تفنى واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ، وتسمى هذه معمرية . وأخرى زعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير بن بنان العجلي ، وقالوا كما قالت الثانية إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون... وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق ، فرفع أمرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأخذ عميراً فصلبه بالكناسة . وتسمى هذه الطائفة العجلية وقد تبرأ من هؤلاء كلهم جعفر الصادق ولعنهم : هذا وقد زعم أصحاب أبي الخطاب أن جعفراً هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً فزعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب وزعموا أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة معمرية . وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب بزيغ وكان يزعم أن جعفراً هو الإله أي ظهر الإله بصورته للخلق وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه وتأول قول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ ﴾[1] أي بوحي من الله

(١) سورة آل عمران آية ١٤٥

إليه وكذلك قوله ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[1] وزعم أن في أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وزعم أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات لكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل رفع إلى الملكوت وادعوا كلهم معية أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشياً وتسمى هذه الطائفة البزيغية وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب عمير بن بنان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الأولى إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجلية. وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب مفضل الحيزني وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم فإن القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائهون.

(١) سورة النحل آية ٦٨

الكيسانية والتشيع

تعريف الكيسانية :

الكيانية فرقة عقدية من فرق الشيعة الغلاة وهي من أوسع الفرق إنتشاراً — وأكثرها عدداً بعد الإمامية ورائد ومؤسس هذه الجماعة «المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عون بن عفرة من عوف بن ثقيف. هكذا عرف به ابن كثير في البداية والنهاية (جـ ٨ / ٢٨٩) كما ورد عنه شيءٌ من النقد عند الذهبي رحمه الله في سير (أعلام النبلاء) جـ ٣ / ٥٣٨ وترجم له كذلك (صاحب الأعلام) الزركلي في جـ ٧ / ٢ وقال هو : المختار بن عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق من زعماء الثائرين على بني أمية وأحد الشجعان الأفذاذ من أهل الطائف ثم انتقل إلى المدينة مع أبيه زمن عمر وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد هناك يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم ، ثم كان مع علي بالعراق وسكن البصرة بعد علي. ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ وقام عبد الله في المدينة بطلب الخلافة ذهب إليه المختار وعاهده وشهد معه بداية حرب الحصين ابن نمير ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته فوثق به وأرسله ووصى عليه ، غير أن أكبر همه منذ دخل الكوفة كان أن يقتل من قاتلوا (الحسين) وقتلوه فدعا إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وقال إنه استخلفه زهاء سبعة عشر ألف رجل سراً ، استولي على الكوفة والموصل وعظم شأنه وتتبع قتلة الحسين فقتلهم وشاعت في الناس أخبار عنه بأنه أدعى النبوة ونزول الوحي عليه وأنه كان يوقف له ذهب وقد عمل مصعب بن الزبير وهو أمير على كسر شركة المختار فقاتله ونشبت وقائع انتهت بحصر المختار في قصر

الكوفة ، وقتله ومن كان معه . وهنا نجد أنفسنا أمام ضرورة الوقوف على دوافع المختار فيما قام به أو ما أدعاه مما نسب إليه . هل كان المختار تحركه عواطف صادقة نحو أهل البيت أم أنه كان يطلب الزعامة والدنيا . والواقع أن الأخبار المنقولة عنه اختلفت بشأنه كثيراً . فبعض هذه الأخبار يدل على تشيعه لعلي بن الحسن وبعض آخر يدل على دعوته لمحمد بن الحنفية المتوفي عام ٨١ هـ . وأنه ابتدع عقائد فاسدة تبرأ منه محمد لأجلها ولعنه ، ومع ذلك فما يسعنا وبعض الإخبارين يكبر اقتصاصه من قاتلي الحسين لأن ذلك القصاص بزعمهم يرضي الله سبحانه ورسوله والمؤمنين ولا يضر أولئك أن كانت نيته خالصة في ذلك لله تعالى ، أم كانت لنيل الرئاسة كما يقال . وقد اتبعه فئة من الناس تطورت بعده عقائدهم تطوراً شائناً جعل بعض علماء الشيعة يخرجونهم من التشيع واطلق عليهم اسم (الكيسانية) نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفية وقيل لأن المختار كان لقبه (كيساناً) ، وقيل إنما سموا بذلك لأن رئيس شرطة المختار كان أسمه (كيساناً) وكان يعرف أيضاً (بأبي عمرة) وكان جباراً مغرماً بتخريب الدور يهدم الدار بلحظة ، وكان عند الناس رمز الأفقار فيقولون لمن افتقر — قد جاوره (أبو عمرة) — وعلى كل فقد ظهر مذهب الكيسانية على الأرجح — بعد شهادة الحسين السبط بست سنين وقولهم بإمامة محمد بن الحنفية كان في ذلك الوقت أيضاً لا بعد وفاة علي بلا فصل كما يظهر من قول الشهرستاني ومن قال إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام ، فمنهم من قال إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية وقد خالفه ابن خلدون فقال : ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين ، على اختلافهم في ذلك ، إلى أخيهما محمد بن الحنفية ثم إلى ولده أبي هاشم وهم الكيسانية ويقول الشهرستاني (واختلف بعد أبي هاشم شيعة خمس فرق ومنها فرقة قالت إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وأن الإمامة خرجت من بني هاشم إلى عبد الله . هذا وتحولت روح أبي هاشم إليه ، والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة ، فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه ، فأعرضوا عنه وقالوا بإمامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب . ولما هلك عبدالله بخراسان افترقت أصحابه ، فمنهم من قال أنه حي بعد لم

يمت ، ومنهم من قال مات وتحولت روحه إلى إسحاق بن زيد بن الحارث الأنصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيشة من لا تكليف عليه ويقول ابن خلدون (إن فرقة من الكيسانية زعمت أن أبا هاشم لما مات أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه ابراهيم وانتقلت في ولده واحداً بعد واحد إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباسي. وكان منهم أبو مسلم الخراساني وسليمان بن كثير وأبو سلمة وغيرهم من شيعة بني العباس) فأنت ترى الكيسانية قد خالفوا الشيعة في أصول الإمامة ، لأنهم أخرجوها من بني علي إلى بني العباس ، وإلى ابن الكندي ، وابن الحرث كما خالفوهم بتلك المقالات المنافية للتشيع كالقول بإباحة المحرمات التي قال بها الحارثية من الكيسانية ، وكالقول بالتناسخ وتحول الارواح من شخص إلى آخر ، وقد أنصف ابن خلدون حيث جعل الكيسانية القائمين بدولة بني العباس لا من الشيعة العلوية القائلين بإمامة زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ، ذاك الإمام الذي لم يعترف الكيسانية بإمامته (وهو الذي خلف أباه علماً وزهادة وعبادة) (وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر ، وقال الزهري عنه ما رأيت قريشياً أفضل منه)

(توفي زين العابدين وعمره سبع وخمسون سنة ، وقيل اسمه الوليد بن عبد الملك عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث ، وإرثه منهم عبادة وعلماً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر ، سمي كذلك من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ، ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة ، أو فاسد الطوية والسريرة ومن ثم قيل فيه هو : (باقر العلم وجامعه) ، وشاهر علمه ورافعه . صفا قلبه ، وزكا علمه ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، عمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تقل عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات مأثورة في السلوك والمعارف . وروى أبن قتيبة (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر بن عبد الله : يا جابر إنك ستعمر بعدي حتى يولد لي مولود اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً ، فإذا لقيته فاقرئه مني السلام . ويبقى أمامنا السؤال الذي يدور حول من هم الكيسانية ؟ وأهم عقائدهم باعتبارهم عند معظم

المؤرخين إفرازة من إفرازات الغلو الشيعي : في الواقع أن الكيسانية مجموعة من الغلاة في (محمد بن الحنفية) وهم يشكلون مجموعة من الفرق يجمعهم القول بإمامة محمد بن الحنفية وإن ضموا بين صفوفهم من دعا فترة من الزمن إلى إمامة : محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أو إلى إمامة عبد بن معاوية بن جعفر إلا أنه جمعهم جميعاً القول بإمامة محمد بن الحنفية. وهذه الفرق الغالية «الكيسانية» قد ذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ١ / ٩١ — ٩٧ من الفرق المنضوية تحت لوائها عدداً من الفرق يصل إلى اثنتي عشرة فرقة جاءت على النحو التالي :

١ — فرقة تزعم أن علي بن أبي طالب نص على إمامة ابنه محمد بن الحنفية لأنه دفع إليه الراية بالبصرة.

٢ — فرقة تزعم أن علي بن أبي طالب نص على إمامة ابنه الحسن، وأن الحسين بن علي نص على إمامية أخيه محمد بن الحنفية.

٣ — فرقة تزعم أن محمد بن الحنفية حي بجبال رضوى أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه وزعموا أن السبب الذي من أجله صبر على هذه الحالة أن يكون مغيباً عن الخلق. إن الله تعالى فيه تدبيراً لا يعلمه غيره وأصحاب هذا القول أتباع (أبي كرب الضرير) ويقال لهم (الكربية).

٤ — فرقة تزعم أن (محمد بن الحنفية) إنما جعل بجبال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك ابن مروان وبيعته إياه.

٥ — فرقة تزعم أن محمد بن الحنفية مات وأن الإمام بعده ابنه (أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية)

٦ — فرقة تزعم أن الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ابن أخيه الحسن بن محمد بن الحنفية وأن أبا هاشم أوصى إليه، ثم أوصى الحسن إلى ابنه (علي بن الحسن) وهلك علي ولم يغضب فهم ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية ويقولون : إنه يرجع ويملك فهم اليوم في التيه لا إمام لهم إلى أن يرجع إليهم محمد ابن الحنفية في زعمهم.

٧ ــ فرقة تزعم أن الإمام بعد أبي هاشم (محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) وذلك لاعتقادهم بأن أبا هاشم مات بأرض بين دمشق والمدينة كانت تسمى أرض الشراة فيما رواه ياقوت في معجم البلدان ٥ / ٢٤٧ وقد أوصى عند الموت بإمامة (محمد بن علي بن عبد الله بن العباس). وأوصى محمد بن علي إلى ابنه ابراهيم بن محمد. ثم أوصى ابراهيم بن محمد إلى أبي العباس. ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض.

٨ ــ وفرقة رجعت عن القول بإمامة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بعد موت أبي الهاشم وزعموا أن النبي ﷺ نص على (العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً) ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور وهؤلاء يسمون (الراوندية).

٩ ــ فرقة تدعى (الرزامية) أصحاب رجل يقال له (رزام) اعتقدت أن أبا مسلم قتل وقالت جماعة منهم صحبوا رجلاً يقال له (أبو مسليمة) أن أبا مسلم حي لم يمت.

١٠ ــ فرقة تسمى (الحربية) أتباع رجل اسمه (عبد الله بن عمرو بن حرب) يزعمون أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نصب (عبد الله بن عمرو بن حرب إماماً) وتحولت روح أبي هاشم فيه وقد وقفوا على كذب عبد الله بن عمرو بن حرب فصاروا إلى المدينة يلتمسون إماماً فلقوا (عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) فدعاهم إلى أن يأتموا به فاستجابوا له ودانوا بإمامته وادعوا له الوصية وافترقوا في أمر عبد الله بن معاوية هذا على ثلاث فرق. فرقة زعمت أنه مات. وزعمت فرقة منهم إنه بجبال أصفهان وأنه لم يمت ولا يموت حتى يقود بنواصي الجبال إلى رجل من بني هاشم وزعمت فرقة أخرى أنه حي بجبال أصفهان لم يمت ولا يموت حتى يلي أمور الناس وهو المهدي الذي بشر به النبي ﷺ. [بزعمهم]

١١ — فرقة تسمى (البيانية) وهم أصحاب (بيان بن سمعان التميمي الذين يزعمون أن أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمي) وأنه لم يكن له أن يوصي بها إلى عقبه.

١٢ — فرقة تزعم أن الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية علي بن الحسين بن أبي طالب وما يجب أن ننبه إليه هو أن الأراء تعددت حول الشخصية التاريخية التي أسست الأفكار الكيسانية فرأى يرويه أبو الحسن الأشعري في (المقالات جـ ١ / ٢٧ وابن قتيبة. أن (كيسان) هو المختار ابن أبي عبيد الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال إنه مولى لعلي بن أبي طالب ولكن الشهرستاني في الملل والنحل جـ ١ / ١٤٧ فرق بين شخصيتين المختار وكيسان فاعتبر كيسان مولى لأمير المؤمنين علي أو تلميذ لمحمد بن الحنفية. والمختار بن أبي عبيد الثقفي صاحباً لفرقة (المختارية) التي يعتبرها من الكيسانية كما أن الشهرستاني صور المختار على أنه تلميذ لكيسان وهو أمر مهم يستحق النظر خاصة إذا علمنا أنه رأى الفخر الرازي في (أعتقادات فرق المسلمين والمشتركين ص ٦٢ من الطبعة المصرية ويترتب على ذلك الرأي اعتقاد أن (كيسان) شخص آخر غير المختار وقد كني الدينوري (كيسان) بأبي عمرة وذكر أنه صاحب شرطة المختار ونسبه إلى الأعاجم والذي يبدو أقرب إلى التصور (هو أن كيسان شخص باطني من مدرسة عبد الله بن سبأ عمل تحت إشراف المختار على دفع المعتقدات الشيعية إلى الإمام في ثوب جديد وتحت تسمية جديدة لعل الأفكار السبئية تجد لها مجالاً أرحب وأوسع مما كانت فيه والدليل على ذلك هو امتلاءالمقولات الكيسانية بعقائد سبئية فماذا عند القوم من عقائد؟.

أهم عقائد الكيسانية :

تعتقد الكيسانية بإمامة محمد بن الحنفية وإن اختلف بعضهم حول بعض التفاصيل المتعلقة بالنسب من حيث التقديم والتأخير يروي النوبختي عنهم في (فرق

الشيعة) ص ٤١ أن كيسان كان يكفر كل من تقدم علياً ويكفر أهل (صفين والجمل) وكان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتي المختار بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه. ويقول عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ٢٧ (إن مما اجتمعت عليه الكيسانية قولهم: بجواز البداء على الله سبحانه وجواز البداء على الله تعالى عقيدة مشتركة بين فرق الشيعة جميعاً وخاصة الإمامية.

ويقول الشهرستاني عن الكيسانية في الملل والنحل جـ ١ / ١٤٧ (الكيسانية) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وقيل تتلمذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه ويعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده ودرجته من إحاطة بالعلوم كلها واقتباسها من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس وبجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال.

ويقول النوبختي في كتابه (فرق الشيعة) ص ٤٤ إن نفراً من (الكيسانية) أيام محمد بن الحنفية كانوا يقولون عنه هو الإمام المهدي وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سبقه إلَّا بإذنه هذا زمن عقائد طائفة (الكربية) الكيسانية التي تنسب إلى أبي كرب الضرير اعتقادهم أن محمد بن الحنفية حي في جبال رضوى أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه وهذه العقيدة عقيدة نفي موت ابن الحنفية متأثرة كثيراً بما قالته (السبئية) عن نفى موت علي بن أبي طالب ويبدو أن عقيدة الكربية في القول بنفس موت ابن الحنفية شاعت عند كتاب المقالات فالنوبختي ذكر هذه العقيدة وإن لم ينسبها إلى الكربية ولكنه نسبها لطائفة كيسانية أخرى قال إنها تقول: إن محمد ابن الحنفية لم يمت وأنه يقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تغذوه الأرام تغدو عليه وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها وعن يمينه أسد وعن يساره يحفظانه إلى أوان خروجه ومجيئه وقيامه، وقال بعضهم عن يمينه أسد وعن يساره نمر وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطا، وظلوا على ذلك حتى

انقرضوا إلا قليلاً من أبنائهم وهم إحدى فرق الكيسانية وإلى هنا وعقائد الكربية الكيسانية في إنكار موت الإمام والقول بغيبته في جبل رضوى ما هي إلا اجتراراً لعقائد السبئية في قولهم في علي أنه في السحاب والرجعة الكربية هي الرجعة السبيئة لملء الأرض عدلاً. كما ملئت ظلماً. إلا أن الملفت للنظر في عقائد الكربية الكيسانية، ما ربطه النوبختي الإمامي بين القول بالرجعة والقول بقيام القيامة. فهو يقول في كتاب (فرق الشيعة) ص ٤٦ فأصحاب (ابن كرب وأصحاب صائد) وأصحاب (بيان) .. يزعمون أن محمد بن الحنفية يظهر بنفسه بعد الاستتار عن خلقه ينزل إلى الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم. وإذا صح قول النوبختي فمعنى هذا أن الكربية الكيسانية يكونون قد طوروا العقيدة السبيئة في القول بالرجعة على نحو يجعلهم ينكرون القيامة، بوجهها الإسلامي. وإذا ما تذكرنا مزاعم ابن سبأ في رجعة علي وهدمه دمشق حجر حجراً، ونزوله للأنتقام من أعدائه وكشف الأسرار لهم وتعريفه لهم أنه ربهم فإننا نجد أن ذلك كله إرهاصات لظهور رأي الكربية بقيام القيامة على يد ابن الحنفية. هذا ومن عقائد الكيسانية: سب الخلفاء الراشدين الثلاثة وقد كتب بعض الشعراء الكيسانيين قصائد في ذلك منها قصيدة السيد الحميري المتوفي ١٧٣٠ هـ الدالية التي يقول فيها لعلي بن أبي طالب.

أشاقتك المنازل بعد هند وتريبها وذات الدل دعد.

(الأغاني جـ ٣ / ٨٢٧)

ويبدو أن (الكيسانية) في بعض أطوارها التاريخية كباب من أبواب الغلو دخلها عدد من الغلاة وجدوا فيها حاجتهم وأشبعوا أهواءهم فقد كان من بين دعاة (الكربية الكيسانية) رجل يدعى حمزة بن عمارة البربري الذي يقول عنه كتاب الشيعة: (وكان حمزة بن عمارة البربري منهم) وكان من أهل المدينة فقام فيهم وادعى أنه نبي وأن محمد بن الحنفية هو الله عزّ وجل [تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً] وأن حمزة هو الإمام وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعنه أبو جعفر

محمد بن علي بن الحسين عليه السلام. وبرئ منه وكذبه وبرئت منه الشيعة فاتبعه على رأيه رجلان من نهد يقال لأحدهما (صائد) وللآخر (بيان) وكان حمزة ابن عمارة نكح ابنته وأهل جميع المحارم وقال من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه ويبدو أن حمزة بن عمارة البربري (الكربي المذهب) لم يكن حوله من الأتباع ما يكفي لشيوع دعوته وانتشارها بحيث سكت عنه معظم كتاب المقالات الذين هم من معسكر أهل السنة بينما روت أخباره كتب الشيعة. والأغلب الراجح أن زمن حمزة بن عمارة هذا كان وقت محمد بن علي بن الحسن الباقر عام ١١٤ هـ. فقد ذكر (الكشي) في (معرفة أخبار الرجال) ص ١٩٦ أن محمد بن الحسين الباقر لعن حمزة ابن عمارة البربري كما أن جعفر الصادق عام ١٤٨ هـ لعنه بكذبه. وعده من الذين تنزل عليهم الشياطين وهم: المغيرة بن سعد وبنان وصائد النهدي والحارث الشامي وعبد الله بن الحارث وحمزة بن عمارة وأبو الخطاب وبعد أن ترك حمزة بن عمارة الفرقة الكربية قال بعقائد كثيرة منها ادعاؤه النبوة والإمامة وادعاؤه ربوبية ابن الحنفية وانتظار سبعة أسباب تنزل عليه من السماء ليملك الأرض ويحل المحارم ونكاح البنات فبدأ بابنته لقوله من عرف الإمام فلا إثم عليه.

هذا ويمكن تلخيص أهم عقائد الكيسانية في الآتي:

١ — اعتقادهم أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم — ضلوا بتركهم الاقتداء في موضوع (الإمامة) بعد وفاة النبي ﷺ.

٢ — كما يعتقدون أن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام أن يقول في حالة التقية إنه ليس بإمام.

٣ — لا يقولون بالإجتهاد في الأحكام بحكم أن الإمام عندهم الذي هو أفضل الناس يملك حق التشريع.

٤ — تعتقد الكيسانية ما عدا جناح (الكاملية) منهم بأن علياً كان مصيباً في جميع أحواله لم يخطئ في شيء من أمور الدين ولا الدنيا ومن ثم كفروا جميع الناس بترك الأقتداء بعلي وإن كان الكاملية قد كفروه هو الآخر بتركه الطلب.

٥ ـــ تعتقد الكيسانية وخاصة في شكل (الهاشمية) التي قالت بالاستيداع في الإمامة بمعنى أن أبا هاشم استودع الإمامة التي هي من حق محمد بن الحنفية حتى يرجع من غيبته بالتأويل الباطني المبني على أن لكل ظاهر باطناً كما تعتقد أن الإمام هو مصدر العلم وأن من لم يعرف إمامه لم يعرف الله.

٦ ـــ يعتقد الكيسانيون في الشكل (البياني) أتباع بيان بن سمعان الذي عبر بمعتقداته من الكربية إلى الحمزية إلى الهاشمية أن ينشئ فرقة في الغلو نقلت فكرة الوصاية في العقائد إلى القول بالحلول والتناسخ بين روح أبي هاشم وبيان. وكما هو واضح فإن الأسلوب (البياني) في معتقدات الكيسانية قد طور الفكرة السبئية القائلة بحلول الجزء الإلهي في علي بن أبي طالب وفيما رواه البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٤١ والشهرستاني في جـ ١ / ١٥٢ فإن المزاعم (البيانية) تدور على أن: روح الإله (تعالى الله) دارت في الأنبياء حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلّت بعده في بيان بن سمعان الذي فسر قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلَائِكَةُ ﴾[1] أن المراد هو علي الذي يأتي من الغمام ـــ والرعد صوته والبرق تبسمه ـــ الشهرستاني ١٥٢ وقد ادعى (بيان بن سمعان) النبوة واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]. فقال إنه هو البيان والموعظة والهدى. كما ادعى معرفة الإسم الأعظم الذي يستطيع أن يدعو به (الزهرة).

هذا ويمكن تلخيص عقائد البيانية في الآتي:

التأويل الباطني: تجسيد الله وتشبيهه بالمخلوقين: انتقال جزء لاهوتي حلَّ في بعض البشر عن طريق التناسخ القول بعقيدة قائم القيامة التي يشترك فيها مع صائد

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٨

(٣) أبو الحسن الأشعري «مقالات الإسلاميين» جـ / ١ / ٨٩.

النهدي والقول بمهدية ورجعة ابن الحنفية عقيدة مشتركة عند جميع الفرق التي انبثقت من الكيسانية كما أن التأويل الباطني الذي هو من أخص عقائد الباطنيين قالت به الكيسانية وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي واضحة فيما أشرنا إليه من عقائد (البيانية) الذين أخذوا القول بالحلول والتناسخ بين روح أبي هاشم وبين (بيان) كان ذلك حين رشحت على العقائد الكيسانية المعتقدات اليهودية بشكل واضح وخاصة مما هو مدون في كتب العهد القديم حيث يقول[1] بقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، لما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه وانخلع فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر قال لا أطلقك إن لم تباركني فقال ما اسمك فقال يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن أسمي وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي: وتجسيد الذات الإلهية في هذه النصوص من المعتقدات اليهودية لا يبرأ منها اليهود حتى وإن زعموا أن أشعيا في ٤٠ / ١٨ — ٢٥ وأرميا في ١٠ / ٦ جاء بغير ذلك: وتأثير ذلك المعتقد اليهودي في المعتقدات الكيسانية في غاية الوضوح.

الرأي في الكيسانية:

وخلاصة القول في كل ما مر ذكره عن الكيسانية، أنهم من الغلاة الذين تأثروا كثيراً بمقولات (السبئية) ويبدو من المسار التاريخي للغلاة أن «الكيسانية» خلافاً لرأي الشيعة ظهرت بعد مقتل «الحسين بن علي» قائلة بإمامة «محمد بن الحنفية» وإن كان «النوبختي» يرى أنها ظهرت أول ما ظهرت بعد مقتل علي، وهذا رأي أبي الحسن الأشعري وهو أيضاً رأى البغدادي بمعنى أن الكيسانية عند الرجلين فرقتين أحداهما قالت بإمامة «محمد بن الحنفية» بعد أبيه «علي بن أبي طالب» والثانية قالت بذلك بعد «الحسين بن علي» إلا أن ذلك القول صعب القبول لأن فرقة

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣٢ فقرات ٢٤ — ٣٠.

«الكيسانية» تبنت كثيراً من العقائد السبئية مما دعى فلهوزن[1] إلى اعتبارها فرقة واحدة، وإن كان فان فلوتن[2] فرق بين الكيسانية والسبئية لأن الكيسانية في رأيه لم يعتقدوا الجزء الألهي في البشر بعكس السبئية ولكن الشواهد والمقارنات تقوم على اعتبار «الكيسانية» فرقة مستقلة مع عدم انكار أنها امتداد للسبئية وذلك على ضوء مقولاتها التي تناولناها.

إن مؤسس الكيسانية: «كيسان» هو مؤسس هذه الفرقة ولكن الآراء تعددت في تعيين «كيسان» هذا، فقيل إن: أبا الحسن الأشعري وابن قتيبة يريان المختار بن أبي عبيد الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان وأنه كان مولى لعلي بن أبي طالب[3].

ولكن «الشهرستاني» فرق بين شخصيتي «المختار» و «كيسان»، فاعتبر «كيسان مولى لأمير المؤمنين «علي» أو تلميذاً «لمحمد بن الحنفية» و «المختار بن أبي عبيد الثقفي» صاحبا لفرقة «المختارية» التي يعتبرها من الكيسانية، وصور المختار علي أنه تلميذ لكيسان، وهذا أمر مهم يجب أن ننبه له، لأن ذلك يوضح أن «كيسان» شخص آخر يختلف عن «المختار»، وقد كنى «الدينوري كيسان» «بأبي عمرة» وذكر أنه صاحب شرطة «المختار» ونسبه إلى الأعاجم، وقد أيد «الأشعري القمي ذلك بل أضاف اسم كيسان وهو السائب بن مالك الأسعدي، ولكن النسخة المطبوعة من كتاب (المقالات والفرق) للأشعري القمي، تشير إلى ما قد يشك في هذه التسمية حين قال:

وكان أبو عمرة كيسان بن عمر يقول أن جبريل يأتي المختار بالوحي من عند الله.

وعلى ذلك فإن «السائب بن مالك الأسعدي» هو المحتمل أن يكون كيسان مع

---

(١) أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣.

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية.

(٣) مقالات الإسلاميين ١ / ٢٧، وانظر: ابن قتيبة (— ٢٧٦).

عدم استبعاد خطأ «الأشعري القمي» وقد أخطأ في التمييز بين بعض الشخصيات التي تناولها.

أما «المختار» فقد برأه «علي سامي النشار» مما نسب إليه من الغلو ورفعه إلى درجة عالية في التشيع السوي لأهل البيت، ولعله أتى بهذا الرأي من بعض روايات وردت في بعض كتب الشيعة الإمامية، وصب جام غضبه على الزبيريين والأمويين واعتبرهم المروجين لكل ما لحق بالمختار مما قاله فيه أهل الفرق والمقالات من القول بالغلو وخلافه. وأما الآراء الغالية التي نسبت من قبل إلى «المختار)، فقد شك «النشار» أن يكون «كيسان» صاحبها بل أن شكه قد يمتد إلى الفرقة الكيسانية وعقائدها وقد اغتنم هذا الرأي كامل مصطفى الشيبي وبرأ المختار من تهمة تاسيس الكيسانية. إلا أن ما ذهب إليه النشار والشيبي ينقصه الدليل والبرهان القوي وبالإمكان اعتبار «كيسان» المؤسس الفعلي لفرقة الكيسانية، وإن كيسان على ما يبدو كان شخصاً سبئياً عمل تحت إشراف «المختار» على تطوير الغلو السبئي إبان ثورة «المختار» للأخذ بثأر «الحسين» سنة ٦٦ هـ.

وعلى ذلك فإن الغلو — الذي بذر بذرته عبد الله بن سبأ اليهودي — وجد من يحفظه ويرعاه ويقوم على أمره. والخلاصة أن الكيسانية واحدة من مدارس الغلو التحريفي الذي اصطبغ بالأفكار اليهودية بحيث يستحيل أن يعتبر المذهب الكيساني واحداً من المذاهب الإسلامية المبتدعة. بل هو مذهب غير إسلامي.

فرقة الكربية:

الفرقة الكربية نسبها أصحاب المقالات إلى «ابن كرب»، أو «أبي كرب الضرير» كان من هذه الفرقة شخصيات عرفت أسماؤها مثل: «حمزة بن عمارة البربري» «وصائد النهدي» «وبيان بن سمعان النهدي»، كما كان من بينهم الشاعر كثير عزة وله في عقيدته هذه شعر وكذا الشاعر السيد الحميري، وهذا يدلنا على أن الأفكار الكيسانية عمّرت كثيراً، ويبدو من كثرة عقائد الفرق الغالية وتعاقبها الزمني

وتكررها ، يدل على ذلك كثرة الأخذ من جملة العقائد السبئية وخاصة في ثوبها « الكيساني » .

عقائد الكربية :

إن عقائد الكربية في جملتها كيسانية ، إلا أنهم ينفون موت « ابن الحنفية » كما نفت السبئية موت علي بن أبي طالب . إلا أن الكربية ومن قال بغيبة « ابن الحنفية » ، يزعمون أن « محمد بن الحنفية حي في جبال رضوى ، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه ، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه وزعموا أن السبب الذي من أجله صبر على هذه الحال أن يكون مغيباً عن الخلق — أن لله تعالى فيه تدبيراً لا يعلمه غيره ، ومن القائلين بهذا القول كثيِّر الشاعر وفي ذلك يقول :

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يتبعه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

ويلاحظ على النص الذي أورده أبو الحسن الأشعري خلوه من ذكر العسل والماء إلا فيما نسبه من الشعر إلى كثير ، كما أنه ذكر فرقة أخرى تقول بغيبة « ابن الحنفية » عقاباً من الله عليه .

إن النوبختي لم يذكر « جبل رضوى » مكاناً لأختفاء « ابن الحنفية » في عقيدة « الكربية » رغم تعرضه لعقيدتها ، ولكن نسبه إلى فرقة كيسانية أخرى لم يسمها ، وهي التي تقول :

إن محمد بن الحنفية حي لم يمت وأنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تغذوه الآرام تغدو عليه وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها وعن يمينه أسد وعن

يساره أسد يحفظانه إلى أوان خروجه وقيامه ، وقال بعضهم عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشّر به النبي ﷺ أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا إلا قليلاً من أبنائهم وهم إحدى فرق الكيسانية .

ومن الكيسانية السيد... الحميري الشاعر وهو الذي يقول :

ياشعب رضوى ما لمن بك لا يرى ... حتى متى تحمي وأنت قريب
يا ابن الوصي وياسمي محمد ... وكنيه نفسي عليك تذوب
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت ... منا النفوس بأنه سيئوب

ويقول فيه :

إلا حي المقيم بشعب رضوى ... وأهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا ... وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً ... مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمس يجانب شعب رضوى ... تراجعه الملائكة الكلاما

إن ابن حزم نسب مثل هذه المقالة إلى أصحاب المختار بن أبي عبيد الذي عدهم من الزيدية وهو أشد غرابة . والذي يهمنا هو وجود فرقة كيسانية أخرى تقول بمقالة «الكربية» في غيبة محمد بن الحنفية ونظراً لهذا الأتفاق ، فإن الرأي هو جواز اعتبارهما فرقة واحدة كما سبق بالنسبة لما قيل عن وجود فرقة تقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي مباشرة دون الحسنين ، وهو مخالف لما عرف عن المختارية التي كانت تقول بامامة ابن الحنفية بعد «الحسين» فكان اتفاق الفرقتين في القول بإمامة «ابن الحنفية» مبرراً لأعتبارهما فرقة واحدة .

إلى هنا لا نجد عند «الكربية» أي تطور للعقائد الغالية ، بل تكرار للعقائد السبئية فإن انكار وفاة الإمام والقول بغيبته في جبل رضوى ما هو إلا تهذيباً متواضعاً لقول السبئية في علي أنه في السحاب ، والرجعة هنا هي الرجعة هناك لملء الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

إلا أن هناك رأياً آخر للكربية ، وهو متعلق بالرجعة ، فقد ربطوه بقيام القيامة ، كما يستفاد من قول النوبختي الذي يقول :

« فأصحاب (ابن كرب) وأصحاب (صائد) وأصحاب (بيان) ... يزعمون أن محمد ابن الحنفية يظهر بنفسه بعد الأستتار عن خلقه ينزل إلى الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم »

كما أن هذا التطور يعتبر إنكاراً للقيامة على الوجه الإسلامي — أي بعد البعث من القبور — وهو موضوع تطور تطوّراً بعيداً لدى الفرق الباطنية. وإذا عدنا إلى آراء عبد الله بن سبأ في رجعة علي وهدمه دمشق حجراً حجراً ونزوله للانتقام من أعدائه وكشف الأسرار لهم وتعريفه لهم أنه ربهم ، فإننا نجد أن ذلك كله ارهاصات لظهور رأي « الكربية » بقيام القيامة على يد « ابن الحنفي » لا سيما إذا قارنا ذلك بأصوله اليهودية.

هناك عقائد أخرى قال بها الكربيون في فرقة « الكربية » تطورت العقائد الكربية على يديهم وأن الوقوف على ذلك يلقي أضواء على بعض الشخصيات التاريخية ويكشف عن جوانب من معتقداتها. ومنها هذه الشخصيات مثلاً :

كثير عزة :

إن علاقة « كثيِّر عزة » بالكربية تظهر في الأبيات التي قالها عن رجعة « ابن الحنفية » فهو يتفق معهم في ذلك ، كما يتفق معهم في القول بمهديته ، حيث يقول :

فمن المعروف أن كعب الأحبار كان يهودياً فأسلم ، فهل هذا البيت من الشعر يثبت وجود ارتباط بين « الكيسانية » والفكر اليهودي من جهة ؟. وإذا أضيف إلى ذلك الأبيات التي تحدث فيها « كثير » عن رجعة ابن الحنفية ، تلك التي تعرض فيها لذكر الأسباط الأربعة :

علي والـثلاثـة من بـنيـه هم الأسباط ليس بهم خفاء

وهل لذلك علاقة أخرى بالفكر اليهودي ، الذي نجد فيه الأسباط الأربعة

(لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين) يمثلون أساس المعتقد الكربي الكيساني الذي هو أصلا في اليهودية يمثل الجذر التاريخي لهذه المقولات الغالية. أعتقد أن تلك المشاهد تقوي الرأي الذي يرى وجود علاقة بين هذا النمط من الغلو والفكر اليهودي في بعض صوره.

إن «لكثير» عقائد أخرى غير القول بإمامة محمد بن الحنفية — بعد علي والحسنين — والقول بمهديته ورجعته، من ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أنه كان: «يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى: ﴿في أَيِّ صُورَةٍ ما شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1] ... نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار.

السيد الحميري:

كان السيد الحميري من أشهر الكيسانيين، إلا أنه قيل أنه صار إمامياً في آخر حياته وقال في ذلك قصيدة مطلعها:

تجعفرت باسم الله والله أكبر تجعفرت باسم الله فيمن تجعفر

ولكن الذي يظهر أن القصيدة منحولة له كما يقول المترجمون لسيرته. وكان السيد الحميري يقول بمقالة الكربية، وله في ذلك أشعار أشرنا إلى بعضها في ايجاز.

هذا وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمته للسيد الحميري كثيراً من أشعاره التي توضح جوانب من عقيدته الكيسانية، مما يلقي الضوء على ما ورد عن الكيسانية في كتب أصحاب المقالات، ومن ذلك.

— سب السلف ولا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي، من ذلك قوله:

شفيت من نعثل في نحت اثلته فاعمد هديت إلى نحت الغويين

---

(١) سورة الانفطار آية ٨

— أدعاؤه العلم الخاص — (السرى) — لعلي بن أبي طالب في قصيدته الدالية المشهورة :

أشاقتك المنازل بعد هند وتربيها وذات الدل دعد

وفيها يقول :

ألم يبلغك والأنباء تنمى مقال محمد فيما يؤدي
إلى ذي علمه الهادي علي وخولة خادم في البيت تردي

— قوله بالرجعة والتناسخ :

«جاء رجل إلى السيد فقال : بلغني أنك تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا ديني قال أفتعطني مهياراً بمائة دينار إلى الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً قال وأي شيء قال أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً.

حمزة بن عمارة البربري :

تعتبر المراجع الشيعية مصدراً لسيرة «حمزة بن عمارة البربري» ، لأن الذين تحدثوا عنه كانوا يعتمدون على تلك المراجع وخاصة «فريد لاندر» الذي كان مصدره «الكشي ، ولويس» عن «النوبختي» و «الأسترابادي» «وعلي سامي النشار» عن «النوبختي» ، وان كان رجع أيضاً إلى الأغاني ، الذي تحدث عن «عمارة بن حمزة» الذي يختلف عن شخص آخر يحمل نفس الإسم . وهو يختلف عن «حمزة بن عمارة البربري» إن كان من الممكن أن يكونا شخصاً واحداً مارس أكثر من اعتبار.

هذا ويتناول النوبختي حمزة بن عمارة حديثاً يمكن الأعتماد عليه حيث لا يختلف به كثيراً عمن تناولوا سيرة هذا الرجل يقول النوبختي : «وكان حمزة بن عمارة البربري ، منهم (يعني الكربي) وكان من أهل المدينة ففارقهم وادعى أنه نبي ، وأن

محمد بن الحنفية هو الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — وأن حمزة هو الإمام وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها ، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعنه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وبرئ منه وكذبه ، وبرئت منه الشيعة ، فاتبعه على رأيه رجلان من نهد يقال لأحدهما صائد وللآخر بيان.. وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحل جميع المحارم ، وقال من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا اثم عليه.

وفي ظل رواية النوبختي جاء : عبد الواحد الأنصاري في كتابه (مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام) ، وصب جام غضبه على كتاب المقالات من أهل السنة وخاصة الشهرستاني لإهماله ذكر حمزة بن عمارة البربري.

وللأسف فإن عبد الواحد في هجومه لم يأت بجديد بل اكتفى بعد نقده للشهرستاني أن ذكر أنه وجد في هامش «النوبختي» أن اسم حمزة وهو : حمزة بن عمارة البربري الزبيري اليزيدي. ثم أضاف الأنصاري من عنده إليه لقب : الأموي ، ليصبح «حمزة بن عمارة البربري اليزيدي الزبيري الأموي» ثم ذكر أن «النوبختي» هو الذي دل على شخصية حمزة «على أنه المدني الزبيري اليزيدي البربري» وهو بذلك ينسب ما ذكر في هامش كتاب «فرق الشيعة» إلى «النوبختي» ، وأخيراً جعل «عبد الواحد الأنصاري» حمزة بن عمارة مؤسساً لفرق الغلاة ، والأنصاري يريد بما اغتنمه عند النوبختي أن يقول أن حمزة بن عمارة البربري ينتسب إلى الزبير بن العوام وإلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؟ لكي يكون ذلك مبرراً للشيعة في التبري من حمزة بن عمارة البربري وهنا في ظل مقالة عبد الواحد الأنصاري يطرح الباحث سؤالاً : هل يرى الباحثون الشيعة المحدثون أن شخصية حمزة بن عمارة البربري دفع بها العباسيون وضم أهل السنة بين الشيعة لتعميق مقالة الغلو عندهم وتكتموا أخباره عن أهل السنة من كتاب المقالات. وإذا صح هذا الأفتراض الشيعي فإن أهل السنة ينظرون أيضاً إلى ابن سبأ والتعتيم الذي يحيط بشخصيته عن الشيعة على أنه بالرغم من تفصيل سيرته عند أهل السنة فإنه

تحيط به عملية تعتيم واسعة عند الشيعة وذلك بهدف التقليل من شأن الدور اليهودي في الغلو الشيعي.

ثم أن افتراض وجود التعتيم السني المزعوم على دور حمزة الخفي أو العلني في نشر الغلو في أهل البيت، يجب أن تقابله دراسة موسعة من الجانب الشيعي. وبصفة أخرى: فإن الأنصاري «عبد الواحد» لم يستطع أن يؤيد ما ذهب إليه الشيعة من أن التعتيم الذي ضربه أهل السنة حول شخصية حمزة بن عمارة له ما يبرره.

والراجع أن كثرة ألقاب حمزة بن عمارة وأخطاء بعض الروايات في ذكر ألقابه لا تعينهم على تقبل دعواهم على أنه زبيري أو أموي فكثرة الألقاب التي أحاطت بالرجل ساعدت على خلق جو من الغموض حول شخصيته. والراجح كما يظهر أن سبب كثرة ألقاب حمزة ليس كما اشتهى «الأنصاري» ولكن الأخطاء في النسخ واختلاف بين الرواة، فلا يغيب عن فطن العلاقة بين بربري ويزيدي وزبيري بل وزيدي كما نقل «فريد لاندر».

ويترجح القول الذي يرى أن هناك التباساً بين شخصية «حمزة بن عمارة البربري» وعمارة بن حمزة ابن مصعب بن الزبير الذي كان أحد عمال الدولة العباسية على «فارس» «والأهواز» ثم على أحداث البصرة إلى سنة (١٦٠ هـ) بين «عمارة بن حمزة» من «بني هاشم» ذاك الذي رمى بالزندقة واستكتبه عبد الله بن معاوية «ذي الجناحين»، كما أن هناك «عمارة بن حمزة بن كليب» الذي يستبعد أن يكون هو المنسوب إلى بني هاشم لما رواه عنه صاحب الأغاني من أنه من بني عقيل بالولاء.

وخلاصة الكلام حول حمزة هو أنه كان من أهل المدينة وكان يقول بمقالة «الكربي» وأنه فارقهم، فتبعه أناس من أهل الكوفة منهم رجلان من «نهد» وهما: «صائد» و «بيان» وفي ذلك دليل على أن إقامته بالمدينة لم تستمر. وكان معاصراً لمحمد بن علي بن الحسين الباقر (ـــ ١١٤) الذي لعنه وبرئ منه وكذبه، كما أن جعفر الصادق (ـــ ١٤٨) لعنه لكذبه وعده من الذين تنزل عليهم الشياطين وهم:

المغيرة بن سعيد وبنان وصائد النهدي ، والحارثة الشامي ، وعبد الله بن الحارث ، وحمزة بن عمارة ، وأبو الخطاب.

الهاشمية :

تنتسب هذه الكيسانية إلى «أبي هاشم» و «الهاشمية» بحد ذاتها فرق عدة. وأبو هاشم هو: عبد الله بن محمد بن الحنفية ، قال بإمامته الذين اعترفوا بموت محمد بن الحنفية من الكيسانيين إلا أن «الأشعري القمي» نسب إلى البيانية قولهم الذي يجمع بين العقيدة «الكربية» التي تقول بعدم موت «ابن الحنفية» وبرجعته ، وبإمامة أبي هاشم بصفة مؤقتة حتى يرجع «ابن الحنفية» وذكر الشهرستاني أن الهاشمية قالت بانتقال الأسرار إلى أبي هاشم من أبيه ، وأنه :

أطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس وتقدير التنزيل على التأويل. وتصوير الظاهر على الباطن. فقالوا أن لكل ظاهر باطناً ولكل شخص روحاً ولكل تنزيل تأويلاً ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم. والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص الإنساني ، ولكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً.

هذا وقد نسب «الهاشمية» إلى أبي هاشم من المعجزات واحياء الموتى ، وقالوا في هذا الشيء الكثير ، وقد قالوا عنه أنه قال : إن الإمام يعلم كل شيء ، ومن لم يعرف إمامه لم يعرف الله. ومما يجب الإشارة إليه أنه أهم ما قالت به الهاشمية طوال حياة أبي هاشم وحتى موته يتلخص في المقولات الآتية :

— الاستيداع في الإمامة بمعنى أن أبا هاشم استودع الإمامة التي هي من حق «محمد ابن الحنفية» حتى يرجع من غيبته وهو قول «البيانية» منهم.

— التأويل الباطني المبني على أن كل ظاهر باطناً.

— إن الإمام هو مصدر العلم.

— من لم يعرف إمامه لم يعرف الله.

وهذه العقائد تطورت على يد الغلاة خاصة بين الفرق التي تكونت عن «الهاشمية» بعد موت «أبي هاشم».

«الهاشمية» وافرازاتها العقدية:

بعد موت «أبي هاشم» (— ٩٩) تفرقت «الهاشمية» إلى عدة فرق، هي أربع كما يرى النوبختي وخمس كماذكر الشهرستاني. ومهما يكن الأمر فإن هذا الأنقسام كان نتيجة عن تفرق زعامات الهاشمية، وهذه الظاهرة لم تحدث بعد موت علي بن أبي طالب، فإن المصادر الشيعية لم تستطع إثبات تفرق للشيعة بعد موته إلا في ما يختص بفرقة الكيسانية وزعيمها «كيسان» أو «المختار» أما الفرق الأخرى التي تخيلوها في أذهانهم فإنهم لم يستطيعوا إيجاد زعامة لها وهذا يدل على أن علياً وكذا الحسنين لم يشجعا أبداً على التشيع. وبالنسبة للفرق الهاشمية التي نشأت بعد موت أبي هاشم فهي أربع أو خمس كما ذكر الشهرستاني. ولكن العقائد التي تبلورت في مناخ: فرقتي البيانية، والحربية هي أهم ما يمكن أن يعتنى به الباحث في الأطار العام الذي جمع الكيسانية ومدارسها.

فرقة البيانية:

بيان النهدي في إنتمائه الغالي كان ينتقل بفرقته من «الكربية» إلى «الحمرية» إلى «الهاشمية» ويبدو أنه انضم إلى «أبي هاشم» قبل أن يكون فرقته البيانية ثم أصبح بعد ذلك شخصية قيادية في الغلو حتى استطاع تكوين فرقة خاصة به. ادعى بين أتباعها أن أبا هاشم أوصى إليه. بعد أن مكث اتباعه يقولون بمهدية أبي هاشم ورجعته، شأنهم في ذلك شأن معظم الفرق الشيعية الغالية بعد موت من تزعم أنه الإمام.

ومما يجب الأنتباه له أن عقيدة الوصاية عند الشيعة تطورت هنا عند «البيانية» إلى حلول وتناسخ بين روح «أبي هاشم» و «بيان» وواضح فيها تأثير العقيدة اليهودية السبئية التي طرحها على الشيعة (ابن سبأ) والقائلة بحلول الجزء الالهي في علي بن أبي طالب أما مزاعم البيانية وعقائدهم فقد دارت حول الآتي:

أن روح الأله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد ابن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حملت بعده في بيان بن سمعان.

وقد خص بيان علياً بالألوهية وأنه سيظهر في بعض الأزمنة، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ ففسر لفظ الجلالة على ضوء المعتقد السبئي بأنه في الغمام والرعد صوته والبرق تبسمه. ويبدو من سياق الروايات التي تناولت عقائد البيانية أن بياناً لا يريد أن يقول أن (علياً) هو الله بقدر ما يرى تجسد الإلوهية في أجساد البشر كما هي عقيدة النصارى وغيرهم.

ويبدو أن بياناً ومن نحا نحوه من الغلاة لم يكن يعني بذلك أن علياً هو الله بقدر ما يعني تجسد الألوهية في أجساد الأنبياء والأئمة «خاصة علي» وقد أشار إلى هذه النقطة «علي سامي النشار» ويوضح هذا المعنى ما نسب إلى «بيان» من تجسيده معبوده بأنه هيكل من نور يشبه الإنسان في جميع أعضائه، وأنه يفنى كله إلا وجهه وقد ادعى «بيان» النبوة معلناً أن «أبا هاشم» هو الذي جعله نبياً، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢]. وأنه هو البيان والهدى والموعظة، وقد أرسل رسالة إلى محمد بن علي بن الحسين (الباقر) يقول فيها:

اسلم تسلم وترتق في سلّم وتنج وتغنم فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر.

كما ادعى بيان معرفة الاسم الأعظم الذي يستطيع أن يدعو به «الزهرة» فتجيبه: وعلى هذا فعقائد بيان والبيانية يمكن تلخيصها في الآتي:

القول بالتأويل الباطني.

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٨

القول بتجسيد الله وتشبيهه بالمخلوقين.

القول بانتقال جزء لاهوتي حلّ في بعض البشر عن طريق التناسخ.

ادعاء «بيان» النبوة وادعاؤه معرفة الاسم الأعظم.

قوله بعقيدة قائم القيامة التي يشترك فيها مع صائد النهدي.

فرقة الحربية:

الفرقة الثانية التي نشأت عن موت أبي هاشم والهاشمية هم الحربية أصحاب عبد الله بن عمر بن الحرب الكندي الشامي، وقيل: ابن عمرو الكندي، وكان أبوه عمرو بن الحرب زنديقاً مشهوراً من أهل المدائن، ويبدو أن بيئة أبيه (المدائن) أثرت في تكوين عقيدته وقد كانت منفى فليس بعيداً أن تكون زندقة أبيه جاءت إليه من بيئة المدائن «التي أفرغ فيها كل مقولاته فضلاً عن تراثها الوثني المعروف».

والذي يظهر أن هذه الفرقة كانت إحدى الفرق التي تكونت بعد وفاة أبي هاشم وقال «البغدادي» أن ابن حرب كان على دين «البيانية» في التناسخ لكن «الأشعري القمي» يقول بوجود عقائد «حربية» قبل موت ابن الحنفية مما قد يعني وجودها قبل «البيانية» يقول القمي:

وقال أصحاب ابن حرب أيضاً بالأسباط الأربعة وهم الأئمة يؤمن عليهم الخلاف (بالعمد) والخطأ والزلل. فسبط.. على وسبط.. الحسن وسبط... الحسين وسبط هو الذي يركب الأسباب ويزجي الرياح وينفح المد ويسد باب الروم... وهو المهدي المنتظر محمد بن علي بن الحنفية أمام الحق، فلما لم يروا من ذلك شيئاً في حياته ومات عياناً قالوا لم يمت.

هذا وقد أشار القمي إلى وجود توافق بين «الحربي» «والبيانية» في أدعائها أن علياً في السحاب. وفي هذا ما قد يؤكد ما ذكره «البغدادي» وما قاله الأشعري القمي من أنه لا يتحتم القول بأن الحربية قالوا به قبل موت «ابن الحنفية» عام

٨١ هـ، وإنما قالوا به على سبيل أن «ابن الحنفية» سيعود وأن أبا هاشم مستودع للإمامة «كالبيانية»، وعليه فإن الذين قالوا بالأسباط الأربعة يمكنهم قول ذلك حتى بعد وفاة ابن الحنفية، وقد قال بذلك كثير عزة عام ١١٥ ولكن الصعب هو وجود الفرقة «الحربية» في حياة «ابن الحنفية» على شكل فرقة «كيسانية» لاستبعاد استفحال أمر الغلاة فيما خلا فرقة «الكيسانية الخالصة» ويؤكد هذا وجود الفرقة الحربية بعد ذلك بما يقرب من خمسين عاماً أو يزيد الأمر الذي أدى إلى أن يكتشف أتباعه كذبة فتركوه واتجهوا ليكتشف اتباعه بعد ذلك كذبه إلى عبد الله بن معاوية (عام ١٢٩).

وعلى كلٍ فالأمر لا يستحق أكثر مما ذكر أن ما يمكن قوله هو أن «الحربية» نشأت بعد وفاة أبي هاشم (— ٩٩) من فرقة هاشمية اختارت «عبد الله بن عمرو ابن الحرب» ليكون إماماً لها على نحو أن:

روح الله صارت في النبي وروح النبي صارت في علي وروح علي صارت في الحسن وروح الحسن صارت في الحسين وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم وروح أبي هاشم انتسخت في عبد الله ابن عمرو بن الحرب. فهو الإمام إلى خروج محمد بن الحنفية من الشعب.

وفي ذلك دليل على أن قيام «ابن الحنفية» كان وشيك الوقوع في عقيدة «الحربية». ومما يجدر ذكره أن النقطة الخاصة بانتظار «ابن الحنفية» رغم القول بأئمة بعده تعود ويمكن أن ترجع إلى مسألة الأسباط الأربعة التي ذكرها «القمي» وخص بها الحربية، بقوله: واعتقدوا في أن الأسباط أربعة بأن قالوا: إن القدر والنباهة والعز والنبوة من ولد يعقوب ابن اسحق عليهما السلام في أربعة وصار الباقون اسباطاً بهم فكانوا هم الأنبياء والملوك ولم يكن للباقين قدر إلا بهم وهم لاوى ويهوذا ويوسف وابن يامين لأن يهوذا ولد داود وسليمان وفيهما الملك الذي لا يشبهه ملك مع النبوة، ومريم بنت عمران أم المسيح، ورأس الجالوت وهو الملك بعد الأنبياء والرسل. وولد لاوي موسى وهرون وعزيز وحزقيال والياس وأليشع وأورميا

والخضر، وهؤلاء ولد هرون. ومن ولدهم ملوك وأنبياء ومنهم آصف بن برخيا صاحب عرش بلقيس، ومن ولد يوسف يوشع بن نون ومن ولد ابن يامين، طالوت الذي ذكره الله في كتابه.

قالوا فبنو هاشم أسباط والإمامة والخلافة والملك في أربعة وذلك قول تبارك وتعالى ﴿وَالتينِ والزَّيْتُونِ وَطُورِ سينينَ وَهَـٰذَا البَلَدِ الأَمِينِ﴾[1]. فالكلام يكون رمزاً ومثلاً وكناية ووحياً فالتّين علي والزيتون الحسن وطور سينين الحسين وهذا البلد الأمين محمد ابن الحنفية.

من المعروف أن كلا من لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين من أبناء يعقوب بن اسحق ولكن كلمة أسباط لا تنطبق بأي معنى على علي وبنيه الثلاثة لا سيما إذا قارنا بأسباط بني إسرائيل فهي إذا انطبقت على الحسن والحسين بالنسبة للنبي ﷺ، فكيف يدخل في ذلك علي بن أبي طالب وابنه محمد بن الحنفية، وإذا انطبقت عليهم جميعاً بالنسبة لهاشم بن قصى فالجميع من ذرية عبد المطلب، وإذا انطبقت عليهم بالنسبة لعبد المطلب فالجميع من ذرية أبي طالب.

إن قصة الأسباط هذه غير إسلامية كما هي غير منطقية هنا، وهي يهودية المصدر فمن الذي يهمه إعطاء أهمية للأسباط في العالم الإسلامي سوى اليهود، بل من الذي يتبرع بإجراء مقارنة بين الأسباط الأسرائيليين والهاشميين في مطلع القرن الثاني للهجرة؟ لا أحد سوى أصابع يهودية خفية ظهرت من قبل في صورة عبد الله بن سبأ، وظهرت في الحربية في شخصية ربما تخفت تحت اسم عبد الله بن عمرو بن الحرب، أو أحد أعوانه أو أحد أتباعه[2].

ولا يغيب عن البال أن «الحربية» كانت تدين بما دانت به أشباهها من فرق

---

(١) سورة التين الآيات ١ — ٣

(٢) للتوسع في هذا الباب يمكن الرجوع إلى: (بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم» للمؤلف: صادر عن «عالم الكتب بيروت عام ١٩٨٣ م.

الغلاة المعاصرة لها ، مثل القول برجعة «ابن الحنفية» وخروجه من مكة في عدد أهل بدر وهدم «دمشق» برايات سود ورجال كالأسود.

ويبدو أن «دولة بني العباس» لم تكن قد قامت بعد حين قالت «الحربية» بهذا القول وقد يكون هذا دليلاً على القيمة العلمية للنص الذي حفظ هذه النقطة ، فإن بني العباس حين «ظهروا برايات سود وإن كانت الدلالة العقدية لرفع الرايات السود عند بني العباس ربما كانت تختلف تماماً مع عقائد الغلاة أو لا تدل على ما يراه الغلاة أصلاً.

السليمانية أو الجريرية :

في ضوء منهجنا الذي أردنا منه التعرف قدر الإمكان على تأثير التشيع المغالي في ثوبه الإمامي على كثير من مدارس الغلاة نتناول في إيجاز بعض المدارس المغمورة في باب الغلو الشيعي ونتناول بعضها الآخر بالتفصيل كما فعلنا مع الكيسانية ، وكما ستأتي عليه إن شاء الله مع النصيرية ، ونهمل بعضها الآخر ، لعدم أهميته الفكرية والعقدية في مسار الفكر المغالي على المدى التاريخي الطويل ، والسليمانية أو الجريرية هم : أصحاب بن جرير الرقي وقد ظهر في أيام المنصور. يزعمون أن الإمامة شورى وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها قد تصلح بالرجل المفضول وإن كانت إمامة الفاضل أفضل. وأثبتوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحُكي عن سليمان أنه كان يقول إن بيعة أبي بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل. وأن الأمة قد تركت الأصلح في بيعتهم إياها إلا أن سليمان طعن في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي أحدثها (كما يزعمون) وأكفره بذلك وأكفر عائشة[1] والزبير وطلحة رضي الله عنهم بإقدامهم على قتال علي رضي الله عنه وزعم سليمان أنه قد ثبت عنده أن علياً رضي الله عنه لا يضل ولا تقوم عليه شهادة عادلة

---

(١) الشهرستاني (الملل والنحل) جـ ٢ / ٢١٤ : هامش (الفصل في الملل والأهداء والنحل) لابن حزم ط أولى عام ١٣١٧ هـ.

بضلالة وطعن سليمان في الإمامية الرافضة وقال : إن أئمة الروافض قد وضعوا مقالتين لشيعتهم أصبحتا من أهم عقائدهم.

إحداهما : القول بالبداء فإذا قالوا قولاً ولم يحدث قالوا بدا الله تعالى في ذلك الأمر غير ما أراده في أول الأمر. (ينسب الإمامية الرافضة إلى جعفر الصادق أنه أعلن ولاية ابنه اسماعيل بن جعفر من بعده ولكن مات اسماعيل في حياة أبيه ولما كان هذا يناقض جملة عقائد الشيعة وخاصة ما يعتبر من أهم أركان الأعتقاد الشيعي الإمامي وهو اعتقادهم في عصمة الإمام) ومن هنا قال : السليمانية والجارورية (بالبداء) على الله تعالى الله وهو مقولة يهودية امتلأت بها كتب العقائد اليهودية حماية لمزاعم الغلاة في قول أئمتهم وتغطية لكذبهم.

الجارودية :

أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني (توفي ما بين عامي ١٥٠ — ١٦٠) لقبه الباقر سرحوباً وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيراً. وكان أبو الجارود أعمى ولذلك قال عنه أبو جعفر إنه أعمى البصر. كان من أتباع محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم تركهما ولحق بالزيدية ولذلك ظلت آراؤه متأثرة بآراء الشيعة الإمامية. ويزعم الجارودية أن النبي ﷺ نص على علي بالوصف دون التسمية فكان الإمام من بعده إلا أن الصحابة ضلوا وكفروا بتركهم الإقتداء بعلي بعد الرسول ﷺ والإمام بعد علي هو الحسن ومن بعده الحسين. وذهبت فرقة من الجارودية إلى أن الإمامة بعد ذلك شورى في أولاد الحسن ، فمن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربه وكان عالماً فاضلاً فهو الإمام وساق بعضهم الإمامة بعد الحسين إلى علي بن الحسين زين العابدين ثم إلى ابنه زيد من علي ثم إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقالوا بإمامته وكان أبو حنيفة من أتباعه فيما قيل عنه وقد حبسه أبو جعفر المنصور حتى مات في السجن. وقد قال الجارودية بالمهدية فزعم بعضهم أن محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس

الزكية) الذي قتل سنة ٤٥٠ هـ لم يقتل بل هو حي وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً وزعم آخرون أن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه المتوفي ٢٥٠ هـ والملقب بصاحب الطالقات حي لم يمت وأنه يخرج ويغلب وقد أسر محمد هذا في أيام المعتصم وحبسه حتى مات وزعم غيرهم مثل ذلك في يحي ابن عمر بن يحي بن الحسين بن زين العابدين على صاحب الكوفة وقد قتل في أيام المستعين ويقول الشهرستاني في الملل والنوبختي في كتابه (فرق الشيعة) إن بعض أصحاب أبي الجارود يزعمون أن علم أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما كعلم النبي ﷺ ويحصل لهم معرفة أئمتهم بالغيب زعموا أنهم سألوا عن ذلك فقال إن الله عز وجل بدا له في إسماعيل أي بدا له أن يموت إسماعيل ولا يكون إماماً أي تغيرت مشيئة. ويقول سليمان إن الإمامية الرافضة أحلوا أئمتهم محل الأنبياء في العلم الغيبي بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة.

المقالة الثانية: التي أنكرها سليمان على الرافضة قولهم بالتقية: وفي هذا يقول الشهرستاني إن سليمان كان يقول عن الرافضة (وكل ما أرادوا تكلموا به فإذا قيل لهم في ذلك: ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا: إنما قلنا تقية وفعلنا تقية[1]) وزاد النوبختي أن سليمان عليه السلام علق بقوله (فمتى يظهر من هؤلاء الكذب ومتى يعرف منهم الحق من الباطل، وهم يعدلون ويبدلون ويمارسون من التناقض العقدي ما يحار معه المرء).

الصالحية والبترية:

هم أصحاب الحسن بن صالح الهمذاني المولود عام ١٠٠ هـ والمتوفي سنة ١٦٨ هـ (والبترية) هم أصحاب كثير النوى الأبتر وهم متفقون في المذهب ومذهبهم مثل السليمانية إلا أنهم يختلفون عنهم في أنهم توقفوا في أمر عثمان رضي الله عنه فقالوا: إنا نعلم أنه من العشرة المبشرين بالجنة وفي نفس الوقت نعلم أنه أحدث

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٥.

أحداثاً مثل إهماله تربية بني أمية وبني مروان واستبداده في أمور لم توافق سيرة الصحابة ولذلك نتوقف في أمره ولا يمكن الحكم بشكل قاطع علي -الحسن بن صالح الهمذاني وعلى هذا : فعلي عندهم أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة ولكنه تنازل عن حقه راضياً ولذلك فإنهم يقولون نحن راضون بما رضي ومن هنا فإنهم جوزوا إمامة المفضول وتأخير الأفضل إن كان الأفضل راضياً بذلك وقبلوا بإمامة أي ولد من أولاد الحسن أو الحسين ممن خرج على الخلفاء بشرط أن يكون عالماً شجاعاً زاهداً واشترط بعضهم صباحة الوجه وتخبطوا في حالة وجود إمامين تحققت فيهما الشروط السابقة فقالوا : ينظر إلى الأفضل منهما وإن تساوياً ينظر إلى الأفضل رأياً والأحزم رأياً ويكون هو أولى بالإمامة.

ومما يذكر في هذا المقام أن هذه الفرق الغالية بلغت حداً في الفحش والتأثر بالأفكار الوثنية إلى درجة جعلت كثيراً من أئمة الغلاة (الإمامية) يرونها تجاوزت منهج التأويل والأقتباس من الأفكار اليهودية والمسيحية وراحت تنقل فكراً وثنياً صرفاً إلى مقولاتها ومن هنا رأينا ذلك النقد القوي الذي وجه إليها من قبل بعض أئمة وعلماء الإمامية ففي البراء من : فرق المغيرية والمنصورية والبيانية والخطابية يقول الشيخ (محمد حسين الزين) في كتابه (الشيعة معتقداً في التاريخ).

روي عن هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله الصادق يقول لا تقبلوا علينا حديثاً إلا إذا وافق القرآن والسنة ، قد دس في كتب أصحاب أبي أحاديث كثيرة لم يحدث بها أبي. فاتقوا الله ولا تقبلوا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن هشام أيضاً أنه سمع الصادق يقول كان المغيرة يتعمد الكذب على أبي ، ويأخذ كتب أصحابه ويدس فيها الكفر والزندقة ، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يقولوها في الشيعة. فكل ما كان في كتب أبي من الغلو، فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد لعنه الله.

وروي عن عبد الرحمن بن كثير أنه قال : قال أبو عبد الله يوماً لأصحابه لعن الله

المغيرة بن سعيد، لعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعوذة والمخاريق إن المغيرة كذب على أبي، وإن قوماً كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حر الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع إلا بقدرته إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا وبعادنا، وبيده نواصينا[1].

وعن حصين بن عمرو النخعي قال ــ كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له رجل جعلت فداك ــ إن أبا منصور حدثني أنه رفع إلى ربه فمسح على رأسه وقال له بالفارسية يا يسر. فقال أبو عبد الله لعن الله أبا منصور لعن الله أبا منصور، ثلاثاً.

وعن زرارة أنه قال سمعت أبا جعفر الباقر يقول لعن الله بنان البنان، وإن بناناً كان يكذب على أبي. واشهد أن أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً. وعن هشام ابن الحكم قال: قال أبو عبد الله إن بناناً والسرى وبزيغاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان في أحسن صورة من قرنه إلى سرته، قال فقالت إن بناناً يتلو هذه الآية ــ إن في السماء إله وفي الأرض إله ــ ويقول إن إله الأرض غير إله السماء. فقال الصادق والله ما هو إلا إله الله وحده لا شريك له إله من في السموات والأرض. كذب بنان عليه لعنة الله لقد صغر الله جل جلاله وصغر عظمته. ثم يتوسع الشيخ الزين في إيراد الأدلة التي يحاول بها تبرئة أئمة أهل البيت من قولة الغلاة وأئمتهم فيقول عن أبي عبد الله الصادق قال: إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا. ثم ذكر المغيرة وبزيغ الحايك، والسرى، وأبا الخطاب، ومعمر وبشار الأشعري، وحمزة البربري، وصايد النهدي وغيرهم فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مؤنة كل كذاب.

وعن حمدويه قال كنت جالساً عند أبي عبد الله وميسره عنده. ونحن في سنة

---

(١) (منهج المقال) للأسترابادي ص ٣٥٠.

١٣٨ هـ. فقال له ميسرة جعلت فداك، عجبت لقوم كانوا يأتون إلى هذا الوضع، فانقطعت أخبارهم وأثارهم وفنيت آجالهم. قال عليه السلام: ومن هم؟ قلت أبو الخطاب وأصحابه فقال — وكان متكئاً فجلس ورفع ببصره إلى السماء —: على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فاشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك. وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب وما والله إني لأنفس على أجساد أصبحت معه النار.

وقال لأبي بصير: يا أبا محمد أبرأ ممن يزعم أنا أرباب وأبرأ ممن يزعم أنا أنبياء.

وقال أيضاً أن قوماً يزعمون أني لهم إمام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله؟ وقول كذا ويقولون يعني به كذا، إنما أنا إمام من أطاعني. وقال من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله.

هذا قول الصادق في أبي الخطاب والخطابية وبقية الغلاة. يقول صاحب منهج المقال محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي الأجدع أبو الخطاب لعنه الله غال ملعون، ويُكنى أبو زينب الرزاز قال ابن الغضايري — أن أبا الخطاب لعنه الله أمره مشهور وأرى ترك ما يقوله أصحابنا، حدثنا أبو الخطاب في حال استقامته وهكذا قال النجاشي في (رجاله) والعلامة الحلي في (خلاصته).

وكذلك يحاول الشيخ الزين جهده في تبرئة الإمامية من كل صور وضروب الغلو التي قالت بها الفرق التي انطلقت ذات يوم من ساحة أهل البيت كما نقل ذلك عنهم كتاب المقالات. فيقول في براءة الإمامية من ابن نصير والنصيرية.

روى عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه كتب ابتداء منه إلى أحد مواليه إني أبرأ إلى الله من ابن نصير الفهري، وابن بابا القمي، فأبرأ منهما. وإني محذرك وجميع موالي، ومخبرك إني ألعنهما عليهما لعنة الله فتانين مؤذيين أذاهما الله. يزعم أبن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب وأنه، ويله لعنة الله سحر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه فافعل. وابن

الفهري هو محمد بن نصير قالت فرقة بنبوته ، وذلك أنه ادعى النبوة وأن علي بن محمد أرسله . وكان يقول بالتناسخ وبإباحة المحارم ، وكان مغالياً خرج بغلوه عن الإسلام .

قول الغلاة في الإمامة والوصية :

سبق لنا القول والتدليل من مصادر عديدة على أن القول بإمامة علي بن أبي طالب وأنه وصي رسول الله ﷺ عقيدة لعبد الله بن سبأ اليهودي وهو أول من قال بذلك وظهر به في الإسلام وقد سار على ذلك «الكيسانية» وهي عقيدة جميع «الشيعة» الغلاة كما هو معلوم باستثناء فرقة الزيدية كما سبق وأن أوضحنا هذا وتعبر عقيدة القول بالإمامة والوصاية عن أصلها اليهودي في مقولات ابن سبأ التي توجد مفصلة في كتب العهد القديم ، خاصة تلك المقولات التي تحصر النبوة والملك في ذرية داود .

إن العقائد التي بنيت على القول الشيعي في الإمامة والوصاية برزت أوضح بروز في الفرق الشيعية عند الكيسانية وبخاصة البيانية التي نشأت بعد موت أبي هاشم كأفرازة شيعية مغالية خرجت على معتقدات الشيعة بوجه عام .

وهذه العقائد بنيت على تأثيرات يهودية واضحة حين جسد «بيان» معبوده على نحو له علاقة بالحلول اليهودي وكان لهذه العقيدة أثر واضح في الفرق الباطنية التي تصور «الإمامة» على هيكل من نور يتلبس من نص عليه بالإمامة ، ومما يجدر ذكره أن دراسة أسفار العهد القديم تؤكد أن معظم اليهود يقولون بتشبيه الخالق بالخلق ، وقد نفى ابن ميمون اليهودي هذه النتيجة وذهب إلى غير ذلك مستدلاً بما جاء في سفر أشعيا في الإصحاح الأربيعن ، وما جاء في سفر أرميا في الإصحاح العاشر ولكن قوله مردود بما جاء في سفر التكوين الذي يوضح أنهم شبهوا الله بالخلق ، والقصة كما هي في سفر التكوين عند التعريف بسبب تغيير اسم يعقوب إلى «إسرائيل» : والتي سبق لنا الإشارة إليها وهي في جملتها تقول : «فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه وانخلع

حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر قال لاأطلقك إن لم تباركني فقال ما اسمك فقال يعقوب لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك.

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي[1].

القول بجواز البداء على الله:

إن عقيدة «البداء» تعني أن يظهر لله صواب على خلاف ما أراد وحكم وهو البدأ في العلم أو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك وهو البداء في الأمر. وقد كتب «علي سامي النشار» نبذة عن ذلك. في كتابه «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» يمكن الرجوع إليه للتوسع في هذا الباب.

وقد نسبت هذه العقيدة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي في أصلها والذي يظهر أن هذه العقيدة مما اختص به غلاة الشيعة عموماً وأما أهل السنة فليس في عقيدتهم مثل ذلك.

وقد أورد المستشرق اليهودي «فريد لاندر» أن بعض اليهود يفضلون القول بالبداء ولم يدفع الكاتب المذكور هذه الدعوى ولم يرفضها، مما يدل على أن هناك شيئاً ما من ذلك في الفكر اليهودي مع العلم أن الشهرستاني ذكر أنهم لا يجيزون هذا القول.

قول المغيرية في الإمامة:

إن فرقة «المغيرية» دعت: إلى إمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي

---

(١) سفر التكوين ٣٢/ ٢٤ ــ ٣٠.

طالب الشهير بالنفس الزكية فيما دعت (— ١٤٥) وهم الوحيدون بين غلاة الشيعة في القول بإمامة «النفس الزكية»، ولكن «ابن حزم» ذكر أن طائفة من الفرقة الغالية قالت بإمامة «النفس الزكية» أيضاً.

والمغيرية تفرعت عن الفرقة الجناحية كما يقول البغدادي وهو أيضاً قول «الأشعري القمي» الذي أضاف إلى المغيرة بن سعيد — صاحب هذه الفرقة — القول بإمامة «أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين»، الباقر (— ١١٤) وأن الباقر أوصى إلى المغيرة حتى خروج المهدي «النفس الزكية» وعلى ذلك يمكن القول أن هذه الفرقة تقلبت في غلوها بين أكبر شعب الغلاة فقد كان «المغيرة كيسانيا» كما حينما كان «جناحياً» و «الجناحية» كيسانية في أصلها، كما كانت «حسنية» حين قالت بمهدية «النفس الزكية»، وقالت أيضاً بإمامة «الباقر» وهي هنا «حسنية» الغلو.

ومما جاء عند الطبري في تاريخ الأمم والملوك نجد الكلام المنسوب لجعفر بن محمد يدل على أن المغيرة بن سعيد أول الذين لعنهم جعفر لكذبهم عليه، وهذا يعني أن المغيرة هذا كان إحدى الشخصيات ذات الدور الواضح في الغلو الشيعي. وقد قيل في المغيرة أنه كان من موالي خالد بن عبد الله القسري، الذي قتله وصلبه، أو أحرقه فيمن أحرق مع بيان النهدي في ستة نفر أو سبعة في سنة ١١٩ هـ. وعدد القتلى هؤلاء قد يستدل منه على أن الفرق الغالية الشيعية لم تكن حسب رواية الطبري في ذكر هذا العدد الذي يدل على أن الشيعة الغلاة لم يكونوا من الكثرة التي تشكل تأثيراً على الحياة العامة يومذاك.

ومما يجب الإشارة إليه أن المغيرية استمرت بعد المغيرة، فاختلفوا في شكل افرازات عقيدية ذات تعبيرات مختلفة فمنهم من قال برجعة المغيرة، ومنهم من قال بإمامة ابنه عبد الله بن المغيرة، ومنهم من استمر على مقالة المغيرة، وهذا بالإضافة إلى كونه دليلاً على عدم قلة عددهم، فإنه أيضاً دليل على غرابة أمر غلاة الشيعة. وهذا مما يدل على مدى تخبط الفكر الشيعي على أيدي الغلاة وتعرضه لأطوار عديدة من التلون والتغير المستمرين وعقائد المغيرية وإن تكونت بأصباغ جديدة إلا أن

بصمات الفكر اليهودي السبئي في الأطار الكيساني يبدو واضحا على مقولات المغيرية.

وأهم هذه العقائد التي قال بها المغيرية قبل موت المغيرة وبعده تتمثل في قولهم بالآتي:

— ادعاء المغيرة بن سعيد النبوة.

— تجسيم الذات الالهية.

— إيمان «المغيرة» بقدرة النجوم وتأثيرها لذا فقد ادعى القدرة على احياء الأموات بالسحر.

— التأويل الباطني، وهذا مشهور عنهم من تفسيرهم «للأمانة» في قوله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾[1]. بأنها، منع علي من الإمامة.

— القول بالتناسخ والسكوت عن القول بالرجعة:

ومما يجب التنبه إليه أن معظم عقائد الغلاة من الشيعة قد استقت أصول معتقدها من التأثير اليهودي في مختلف مصادره فالمغيرية في مجمل ما ذهبوا إليه يبدو التراث اليهودي حاداً في مقولاتهم.

فتجسم الذات الإلهية — الذي قال به — مقولة يهودية تكررت في بعض أسفار العهد القديم وخاصة ما جاء بشأن يعقوب في سفر التكوين. كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

والإيمان بالقدرة السحرية على أحياء الموتى، التي كان المغيرة يدعيها موجودة بجلاء في التراث اليهودي، وهو ما يعتقده «حاخامات اليهود» على نفس الطريقة وعلى ضوء ما تقوله مصادرهم المقدسة.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٢

فقد جاء في التلمود (سنهدرين ص٢) أن أحد مؤسسي ديانة التلمود كان بإمكانه أن يخلق (كذا) رجلاً بعد أن يقتل آخر.

وكان يخلق (كذا) كل ليلة عجلاً عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر وكانا يأكلان منه معاً[1].

وكان أحد الحاخامات أيضاً يحيل القرع والشمام إلى غزلان ومعيز (سنهدرين ص ٧٠) قول المغيرية بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيٍ من الشرائع، مما عزاه «لويس» إلى فرقة «العيسوية» اليهودية التي ظهرت أيام عبد الملك بن مروان (تولى الخلافة من ٦٥ — ٨٦) وكانت العيسوية تقول بصدق نبوة محمد ﷺ وعيسى عليه السلام بالنسبة لوطنيهما وشعبيهما اللذين ظهرا فيما بعد، واعتبر «لويس» ذلك نواة لما تطور عند الباطنيين — بعد ذلك — وسماه شمولية العقيدة.

وتحدث «الشهرستاني» عن الفرقة اليهودية العيسوية المنسوبة إلى أبي عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهاني، أو عوفيد الوهيم أي عابد الله، فذكر أنه:

كان في زمن المنصور (العباسي الذي تولى الخلافة من ١٣٦ — ١٥٨) وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار (تولى الخلافة من ١٢٧ — ١٣٢)، فاتبعه بشر كثير من اليهود...

زعم أبو عيسى أنه رسول المسيح المنتظر. وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد. وزعم أن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي العاصمين والملوك الظالمين. وزعم أن المسيح (ربما يعني المنتظر) أفضل ولد آدم، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين، وأنه هو رسوله فهو أفضل الكل.

وعلى ضوء ما ذكر «الشهرستاني» فإن عصر الفرقة العيسوية ليس في أواخر القرن الأول كما ذكر «لويس» بل في أوائل القرن الثاني بين الدولتين الأموية والعباسية.

---

(١) حول جملة المعتقدات التلمودية راجع كتابنا «الأسفار المقدسة قبل الإسلام» الصادر عام ١٩٨٤ م (عالم الكتب) بيروت.

ومن ناحية أخرى فإن ما ذهب إليه لويس من اعتباره دعوى العيسوية في عيسى ومحمد ﷺ بداية للقول بشمولية العقيدة كل ذلك يكاد يكون بعيداً. وأن ما يمكن قوله هو: أن شبهاً ما قد يقع بين تفكير «المغيرية» وما ذهبت إليه «العيسوية»، ويحتمل أن تكون دعوى «شمولية العقيدة» مما شجع اليهود على انتشاره ليظلوا متميزين بين غيرهم، ولكن على نحو آخر له علاقة تشبه ما قيل عن: «بروتوكولات حكماء صهيون».

وعلى العموم فإن المغيرية سواء من حيث كونها كيسانية حنفية أم حسنية أن حسينية لم تبتعد في عقائدها عن الأصل السبئي أو المنهج السبئي للغلو كثيراً.

الغلاة الحسينيون:

هم الشيعة الذين غلوا في الأئمة من ذرية «الحسين بن علي بن أبي طالب»، وهؤلاء يمكن أعتبارهم — منذ النظرة الأولى — البعد التاريخي للفرق الباطنية وعلى هذا الأساس فإن من أشهر فرقهم غير تلك التي لا تحتل مقولات جوهرية في الغلو: فرقة الحسينية.

فرقة المنصورية:

ظهرت هذه الفرقة بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر عام ١١٤، إذ زعم مؤسس هذه الفرقة، أبو منصور العجلي أنه الإمام بعد الباقر على سبيل التفويض والوصية، وكان أبو منصور يلقب «بالكسف» أثر مخاصمة بينه وبين نظرائه في الغلو جماعة المغيرية فأول على نفسه الآية الكريمة ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾[1]. كما لقب أيضاً «بالخناق» لأمره اتباعه باغتيال مخالفيهم خنقاً وسموه «الجهاد الخفي» وذكر «ابن حزم» سبب ذلك نقلاً عن «هشام بن الحكم الرافضي في كتابه «الميزان»، وهو أن «المنصورية» و

(١) سورة الثور آية ٤٤

«المغيرية»: لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق والحجارة.

هذا ويمكن القول بأن المنصورية ممن قال بأن ظهور القائم المنتظر هو إعلان لظهور دولتهم وإعلان للجهاد ضد مخالفيهم ولذلك علاقة بما يوجد في عقائد بعض الغلاة أمثال «جابر الجحفي» (— ١٢٨) الذي ذكر سفيان بن عيينه (— ١٩٨) تفسيراً غالياً للآية ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي..﴾[1] بأنهم ينتظرون منادياً ينادي من السماء أن اخرجوا مع فلان ونسب ذلك التأويل الباطني إلى جابر المذكور، ومن الواضح أن هناك خطوطاً مشتركة بين عقائد المنصورية وبين «حمزة بن عمارة البربري» الذي ينتظر سبعة أسباب من السماء ليملك الأرض ولكل ذلك علاقة بفكرة القائم المنظر المنتقم، السبئية الأصل التي غذت أفكار معظم الغلاة والمنصورية ظهرت بعقائد غالية كان بعضها معروفاً لدى من سبقها من الغلاة، كما قالت بعقائد غالية أخرى لم تعرف من قبل.

ففي الإمامة مثلاً، قال أبو منصور:

آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض.

إن «أبا منصور العجلي» بعد أن ادعى الإمامة بعد أبي جعفر «الباقي» بالوصاية والتفويض، بدأ يخلط — كعادة زعماء الفرق الغالية بين النبوة والرسالة والإمامة، فقال: كان علي بن أبي طالب نبياً رسولاً وكذلك الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا بعدهم نبي ورسول، والنبوة والرسالة في ستة من ولدي يكون بعدي آخرهم المهدي القائم.

هذا وقد تضمنت عقائد فرقة المنصورية مقولات فحواها أن هناك سبعة أنبياء من بني عجل: أولهم «أبو منصور» وآخرهم «المهدي القائم».

---

(١) سورة يوسف آية ٨٠

هذا وقد أضاف بعض أصحاب المقالات إلى أبي منصور زعماً آخر، وهو قوله: إن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه يعني نفسه بالتأويل، وأن منزلته من رسول الله منزلة يوشع بن نون من موسى بن عمران، وأنه الذي يقيم الأمر بعده.

قد يتطرق الشك إلى صحة هذا النص لمصادمته ما ورد آنفاً من قول أبي منصور بنبوة «علي بن أبي طالب» ومن بعده من ولده فلا يعقل أن يعتقد في هذا العدد من الأنبياء، ثم يعتبر نفسه الزميل الثاني لمن بينه وبينه ما يقرب من قرنين من الزمان، وعليه فاحتمال أن أبا المنصور لم يعن نفسه بقدر ما عنى علي بن أبي طالب وأنه القائم وما في النص من دلائل توصي بوجود تلك العقيدة من قبل لدى الغلاة ولعل هذا هو ما يجعلنا نميل إلى القول بأنه لم يعن نفسه بما قال. ولعل مقولة المنصورية هذه تتعلق بعقيدة الحلول والتي تتمثل عندهم في أن روح الله حالة في شخص ثم في شخص آخر بعد موت الأول وبذلك يكون وصفه لنفسه بأنه مبعوث بالتأويل على هذا الأساس الذي قد يكون له علاقة بما قالت به الباطنية من عدم انقطاع الإمامة لأنها تنتقل من شخص لآخر وفي هذا يقول أبو منصور:

رسل الله لا تنقطع أبداً.

وذلك بمعنى التأويل وليس بمعنى التنزيل.

ونقل أن «أبا منصور» زعم أنه عرج به إلى السماء، وأنه قابل ربه وربت عليه وقال «بالفارسية» أو «السريانية»: يا بني بلغ عني.

هذا وقد قالت «المنصورية» بالتأويل الباطني، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في تفسيرهم لكلمة «الكسف»، كما أولت هذه الفرقة الجنة، بأنها — بأن الجنة — رجل امروا بموالاته وهو إمام الوقت والنار رجل وآخر، امروا بمعاداته وهو خصم الإمام. وكذا الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك أولوها إلى رجال حرّم الله موالاتهم، فاستحلوا المحارم وأسقطوا الفرائض واستدل أبو منصور في ذلك بقوله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا..﴾[1]

(١) سورة المائدة آية ٩٣

وذكر« الشهرستاني » مقصودهم من ذلك التأويل ، بما يمكن أن يفهم من قول الغلاة بأن من عرف الإمام فليصنع ما يشاء.

ويمكن تلخيص عقائد أبي منصور وفرقته على النحو التالي :

- أدعاؤه الرسالة والنبوة والإمامة.
- القول بسبعة أنبياء أو أئمة آخرهم المهدي القائم.
- القول بالإمام الصامت والإمام الناطق.
- القول بالأستيداع في الإمامة.
- القول بعدم انقطاع الرسل والرسالات.
- القول بالتأويل الباطني.
- تجسيد الله وادعاء أبي منصور أنه قابل معبوده وأنه ربت على رأسه. وناداه بالأبوة.
- اغتيال الخصوم سراً حتى يظهر القائم المنتظر.

هذه أهم عقائد فرقة (المنصورية) كواحدة من أهم فرق الغلاة.

المبحث السابع .

النصيرية : عقائدهم ومصادرهم وتاريخهم .

تعريف النصيرية .

الحجاب والباب .

الخطاب السري بين النصيرية .

إباحة الزواج من البنات والأخوات والأمهات .

الإسم والمعنى .

الأيتام .

أعياد ومقدسات نصيرية .

عيد الفراش .

عيد عاشوراء .

عيد النيروز .

عيد الميلاد .

قداس الطيب لكل أخ حبيب .

طوائف النصيرية .

الكلازية أو لقمرية .

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في النصيرية .

جواب شيخ الإسلام ابن تيمية بخطه .

مصادر العقائد النصيرية .

الحكم على معتقدات النصيرية .

النصيرية عقائدهم ومصادرهم وتاريخهم :

النصيرية : أصحاب محمد بن نصير النميري أو الفهدي كان من أصحاب الحسن ابن علي بن محمد بن علي الرضا ، فلما مات الحسن أدعى وكالة لإبن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته ، ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو والقول بتناسخ الأرواح ، ثم ادعى أنه رسول الله ونبي الله ، وأنه أرسله محمد بن الرضا ، وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه . وادعى بعد ذلك الربوبية ، وقال بإباحة المحارم : هذا وللغلاة أقوال كثيرة طويلة عريضة . ولما كان النصيرية من أكثرها غلواً وأشدها مروقاً وخروجاً فسنأتي على أهم عقائدهم بنوع من التفصيل .

يعرف الشيخ نصر الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري الأفغاني السنجاري المتوفي ٧٩٤ هـ . في كتابه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) النصيرية بأنهم أتباع نصير غلام علي بن أبي طالب الذين ألهوا علياً بن أبي طالب عليه السلام وعلى هذا : فالنصيرية طائفة من الغلاة واستدلوا على ما ذهبوا إليه من عقائد بما يرويه عنهم الشهرستاني من قولهم ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل إما في جانب الخير، فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتمثل بصورة البشر، وإما في جانب الشر فكظهور الجن بصورة الإنسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه ، فلذلك نقول زعم النصيرية ، أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم فأخذ بيدهم فمن هذا أطلقنا اسم (الإلهية) عليهم .

هذا ويعلل النصيرية ما ذهبوا إليه بقولهم أثبتنا هذا الأختصاص لعلي دون غيره لأنه مخصوصٌ بتأييد من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار ويطلقون حديثاً يدللون به على ما يذهبون إليه من أن النبي ﷺ قال : (أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر). ومن هنا زعموا على : النبي ﷺ أنه شبه (علي بن أبي طالب بعيسى بن مريم. كما زعموا على النبي ﷺ إنه قال فيما قال : (لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً).

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة (أي الرسالة الإلهية) أو النبوة إذ قال (أي النبي) — فيما زعموا — فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ألا وهو : خاصف النعل فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الحية وقلع باب خيبر لا بقوة جسدية من أهم الأدلة — عندهم — على أن فيه (أي في علي) جزءاً إلهياً وقوة ربانية أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه. وعلى ضوء هذه العقيدة الوثنية ، قالوا : كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض قال أي علي فيما زعموا عليه : (كنا ظلالاً علي يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا). فتلك الظلال وتلك الصورة المعربة عن الإظلال هي خفية وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم ، وعن هذا قال (أي علي) في زعمهم — (أنا من أحمد كالضوء من الضوء) يعني لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق والثاني لحق به.

ويتضح من هذا النص أن النصيرية من غلاة الشيعة الذين ألهوا علياً حيث زعموا أن الروح الإلهية ظهرت فيه كما ظهر جبريل بصورة بشر وهو روحاني في جانب الخير وظهر الشيطان بصورة إنسان وهو روحاني كذلك في جانب البشر فلا بأس أن يظهر الله بصورة علي. [تعالى الله] عما يقول الظالمون.

وهذا قياس باطل فإن الله هو الذي خلق جبريل وخلق الشيطان كما خلق الكائنات كلها وجعل لكل كائن من خلقه خصائص فظهور جبريل بصورة إنسان من خصائص طبيعة الملك وكذلك ظهور الشيطان ، فأين هذا من الله الخالق الذي

تفرد بوحدانيته في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

ولولا ما صح من أخبار عن جبريل ما صدقنا ذلك لأن مثل هذا من أمور الغيب التي يجب التوقف فيها عندما جاء في الأخبار الصحيحة ولا يقاس عليها غيرها من الخلائق فكيف بالله الذي خلق السموات والأرض ومن فيها؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً وشتان بين تمثل مخلوق بمخلوق بأمر الله وما يدعيه النصيرية من تمثل الخالق بمخلوق.

وإذا كان الله تعالى في زعمهم ظهر بصورة أشخاص وقد قالوا في دعواهم: «ولما يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي — عليه السلام وبعده أولاده المخصصون الذين هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم. وهذا يعني أن رسول الله ﷺ أفضل من علي وأولاده فلماذا لم يظهر الله تعالى في صورة من هو أفضل وهو محمد ﷺ وهذا ما لم يقل به أحد سوى ما ذكر عنهم في بعض النصوص.

وحين أدرك النصيرية أن هذا الزعم لا يتقبله عقل أرادوا تفضيل على علي رسول الله ﷺ باللجوء إلى فكرتهم الباطنية فادعوا أن الله خص علياً بذلك لأنه خصه بتأييد من عنده تعالى فيما يتصل بباطن الأسرار ويتعلق بها، أما الرسول فلم يكن له سوى حكم بالظاهر والله يتولى السرائر «وبنوا على ذلك ما يعتبرونه حجة لهم، وهو أن الرسول ﷺ قاتل المشركين وكفرهم ظاهر أما علي رضي الله عنه فقاتل المنافقين وكفرهم باطن.

إن عبارة «أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر» ليست حديثاً ولكنها كلمة حق وصح في معناها ما روى أن رسول الله ﷺ سمع خصومه بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق أخيه فإنما هي قطعة من النار

فليأخذها أو ليتركها) والله هو الذي يتولى السرائر حقاً لأنه هو الذي تفرد بعلمها ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[1] .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلٰثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيٰمَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[3] .

وأدرك أحد الصحابة في بعث من البعوث رجلاً — فقال (لا إله إلا الله) فطعنه فوقع في نفسه من ذلك شيء فذكره للنبي ﷺ فقال «أقال : (لا إله إلا الله) وقتلته فقال : قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح قال : (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا) رواه مسلم وغيره.

فالعلم بالسرائر عند الله ولم يعطه الله لأفضل خلقه محمد ﷺ فلا يعطه لأحد آخر وإذا كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه — في زعمهم — هو الذي يتولى السرائر فمن ذا الذي كان يتولى السرائر قبله وبعده؟ ! .

وإنما هدف النصيرية من هذا الزعم الفاسد إلى شيء آخر وهو إتهام من خالف علياً بالنفاق وإلا فإن كثيراً ممن خالفه رضي الله عنه لم تكن تعوزهم النية الطيبة وسلامة المقصد والإخلاص لله رب العالمين إن لم يكن بنفس سلامة مقصد علي فلم يكونوا أبداً منافقين.

ثم استدلوا بكلام مكذوب على أن النبي ﷺ أراد أن يقول في علي رضي الله عنه مقالاً : لولا أنه خشي أن يقول الناس فيه مما قالوه في عيسى بن مريم وهذه

---

(١) سورة غافر آية ١٩

(٢) سورة المجادلة آية ٧

(٣) سورة النحل آية ١٩

العبارة التي أوردوها أرادوا أن يتخلصوا بها من تهمة الكفر — حيث ادعى النصارى في عيسى ما ادعاه النصيرية في علي فقال الله تعالى فيهم :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَاللهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلِقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

واسترسل القوم في الدعاوي الكاذبة وأدلتها التي يدافعون بها عن باطلهم في علم التأويل وعلم التنزيل المزعومين وانتهوا إلى التجسيم فقالوا : (ويكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه) (٢) .

وزعموا أن علياً كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض ولجأوا إلى إشراك علي في الرسالة مع الرسول ﷺ وقالوا : (إن علياً من رسول الله كالضوء من الضوء ولا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق والثاني لاحق به)

وهذا تناقض منهم فهم تارة يجعلون علياً إلهاً وتارة أخرى يجعلونه شريكاً لمحمد ﷺ ثم ذهبوا إلى ما ذهب إليه أشد الغلاة من الشيعة الذين حكى الرازي مقالتهم فقال.. إنهم قوم يزعمون أن الباري خلق روح علي وأولاده وفوض العلم إليهم فخلقوا هم الأرض والسموات قالوا : ومن هنا قلنا في الركوع : سبحان ربي العظيم وفي السجود ربي الأعلى لأن الإله الأعلى «علي» وأولاده وأما الإله الأعظم فهو الذي فوض إليهم العالم).

ويزعم النصيرية ما يزعمه الغلاة من (أن مسكن علي السحاب وإذا مر بهم السحاب قالوا :السلام عليك يا أبا الحسن» .ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب وكأنهم حين قتل علي رضي الله عنه وادعوا

---

(١) سورة المائدة آية ١٧.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع «كامل مصطفى الشيعي» ص ١٤٥ نقلاً عن «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

أنه لم يقتل جعلوا له مسكناً لا يراه أحد ولا يستطيع الناس الوصول إليه للتفتيش عنه فقالوا : إنه في السحاب وأي سحاب هذا الذي يذهب ويتكثف وينقشع ويوجد في وقت واحد بأماكن عدة تمتد في سماء المعمورة كلها لا يرى النصيرية بأسا من ذلك. ويرى النصيرية في عقيدة حلول الإله أن الإله لم يحل في علي وحده ولكنه حل في خمسة أشخاص هم النبي ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين فادعوا أن روح الإله حلت فيهم وأن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة. (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

الحجاب والباب :

قالوا : علي هو الرب ومحمد هو الحجاب وسلمان هو الباب وذلك على الترتيب وقد ورد هذا في نص السؤال الذي أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع «علي» وم (محمد) وس (سلمان) فسلمان الفارسي هو الباب الذي يفضي إلى العمل والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار.

وخصوا سلمان الفارسي بهذا لما روى من أخبار في سيرته من أنه توفي في سنة ٣٦ هـ وقد عمر قبل الإسلام فعاش ٢٥٠ سنة أو ٣٥٠ حتى ذكروا أنه أدرك بعض أصحاب عيسى بن مريم وأدعوا أنه كان مطلعاً على العلوم السرية وغيبياتها وطبيعة النبوة فهو الواسطة بين النصرانية والإسلام واستندوا كذلك على حديث (سلمان منا أهل البيت) رواه الطبراني والحاكم فضحدَه إلى مفترياتهم.

ويحبون ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه ويعتقدون بتناسخ الأرواح فالمؤمن يتحول عندهم سبع مرات قبل أن يأخذ مكانه بين النجوم فإن الإنسان إذا مات شريراً ولد من جديد نصرانياً أو مسلماً حتى يتطهر أو يكفر عن سيئاته أما الذين لا يعبدون علياً فيولدون من جديد على شكل كلاب أو إبل أو بغال أو حمير أو أغنام.

ويعظم النصيريون الخمر ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة

العنب التي هي أصل الخمر فشجرة العنب مقدسة عندهم لا يجور اقتلاعها لأن من ثمرها تصنع الخمر وهم يعظمون الخمر.

الخطاب السري بين النصيرية :

يرى النصيرية أن خطاب الديانة والدعوة والبلاغ عنهم سر مصون لا يجوز لأحد أن يذيعه ولو أدى ذلك إلى قتله ويحلفون على كتمانه فلا يعرفه إلا من كان من أهل دينه وعقيدته فيجب إخفاء مقالتهم يقول القلقشندي (ولهم خطاب بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ، ولو ضرب عنقه قال : وقد جرب هذا كثيراً وهم ينكرون إنكاره ويخفون مقالتهم ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ويرون أنهم على الحق وأن مقالتهم مقالة أهل التحقيق ومن أنكر عندهم ذلك فقد أخطأ.. وإيمانهم في الحلف على معتقدهم : إنني وحق العلي الأعلى وما أعتقده في المظهر الأسني وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه وإلا برئت من مولاي علي العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق . وكشفت حجاب سلمان بغير إذن وبرئت من دعوة الحجة (ابن نصير) وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم وكفرت بالخطاب والسر المصون وأنكرت دعوى أهل التحقيق وقلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها وأمنع سبيلها وكنت مع قابيل على هابيل ومع النمرود على ابراهيم وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم وهو علي ساخط وأبرأ من قول (قنبر) وأقول إنه بالنار ما تطهر[1] .

وقوله : أبرأ من قول : (قنبر) يشير إلى ما نسب إلى علي بن أبي طالب في قوله : الذي تداوله الغلاة من الشيعة :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

و (قنبر) كما حكى — مولى

(١) القلقشمندي «صبح الأعشى» جـ١٣ / ٢٥١.

من موالي علي بن أبي طالب ومن أحفاده نعيم بن سالم بن قنبر الذي روى عن أنس وقنبر هذا لم أجد له ترجمة تعرف به أو حتى تخبر عنه بين كتب التاريخ أو موسوعات التراجم ، وكان يجب لو صح وجوده أن يشار إليه في كتب التاريخ أو الرجال بتوسع لكن الواقع غير ذلك تماماً.

إباحة الزواج من البنات والأخوات والأمهات :

نقل القلشندي عن النصيرية أنهم لا يحرمون البنات ولا الأخوات ولا الأمهات فقال (وهي طائفة ملعونة مجوسية المعتقد لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات قال : ويحكى عنهم في هذا حكايات).

الأسم والمعنى :

يعتقد النصيرية في حق الأنبياء أن النبي (اسم) لا بد له من معنى يترجم عنه والمعنى : هو الذي يمتلك القدرة على التنفيذ فهو القادر المقتدر فالأسم عندهم أول الناس آدم ، والمعنى : شيث. هو يعقوب والمعنى : يوسف فيعقوب لم يجاور منزلته فقال : (سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم).

أما يوسف فقال : (لا تثريب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر على أحد لأنه هو الإله الذي يملك التصرف وهكذا كان لكل نبي معنى ومحمد ﷺ هو الأسم وعلي هو المعني وكذلك الأئمة من بعده.

الأيتام :

يقول النصيرية بالأيتام الخمسة الذين يخلقون العالم وإليهم توجه الصلوات الخمس اليومية وهؤلاء الأيتام عند النصيرية هم المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري وعثمان بن مظعون وقنبر بن كدان الدويس[1].

---

(١) عبد الرحمن بدوي (مذاهب الإسلاميين) جـ٢ / ٤٨٨.

ولا يذكر النصيرية من هؤلاء ما جعلهم أهلاً لهذا الإختصاص المزعوم سوى أضطهادهم وتحملهم الأذى في بداية إسلامهم وما كانوا عليه من زهد وتقشف في حياتهم وخروجهم على عثمان وموالاتهم لعلي وآل البيت.

ومنهم من لم يقاتل مع على لأنه توفى في خلافة عثمان مثل المقداد بن الأسود ولكنهم يذكرون أن المقداد أوذى أيام عثمان لمعارضته لسياسته وهو مولى الأسود بن عبد يغوث وقد كان تبناه في الجاهلية فلما نزلت آية ﴿ ٱدْعُوهُم لِآبَائِهِم ﴾[٢] عاد إلى نسبه القديم المقداد بن عمرو.

وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوي خلاصة لتعاليم النصيرية استخلصها من كتيب صغير لهم بعنوان (كتاب تعليم ديانة النصيرية) وهو مخطوط في الكتبة الأهلية بباريس وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من ١٠١ سؤال.

ونحن نورد هنا خلاصة لبعض الأسئلة والإجابة على ضوء ما جاءت عند الدكتور عبد الرحمن بدوي.

س: من الذي خلقنا؟

جـ: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س: من أين نعلم أن علياً إله؟

جـ: مما قاله هو عن نفسه في خطابه البيان وهو واقف على المنبر إذ قال: (أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار أنا دليل السموات أنا سائق الدعوة أنا شاهد العهد أنا زاجر القواصف أنا محرك العواصف. أنا مزن السحائب، أنا حجة الحجج أنا جوهر القدم أنا الأول والآخر أنا الباطن والظاهر أنا نور الأئمة البررة.

س: من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

جـ: محمد كما قال هو في خطبة ختمها بقوله: إنه — أي علي (ربي وربكم)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥

س: إذا كان هو (أي علي) الرب فكيف تجانس مع المتجانسين؟

جـ: إنه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوله واتخذ اسم علي

س: كم مرة تحول ربنا ليتجلى في صورة إنسانية؟

جـ: سبع مرات فقد احتجب.

أ— في شخص آدم باسم هابيل.

ب— وفي شخص نوح باسم شيث.

جـ— وفي شخص يعقوب باسم يوسف.

د— وفي شخص موسى باسم يوشع.

ه— وفي شخص سليمان باسم آصف.

و— وفي شخص عيسى باسم باطرة.

ر— وفي شخص محمد باسم علي.

س: كيف احتجب هكذا ثم ظهر؟

جـ: هذا سر تحوله الذي لا يعلمه إلا الله كما قال هو.

س: هل سيظهر مرة أخرى؟

جـ: نعم كما هو بدون تحول في مجده وجلاله.

س: ما الظهور الإلهي؟

جـ: هو ظهور البارئ بواسطة الإحتجاب بالإنسانية وألطف غلاف في جوف غلاف.

س: وضح هذا أكثر؟

جـ: لما دخل (المعنى) في (الباب) احتجب (بالإسم) واتخذه لنفسه كما قال مولانا جعفر الصادق.

لكن ما (المعنى) وما (الباب)؟

هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون كما في قولنا باسم الله الرحمن الرحيم فالله هو (المعنى) والرحمن هو (الاسم) والرحيم هو (الباب) وهكذا.

س: ما القرآن؟

هو :البشرى بظهور مولانا في صورة بشرية.

س: من الذي علم محمد القرآن؟

جـ: مولانا الذي هو (المعنى) على لسان جبريل.

س: هل يحق للمؤمن أن يبوح لأنسان آخر بسر الأسرار؟

جـ: لا يبوح به إلا لإخوانه في الدين والآباء بسخط الله.

س: ما هو القداس الأول؟

جـ: هو الذي يقام قبل دعاء النوروز.

س: وما دعاء النوروز؟

جـ: تقديس الخمر في الكأس.

س: من من شيوخنا نشر الدعوة في كل البلاد؟

جـ: أبو عبد الله الحسين بن حمدان.

س: لماذا نسمي نحن باسم (الخصيبة)؟

جـ: لأننا نتبع تعاليم شيخنا ابن عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.

أعياد ومقدسات نصيرية:

للنصيرية أعياد وقداسات منها ما هو خاص بهم ومنها ما ليس خاصاً بهم.

أولاً — أهم أعيادهم:

عيد الغدير: ويحتفلون به في ١٨ من ذي الحجة وهو عيد عند الشيعة عامة وسبب إتخاذهم هذا اليوم عيداً ما ذكروه من مؤاخاة النبي ﷺ لعلي يوم غدير (خم) وهو غدير على ثلاثة أميال من الجحفة حول شجر كثير وهي الغيضة التي

تسمى (خما) وذلك في أثناء رجوعه من حجة الوداع حيث نزل بالغدير وآخى بين الصحابة ولم يؤاخ بين علي وأحد منهم فرأى النبي ﷺ منه إنكساراً فضمه إليه وقال : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) والتفت إلى أصحابه وقال : (من كنت مولاه فعلي مولاة اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه) . وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة .

وقد ذكر المحققون من رجال الحديث أن عبارة (اللهم وآل من ولاه وعاد من عاداه (كذب) ودعاء النبي ﷺ مستجاب . وهذا الدعاء ليس بمجاب فقد قاتل علياً من كان من السابقين ممن بايع تحت الشجرة الذين صح أن رسول الله ﷺ قال فيهم (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة) فعلم أن هذا الدعاء ليس من دعاء النبي ﷺ[1] .

وأحاديث المؤاخاة لعلي كلها موضوعة والنبي ﷺ لم يؤاخ أحداً ولا آخى بين مهاجري ومهاجري . والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت في السنة الأولى من الهجرة أما قوله ﷺ (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فقد قاله في غزوة تبوك ولم يتكرر منه[2] .

عيد الفراش : ويحتفلون به ذكرى مبيت علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ حين تآمرت قريش على قتل رسول الله وازمعوا على أن يجمعوا من كل قبيلة فتى جلداً يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلم يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً فأمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه ويتسجى ببرده ثم خرج عليهم ﷺ فطمس الله على أبصارهم فلما أصبحوا خرج إليهم علي فعلموا أن النبي ﷺ قد نجا .

عيد عاشوراء : ويحتفلون به في العاشر من شهر محرم شأنهم في هذا ، شأن سائر

---

(١) شيخ الإسلام أبو تيمية «منهاج السنة» جـ ٤ / ١٦ .

(٢) شيخ الإسلام أبو تيمية «منهاج السنة» جـ ٤ / ٩٦ — ٩٧ .

الشيعة وهو ذكرى مصرع الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء لكن النصيرية يعتقدون أن الحسين لم يمت بل أختفى مثل عيسى بن مريم.

عيد النيرور : أي اليوم الجديد بالفارسية ويحتفل به طول الربيع وهو عيد فارسي الأصل قيل أنه اليوم الذي خلق فيه النور وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران والنصيرية يحتفلون به.

عيد المهرجان : ويحتفل به في أول الخريف وهو عيد فارسي كذلك وبينه وبين النوروز ١٦٧ يوماً وهذا يعني أنه وسط زمان الخريف.

عيد الميلاد : في الليلة الرابعة والعشرين من كانون أول وهي آخر السنة الرومية لأن عيسى عليه السلام ظهرت ولادته في هذه الليلة من السيدة العذراء مريم بنت عمران.

أعياد شعبية : وهي أعياد مسيحية الأصل مثل عيد القيامة أو الفصح عيد الغطاس، عيد السعف، عيد العنصرة... الخ

وأعياد النصارى التي يحتفل بها النصيرية لا تدل على نسبتهم إلى النصرانية فإن مثل هذا ينتقل إليهم بالتجاور أو التأثر ببعض المعتقدات ولا يستدل به على أن أصلهم نصارى

وقد ألف أبو سعيد يموت بن القاسم الطبراني كتاباً عن أعياد النصيرية وهو المعروف بكتاب (مجموع الأعياد للطبراني) ومن عناوين هذا الكتاب :

١ — أخبار يوم الغدير وشرفه.

٢ — القصيدة الغديرية لسيدنا أبو عبد الله الخصيبي

٣ — خطبة يوم الغدير التي خطبها مولانا أمير المؤمنين.

٤ — ذكر عيد المباهلة.

٥ — ذكر عيد الفراش.

٦ ــ ذكر عيد عاشوراء.

٧ ــ ذكر ليلة نصف شعبان وهي آخر السنة الخصيبية.

٨ ــ دعاء ليلة نصف شعبان.

٩ ــ ذكر ليلة الميلاد.

١٠ ــ ذكر يوم النوروز وهو رابع نيسان وأول السنة الفارسية وعيد الميلاد كما معروف عيد نصراني، وعيد النيروز عيد إيراني فارسي وثني.

ثانياً ــ أهم قداساتهم:

يقيم النصيرية ما يسمونه قداسات وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوي نصوص ثلاثة قداسات ونحن نوردها بنصها:

قداس الطيب لكل أخ حبيب: أيها المؤمنون أسمعوا واطيعوا وانظروا إلى مقامي هو الذي فيه (نحن) مجتمعون: انزعوا الغل والحسد والحقد من قلوبكم يكمل لكم دينكم ويستحب الله لدعائكم واعلموا أن الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى (إنه عليم بذات الصدور) إياكم يا مؤمنون من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال فنها تحبط الأعمال وتتغير الأحوال لأنها من طريق إبليس اللعين ــ لعنة الله تعالى.

اسمعوا ما يقول لكم الإمام لأنه قائم فيكم في طاعة العلي العلام. إن هذا قداس الطيب بعد عقد النية على الصلاة الحقيقية التي خص بها السيد المسيح إلى حين إعطاء كل نفس هواها قال في القداس المبارك: سبحان من جعل من الماء كل شيء سبحان من يحيي الميت في صرصر بقدرته العلي الكبير. الله أكبر أسألك مولاي هذا قداس الطيب السيد محمد الحبيب الذي أخضر في يده القصب أن تحل في دياركم البركة يا أصحاب هذا الفضل وهذا الطيب وتقدس أرواح إخواننا المؤمنين البعيد منهم والقريب يا مولاي يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

قداس البخور في روح بدور ، في محل الفرح والسرور : قال : كان سيدنا محمد ابن سنان الزهري يقوم بالصلاة مرة ومرتين في يده ياقوتة حمراء وقيل مرجانة صفراء يتبخر بها في عيد النور ويقول : يا أيها المؤمنون بخوراً أقداحكم أنجزوا أعمالكم تناولوا بها الآمال ، ويقول الحمد لله الذي جعل نوره تاماً وفضله عاماً علينا وعلى سائر إخواننا براح وريحان وجنة الله والنعيم أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس البخور وبحق البراء بن معروف وبحق أبي الحسن المدني يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

قداس الآذان والله المستعان : وهو : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً وجهت وجهي إلى محمد المحمود طالباً سره المقصود المتقرب بتجلي الصفات وعين الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل هو الذي سماكم مسلمين حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ديني سلسل طاعة إلى القديم الأزل أقركما أقر السيد سلمان حين أذن المؤذن في أذنه وهو يقول : (شهدت أن لا إله إلا هو العلي المعبود ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة إلا يتام الكرام ولا رب إلا ربي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي سفينة النجاة وعين الحياة حي على الصلاة حي على الفلاح تفلحوا يا مؤمنون حي على خير العمل الله أكبر الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها الله مولاي يا سلمان زكاتها والمقداد يمينها وأبا ذر شمالها.

نحمد الله بحمد الحامدين ونشكر الله بشكر الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أسألك اللهم مولاي بحق هذا قداس الآذان وبحق متى وسمعان والتواريخ والأعوام بحق يوسف بن يعقوب ما كان بحق الأحد عشر كوكباً الذين رآهم يوسف بالمنام تحل في دياركم البركة بالتمام يا مولاي يا علي يا عظيم.

وهذه القداسات تنضح بالشرك الصريح في أسلوب ركيك وعبارات قلقة وتصنع بالغ وسجع متكلف تخلط بين ما عليه غلاة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد. ومعتقدات النصيرية والقداس الثالث هو الذي يفصح عن كثير من عقائدهم التي يخالفون بها أمة الإسلام.

طوائف النصيرية :

تنقسم النصيرية إلى أربع طوائف.

١ ــ **الحيدرية** : نسبة إلى (حيدر) لقب علي بن أبي طالب.

٢ ــ **الشمالية** : وهم يقولون : أن علياً هو السماء ويسكن في الشمس والشمس هي محمد ويذهبون مدى بعيداً في تأليه محمد ويلقبون أيضاً بلقب الشمسية.

٣ ــ **الكلازية أو القمرية** : ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر ويرون أن الإنسان إذا شرب الخمر الصافية يقترب من القمر وينتسبون إلى الشيخ محمد بن كلازي.

٤ ــ **الغيبية** : ويقولون : إن الله تجلى ثم اختفى والزمان الحالي هو زمان الغيبة ويقررون أن (الغائب) هو الله الذي هو علي وهم يجردون الله عن الصفات مثل الإسماعيلية.

وقد اعترف البعض من الشيعة بأباطيل غلاتهم وأنكروا عليهم غلوهم ، يقول الصدوق القمي استاذ الشيخ المفيد اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل اسمه وبأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية من جميع أهل البدع والأهواء المضلة وأنهم ما صغرهم الله جل جلاله تصغيرهم لشيء بقوله ــ تعالى ــ

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتٰبَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ كُونُوا رَبَّنِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتٰبَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلٰئِكَةَ والنَّبِيِّنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ٧٩ ــ ٨٠

فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في النصيرية :

سئل رحمه الله تعالى :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين — رضي الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهار الحق المبين، وإخماد شعب المبطلين في (النصيرية) القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وإنكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة، وبأن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء وهي : علي، وحسن، وحسين، ومحسن، وفاطمة، فذكر هذه الأسماء الخمسة على رايهم تجزيهم عن الغسل من الجناية والوضؤ وبقية شروط الصلوات وواجباتها وبأن (الصيام) عندهم عبارة عن أسم ثلاثين رجلاً وأسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ويضيق هذا الوضع عن ابرازهم وبأن إلههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو عندهم الإله في السماء والإمام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم — أن يونس خلقه وعبيده وليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً مؤمناً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه .وحقيقة الخطاب عندهم أن يخلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشائخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف إنتقال الإسم والمعنى في كل حين وزمان فالإسم عندهم في أول الناس آدم والمعنى هو شيث والإسم يعقوب والمعنى هو يوسف ويستدلون على هذه الصورة — كما يزعمون — بما في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما السلام فيقولون : أما يعقوب فإنه كان الإسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[1] وأما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾[2] فلم يعلق الأمر بغيره لأنه علم أنه إلا له المتصرف ويجعلون موسى هو الإسم ويوشع هو المعنى ويقولون : يوشع ردت له

---

(١) سورة يوسف آية ٩٨

(٢) سورة يوسف آية ٩٢

الشمس لما أمرها فأطاعت أمره وهل ترد الشمس إلا لربها؟ ويجعلون سليمان هو الإسم وآصف هو المعنى القادر المقتدر ويقولون : سليمان عجز عن إحضار عرش بلقيس وقدر عليه آصف لأن سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى المقتدر وقد قال قائلهم :

هـابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط إلى زمان رسول الله ﷺ فيقولون : محمد هو الإسم وعلي هو المعنى ، ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هذا فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم أن علياً هو الرب وأن (محمداً) هو الحجاب وأن سلمان هو الباب وأنشد بعض أكابر رؤسائهم في شهور سنة سبعمائة فقال :

أشهـد أن لا إلـه إلا حـيـدرة الأنـزع الـبـطين
ولا حـجـاب عـلـيه إلا محمـد الصـادق الأمين
ولا طـريق إلـيـه إلا سلمان ذو الـقـوة المتين

ويقولون : إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل وكذلك الخمسة الأيتام والإثنا عشر نقياً وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة وأنهم لا يزالون يظهرون مع العرب والحجاب والباب في كل كور ودور . أبداً سرمدارعلى الدوام والأستمرار. ويقولون إن إبليس الإبالسة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين وشرفهم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين — فلا يزالون موجودين في كل وقت دائماً حسبما ذكر من الترتيب ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجع إلى هذه الأصول المذكورة.

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من

عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس أيضاً في هذا الزمان لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الأفرنج المخذولين على البلاد الساحلية فلما جاءت أيام السلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم والأبتلاء بهم كثير جداً فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم؟ وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هذه أولاً؟ وما حكم الجبن المعمول في أنفحة ذبيحتهم؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم؟ وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها إليهم؟ أم يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من رجال المسلمين الكفاة وهل يأثم إذا آخر طردهم؟ أم يجوز له التمهل مع أن عزمه ذلك؟ وإذا استخدمهم وأقطعهم أو لم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم وإذا صرفها وتأخر لبعضهم بقية من معلومه المسمى فأخره ولي الأمر عنه وصرفه على غيره من المسلمين أو المستحقين أو أرصده لذلك فهل يجوز له فعل هذه الصور؟ أم يجب عليه وقفه؟.

جواب شيخ الإسلام ابن تيمية بخطه:

فأجاب شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله. الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من التتار والفرنج وغيرهم فإن هؤلاء يتظاهرون عند المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السابقة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكر من المسائل ومن غير هذا الجنس فإنه ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من

جنس ما ذكر السائل ومن قولهم : أن (الصلوات الخمس) معروفة أسرارهم و (الصيام المفروض) كتمان أسرارهم و (حج البيت العتيق) زيارة شيوخهم وأن (يدا أبي لهب) هما أبو بكر وعمر ،وأن (النبأ العظيم) والإمام المبين هو علي بن أبي طالب. ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحجاج، وألقوهم في بئر زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود، وبقي عندهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، وصنفوا كتباً كثيرة مما ذكره السائل وغيره.

وصنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبينوا فيها ما هم براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء في وصفهم. ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين كالسواحل وانقهار النصارى بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم أن يستولي النصارى ـ والعياذ بالله ـ على ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه فتحها معاوية بن سفيان إلى أثناء المائة الرابعة.

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ثم بسببهم استولوا على المقدس الشريف وغيره فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك ثم أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى (كنور الدين الشهيد وصلاح الدين) وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى ومن كان بها منهم وفتحوا أيضاً أرض مصر فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية. ثم أن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم فإن منجم (هولاكو) الذي كان وزيرهم وهو (النصر الطوس) كان وزيرهم لهم بالموت وهو الذي أمر بقتل

الخليفة وبولاية هؤلاء. ولهم (ألقاب) معروفة عند المسلمين تارة يسمون (الملاحدة) وتارة يسمون (القرامطة) وتارة يسمون (الباطنية) وتارة يسمون (الإسماعيلية) وتارة يسمون (النصيرية) وتارة يسمون (الخرمية) وتارة يسمون (المحمرة) وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم كما أن الإسلام والإيمان يعم المسلمين ولبعضهم اسم يخصه أما لنسب وإما لمذهب وإما لبلد.

وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خلقه ولا بأن له ديناً أمر به ولا أن له داراً يجزي الناس فيها على أعمالهم ، غير هذه الدار وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعين أو الإلهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويصبون إلى ذلك الرفض. ويحتجون لذلك من كلام النبوات: إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي ﷺ أنه قال (أول ما خلق الله العقل) والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولفظه (إن الله لما خلق العقل قال له: أقبل فأقبل فقال له أدبر فيحرفون لفظه فيقولون: (أول ما خلق العقل) ليوقفوا قول المتفلسفة أتباع (أرسطو) في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل وأما بلفظ ثابت عن النبي ﷺ فيحرفون عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل (إخوان الصفا) ونحوهم فإنهم من أئمتهم. وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين وإن كانوا لا يوافقونهم على أصول كفرهم فإن هؤلاء لهم في إظهار دعوتهم الملعونة التي يسمونها الدعوة (الهادية) درجاً متعددة ويسمون النهاية (البلاغ الأكبر والناموس الأعظم) ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق والأستهزاء به وبمن يقر به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله وفيه أيضاً جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين للرئاسة فمنهم من أحسن في طلبها حتى قتل ويجعلون محمداً وموسى من القسم الأول ويجعلون المسيح

من القسم الثاني وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تعطيل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش ما يطول وصفه ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم وأما إذا كثروا فإنهم يعرفهم عامة الناس فضلاً عن خاصتهم ولا يجوز أن ينكح لرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم إمرأة ولا تباح ذبائحهم وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة فمذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين أنه يحل هذا الجبن لأن أنفحة الميتة طاهرة على هذا القول لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة وملاقاة الوعاء النجس في الباطن لا ينجس ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى أن هذا الجبن نجس لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسه لأن لبن الميتة وأنفحتها عندهم نجس ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته كالميتة. وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة فأصحاب القول الأول نقلوا أنهم أكلوا جبن المجوس وأصحاب القول الثاني نقلوا ما كانوا يظنون أنه من جبن النصارى فهذه مسألة اجتهاد للمقلد أن يقلد من يفتي بأحد القولين وأما (أوانيهم وملابسهم) فكأواني المجوس وملابس المجوس على ما عرف من مذاهب الأئمة والصحيح في ذلك أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غلي فإن ذبائحهم ميتة فلابد أن يصيب أوانيهم المستعملة ما الآنية التي لا يغلب عن الظن وصول النجاسة إليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التي لا يضعون فيها طبيخهم أو يغسلونها قبل وضع اللبن فيها وقد توضأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جرة نصرانية فما شك في نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك.

ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلي على من مات منهم فإن الله سبحانه وتعالى نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين كعبد الله ابن أبي ونحوه وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الإسلام لكن يسرون ذلك فقال الله ﴿وَلاَتُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة آية ٨٤

فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد؟.

وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر فإن المخامر قد يكون له غرض إما مع أمير العسكر وإما مع العدو وهؤلاك مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها وهم أحرص الناس على تسليم الحصون لعدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولي الأمر وإخراجهم عن طاعته.

والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر فإن ضرورهم في الثغر أشد وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام وعلى النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم بل إذا كان ولي الأمر لايستخدم من يغشه وإن كان مسلماً فكيف بمن يغش المسلمين كلهم؟

ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أي وقت قدر الإستبدال بهم وجب عليه ذلك.

وأما إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليهم فلهم إما المسمى وإما أجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك فإن كان العقد صحيحاً وجب المسمى وإن كان فاسداً وجبت أجرة المثل وإن لم يكن استخدامهم من جنس الإجارة اللازمة فهي من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد فلا يستحقون إلا قيمة علمهم فإن لم يعملوا عملاً له قيمة فلا شيء لهم ، ولكن دماءهم وأموالهم مباحة وإذا أظهروا التوبة فني قبولها منهم نراع بين العلماء فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة السلام أقرهم على أموالهم ومن لهم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم من جنسهم فإن مالهم يكون فيئاًلبيت المال لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف

فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم فلا يتركوا مجتمعين ولا يمكنوا من حمل السلاح ولا أن يكون من المقاتلة ويلزمون شرائع الإسلام : من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام ويحال بينهم وبين معلمهم.

فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاؤا إليه قال لهم الصديق اختاروا : إما الحرب المجلية وإما السلم المخزية قالوا خليفة رسول الله هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية؟ قال : تدون قتلانا ولا ندى قتلاكم وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ونقسم ما أصبنا من أموالكم وتردون ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتتركون تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمراً بعد ردتكم فوافقه أصحابه على ذلك إلا في تضمين قتلى المسلمين فإن عمر رضي الله عنه قال له : هؤلاء قتلوا في سبيل الله فأجورهم على الله يعني هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر في ذلك.

وهذا الذي اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء والذين تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء.

فمذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن كما اتفقوا عليه آخرا وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين.

ومذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى هو القول الأول فهذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم إلى الإسلام يفعل بمن أظهر الإسلام والتهمة ظاهرة فيه فيمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدرع التي تلبسها المقاتلة ولا يترك في الجند من يكون يهودياً ولا نصرانياً ويلزمون شرائع الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسير إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور فإما أن يهديه الله تعالى وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين.

ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر

الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين ، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل المتاب من زيادة إظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح.

وأيضاً فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب.

ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله ولا يحل لأحد أن ينهي عن القيام بما أمر الله به ورسوله القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله ولا يحل لأحد أن ينهي عن القيام بما أمر الله به ورسوله فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين.

والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم كما قال الله تعالى

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2] قال أبو هريرة : كنتم خير أمة للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل. حتى تدخلوهم الإسلام فالمقصود بالجهاد والأمر

(١) سورة التوبة آية ٧٣

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠

ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أفضل الأعمال كما قال ﷺ (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامة الجهاد في سبيل الله تعالى) وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (إن في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله) وقال (رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه) ومن مات مرابطاً مات مجاهداً وجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتنة. والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامة على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة التوبة، الآيات ١٩ — ٢٢

(٢) دكتور عبد الرحمن بدوي (مذاهب الإسلاميين) جـ ٢ / ٤٤٢٧ ط دار العلم للملايين الطبعة الأولى عام ١٩٧٣ م.

مصادر العقائد النصيرية :

هذا وقد أورد المستشرق الفرنسي (ماسنيون) في عام ١٩٣٧ م مجملاً عن كتب النصيرية لخصه الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعته (مذاهب الإسلامين) ويمكن الرجوع إليها ومنها :

— المفضل الجعفي (المتوفي حوالي سنة ١٨٠ هـ) معتمد بوصفه ، راوياً للكتب التالية المنسوبة إلى الإمام جعفر الصادق المتوفي سنة ١٤٨ هـ ويلقب (بالعالم).

— كتاب السراط للعالم ، مخطوط باريس رقم ١٤٤٩ عربي ورقة ٢٨٦ — ٢١٨٢ وهو رقم ٥ عند ديسو.

— كتاب (الأساس للعالم) مخطوط باريس رقم ١٤٤٩ عربي ورقة ٣١ — ٧٩.

— كتاب (الأشياء والأظلة) مخطوط باريس رقم ١٤٥٠ عربي.

— كتاب الهفت (الباكورة) ٢٢ ، ٣٢ ، ٥٩ ، ٦١ ، وقد نشره عارف تامر وعبده خليفة في بيروت المطبعة الكاثوليكية في ١٩... ١٥٣ صفحة.

هذا ومن مؤلفي النصيرية الأقدمين (الخصيبي) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان ويلقب بشيخ يبراق ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفى في حلب سنة (٣٤٦) أو ٣٥٧ هـ وكتب الخصيبي معتبرة من أهم كتب الشيعة في إيران.

وهناك من الكتب الشيعية والمؤلفين الشيعة القدامى والمحدثين ما يدل على انقطاع الأواصر الفكرية والروحية فضلاً عن الالتزام بالقواعد الشرعية بينهم وبين جمهور المسلمين.

هذا ومن المرجح اعتبار النصيرية من أقدم الشيعة الغلاة إذ صح أنهم ينتسبون إلى (نصير) غلام علي بن أبي طالب) وهم يمثلون عند بعض المستشرقين من الناحية الكلامية (الجناح المحافظ) للحركة الشيعية التي يتألف جناحها التقدمي والفعلي من الإسماعيلية والدروز.

انقسام العقيدة النصيرية :

سكن على المدى الطويل النصيرية في مناطق لواء اللاذقية في سوريا وكذلك في المناطق الجبلية وبعد أن كانت العقيدة الرئيسية للنصيرية تتمثل في أن علي ابن أبي طالب إله أو حلت فيه الألوهية ، أصبح عندهم فيما زعموا بشرياً إلهياً في آن واحد وأنه يسكن السحاب والرعد صوته والبرق ضحكه وهم لهذا يعظمون السحاب وقد انقسموا إلى النصيرية الشمالية التي تسكن السواحل في لواء اللاذقة و (النصيرية) .

الكلاترية وهم الذين يسكنون الجبال ، واعتقد النصيرية الشمالية أن علياً حال في القمر بينما اعتقد الكلانرية أنه حال في الشمس.

ومن الممكن أن يقال إن أثر الثقافة اليهودية التي طرأت على فكر الجماعات الشيعية قد أفرخ جملة اعتقادات وجدت استجابة من بيئة تستقبل كل ما يمكن أن يميز فكرها عن غيرها في موقفها المذهبي أو العرقي وعلى هذا فجملة المعتقدات التي ترتكز عليها الفرقة النصرية تتمثل في الآتي.

— علي بن أبي طالب إله ، أو حلت فيه الألوهية وهو يسكن السحاب والرعد صوته والبرق ضحكه وهم لهذا يعظمون السحاب ومن الملاحظ على هذا المعتقد عند النصيرية أنه أقفل علاقة أتباعه بالرسول الخاتم محمد ﷺ.

— سلمان الفارسي هو رسول علي وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي : ع (علي) م (محمد) س (سلمان الفارسي).

— وهم يخفون مقالتهم ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ويرون أنهم على الحق وأن مقالتهم أهل التحقيق ومن أنكر ذلك فقد أخطأ.

— ولهم (اعتقاد) في تعظيم الخمر ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر حتى استعظموا قلعها.

— ويحبون ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ، ويقولون أنه خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه.

هذا وللنصيرية قسم نقله القلشندي (في صبح الأعشى) جـ ١٣ ص ٢٥٠ عن ابن فضل الله العمري في كتابه التعريف بالمصطلح الشريف وهذا القسم يبين هو الآخر عن بعض معتقدات النصيرية ونصه (إنني وحق العلي الأعلى وما اعتقده في المظهر الأسنى وحق النور وما نشأ منه والسحاب وساكنه وإلا برئت من مولاي (علي) العلي العظيم وولائي له ومظاهر الحق وكشفت حجاب سلمان بغير إذن وبرئت من دعوة الحجة (نصير) وخضت مع الخائضين في لعنة ابن ملجم وكفرت بالخطاب وأذعنت السر المصون وانكرت وعدي لأهل التحقيق وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى اجتثثت أصولها وأضعت سبيلها وكنت مع قابيل على هابيل ومع النمرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن التي العلي العظيم ، وهو علي ساخط وأبرأ من قول قنبر أنه بالنار ما تطهر).

ومن النظر لهذا القسم نجده يقرر أن النصيرية يلقبون علياً بلقب (العلي العظيم) وأن سلمان الفارسي هو صاحب الحجاب أي الباب الذي يفضي إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار وأن الخطاب هو الديانة والدعوة والبلاغ ، وأن مبادئ النصيرية سر مصون لا يجوز إذاعته ، وأن شجرة العنب مقدسة عندهم بحيث لا يجوز إقتلاعها لأن من ثمرها تصنع الخمر التي يعظمونها وما ورد في القسم من قوله : أبرأ من قول (قنبر) إلى ما قاله علي بن أبي طالب : لما رأيت الأمر أمراً منكراً .. أججت ناري ودعوت قنبراً وإنكار وجود البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا كما أنهم ينكرون الصلوات الخمس لأنهم يرمزون لها بذكر أسماء : علي وحسين وحسن ومحسن وفاطمة (فهؤلاء الخمس مجرد ذكر اسمائهم يغنيهم عن الصلوات الخمسة كما يغنيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلاة وواجباتها إلى غير ذلك مما تقوم عليه عقائدهم ويخالف ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

هذا ومن الجدير بالذكر في هذا المقام تقرير أن العقيدة الرئيسية عند النصيرية هي تأليه علي بن أبي طالب فعلى ضوء ما أورده الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه (مذاهب الإسلاميين) الجزء الثاني صفحة ٤٨٨ يوصف علي بن أبي طالب في

(كتاب المجموع) أحد كتب النصيرية بأنه ، أحد صمد لم يولد ولم يلد) وأنه قديم لم يزل ، وجوهرة نور ومن نوره تسطع الكواكب ، وهو نور الأنوار ، تجرد عن الصفات ، يشق الصخور ، ويسحر البحور ويدبر الأمور ويخرب الدول ، خفي الجوهر وهو (معنى) :

والشهادة عندهم (أشهد أن لا إله إلا علي بن أبي طالب) وعلي فيما يعتقدون هو الذي خلق محمد وسماة (الإسم) ومحمد هو حجاب علي ومسكنه ، ومحمد خلق سلمان الفارسي من نوره وجعله (بابا) له والمكلف بنشر دعوته ، ومن حروف بداية هذه الأسماء إلى الثلاثة يتكون (عين — ميم — سين) وعند إدخال المستجيب في الدعوة يقسم بسر (عين — ميم — سين) ومحمد خلق الأيتام الخمسة . والخمسة الأيتام (يتيم : لا نظير له) هم الصدورات الخمسة الإلهية الذين توجه إليهم الصلوات الخمسة اليومية والأيتام هم عند النصيرية المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري وعثمان بن مظعون وقنبر بن كدان الدوسي وللنصير قداسات خاصة بهم أشرنا إليها في الصفحات السابقة ومن بين ما ورد في سياق بعضها (... اسمعوا ما يقول لكم الإمام لأنه قائم فيكم في طاعة العلي العلام إن هذا القداس الطيب بعد عقد النية (على) الصلاة الحقيقية التي خص بها السيد المسيح إلى سين وإعطاء كل نفس هداها قال القداس المبارك : سبحان من جعل من الماء كل شيء حي ... هذا ويتداول الطوائف (النصيرية) قداساً شهيراً عندهم يسمى (قداس الآذان وبالله المستعان) هو على الوجه التالي (الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً) وجهت وجهي إلى محمد المحمود طالباً سره المقصود ، المتقرب بتجلي الصفات وعين الذات وفاطر الفطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل هو الذي سماكم المسلمين حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ديني سلسل طاعة إلى القديم الأزل . أقركما أقر السيد سلمان حين إذن المؤذن في أذنه وهو يقول : اشهد أن لا إله إلا هو العلي المعبود ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة ولا رب الأربي شيخنا و(هو) شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي سفينة النجاة ،

وعين الحياة حي على الصلاة حي على الفلاح ، تفلحوا يا مؤمنين على خير العمل ، يعينه الأجل ، الله أكبر الله أكبر. قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها الله مولاي يا علي أسألك أن تقيمها وتديمها ما دامت السموات والأرض وتجعل السيد محمد خاتمها والسيد سليمان زكاتها ، والمقداد يمينها ، وأبا ذر شمالها . هل بقي أمام الدارس بعد إطلاع على مثل هذه النصوص والرموز — أدنى شك في أن (النصيرية) تقوم على مرتكزات غير إسلامية وأن طقوسهوشعائرهالا تتفق وعقيدة الإسلام؟ نعتقد أن النماذج التي أتينا على بعضها تكفي للتعريف بهذه الفرقة المذهبية التي بدأت بمنطلق غير إسلامي ، يحمل جرثومة الشعوبية وبصمات العقائد الوثنية ومغايرة الإسلام مغايرة تامة.

الحكم على معتقدات النصيرية :

بعد هذا العرض الموجز للتعريف بالنصيرية كجناح متطرف في الغلو خلط ما بين الوافد من التحريفات المسيحية القائلة بالتجسيد المعبر عنه بالناسوت واللاهوت أي البشرية والألوهية في جسد الإنسان والتخريجات اليهودية القائلة بالحلول يتضح أمامنا مدى دقة وصحة فتوى الإمام بن تيمية في النصيرية حين سئل عنهم وقال (هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل الترك والإفرنج وغيرهم ومن هنا فإن الحاجة ماسة في مجال دراسة الفرق والمذاهب التي تنسب إلى الإسلام أن تقوم لجان علمية دينية صادقة إخلاصاً لله ولرسوله بعمل دراسات موسعة وجادة عن منطلقات هذه الفرق في أمسها وعما انتهى إليه أمرها اليوم بين أمة الإسلام باعتبار أنها أمام العالم المعاصر وخاصة القوى المعادية للإسلام تعطي صوراً ونماذج عن الإسلام لا يمكن أن تكون تعبيراً عن الإسلام الصحيح فضلاً عما يقوم به أصحاب هذه المعتقدات الضالة المنحرفة والمغايرة للإسلام تماماً بتشويه صورة الإسلام أمام أعدائه.

فهرس

	صفحة
مقدمة	٥
المبحث الأول :	
أضواء على عقائد الشيعة	١١
تمهيد تاريخي	١١
النشأة التاريخية وأقوال العلماء	١٢
الجذور الشيعية في التاريخ	١٣
علي بن أبي طالب وأحقية الخلافة	١٤
هل تآمر أحد ضد علي بن أبي طالب؟	١٧
المبحث الثاني :	
الشكل السياسي للفكرة الشيعية	٢٩
تنمية الأفكار الشيعية	٣٠
أثر الثقافة الفارسية في الفكرة الشيعية	٣١
التشيع وأبعاده العقدية	٣٣
زيف هذا المعتقد وبطلانه	٣٥
المبحث الثالث :حول منطلقات الشيعة العقدية	٤١
تسمية الروافض بالاثني عشرية	٥١
عصمة الإمام عند الإمامية	٥٣
دليل الإمامية على وجوب العصمة	٥٤
عقيدة المهدية عند الإمامية	٥٨
عقيدة المهدية وعلاقتها بالفكر اليهودي	٦٢
الرجعة عند غلاة من الإمامية	٧٩
التقية عند غلاة من الإمامية	٨٥

صفحة

المبحث الرابع :
القرآن الكريم وغلاة الشيعة ٩٣
أبعاد العدوان على كتاب الله ١٠٠
موقف الشيعة من القرآن الكريم ١٠٩
نماذج من السنة النبوية عند الشيعة ١١٧
المتعة وعقيدة الشيعة فيها ١٢١
مزاعم الشيعة من عقائدهم ١٢٩

المبحث الخامس
الزيدية والشيعة ١٣٨
علاقة الزيدية بالمعتزلة ١٣٩
افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية ١٤٠
هل تأثرت الزيدية بالإمامية؟ ١٤٠
أوجه الاختلاف بين الزيدية والإمامية ١٤٢
فرق الزيدية ١٤٦

المبحث السادس :
فرق ذات نزعة عالية ١٥١
الكيسانية والتشيع ١٥٦
أهم عقائد الكيسانية ١٦١
الرأي في الكيسانية ١٦٦
فرقة الكربية ١٦٨
عقائد الكربية ١٦٩
الهاشمية ١٧٦
الهاشمية وافرازاتها العقدية ١٧٧
فرقة البيانية ١٧٧
فرقة الحربية ١٧٩
السليمانية أو الجريرية ١٨٢
الجارودية ١٨٣

صفحة

الصالحية والبترية ١٨٤
قول الغلاة في الإمامة والوصية ١٨٨
القول بجواز البداء على الله ١٨٩
الغلاة الحسنيون ١٩٣
فرقة المنصورية ١٩٣
المبحث السابع
النصيرية : عقائدهم ومصادرهم وتاريخهم ١٩٩
الحجاب والباب ٢٠٤
الخطاب السري في النصيرية ٢٠٥
إباحة الزواج من البنات والأخوات والأمهات ٢٠٦
أعياد ومقدسات نصيرية ٢٠٩
أهم قداساتهم ٢١٢
طوائف النصيرية ٢١٤
فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في النصيرية ٢١٥
جواب شيخ الإسلام ابن تيمية بخطه ٢١٧
مصادر العقائد النصيرية ٢٢٥
انقسام العقيدة النصيرية ٢٢٦
الحكم على معتقدات النصيرية ٢٢٩
الفهرس ٢٣١